قاموس الآلهة والأساطير

في بلاد الرافدين (السومرية والبابلية)
في الحضارة السورية (الأوغاريتية والفينيقية)



تأليف

د. ادزارد

م. ه. بوب

ف. رولينغ

تعريب

محمد وحيد خياطة

دار الشرق العربي

لبنان - بيروت ص.ب. 11/6918

سورية - حلب ص.ب. 415

قاموس الآلهة والأساطير

في بلاد الرافدين (السومرية والبابلية)
في الحضارة السورية (الأوغاريتية والفينيقية)

تأليف

الجزء الأول: د . ادزارد

الجزء الثاني: م . هـ. بوب ـ ف . رولينغ

عرّبه عن الألمانية

محمد وحيد خياطة

مدير آثار ومتاحف حلب

دار الشرق العربي

بيروت ـ لبنان ـ ص . ب ـ ١١/٦٩١٨

حلب ـ سورية ـ ص . ب ـ ٤١٥

العنوان الأصلي للقاموس في اللغة الألمانية :

Götter und Mythen Im vorderen Orient

1- Dietz otto edzard
2- Marvin H. pop & Wolfgang Röllig

الاهداء

الى أم بانــة

وحــاجي

ونبراس

الى زوجتي سعاد التي وقفت الى جانبي حتى وجد هذا الكتاب طريقه الى النور

«وحيد»

الجزء الأول

قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين وسورية

الجزء الأول

بلاد الرافدين

الميثولوجيا أو علم الأساطير

في حضارات الشرق العربي القديم

مقدمة المترجم

محمد وحيد خياطة

لو تركنا كلمة الميثولوجيا اليونانية الأصل جانباً وتناولنا الكلمة المرادفة لها في اللغة العربية «أسطورة»، وبحثنا عنها في معاجم اللغة لوجدنا أنها مشتقة من السطر، والسطر هو الصف من الشيء كالكتاب والشجر والبناء وغيرها، وتجمع على أسطر وسطور وأسطار، أما أساطير فهي صيغة منتهى الجموع، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم «أساطير الأولين»، بمعنى الحكايا الكاذبة، والأحاديث الملفقة التي لا أساس لها في الواقع، وبذا تكون الأسطورة قد ابتعدت عن المعنى الأصلي للكلمة، وهو الصف من الشيء، ونحن بدورنا نستخدم كلمة سطَّر في لغتنا اليومية بمعنى كتب، فنقول سطَّرت له كتاباً أي كتبت له رسالة، وهي في هذا المعنى لا تختلف عن المعنى الأصلي للكلمة البابلية «شطّر» فقد وردت في قوانين حمواربي بمعنى كتب ووثق وأوصى «انظر المواد ٤٦ و ١٧١ و١٧٨ و٣٨ في شريعة حمواربي كما تأتي بشكل عام بمعنى الكتابة فنقول «شومو شطرو» أي اسم مكتوب و «شطرو» بمفردها تعني كتابة.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو ماهو أصل الكلمة؟ وماذا تعني بالضبط؟ وما علاقة الخرافة والحديث الملفق بها؟. وللإجابة عن هذا

السؤال يتبادر إلى ذهننا كلمة (Story) التي تسربت إلى اللغات اللاتينية والفرنسية والإنكليزية عبر اللغة اليونانية القديمة ويؤدي معنى الحكاية أو القصة المختلقة غير ممكنة الحدوث، وهي بهذا المعنى لا تختلف عن كلمة أسطورة المعروفة في لغتنا العربية وفي آدابنا وتراثنا، فهل هي كلمة يونانية أخذها العرب عن اليونانيين منذ القديم أم العكس هو الصحيح، ونحن أميل إلى الأخذ بالرأي الثاني، وذلك لأن كلمة (سطر/شطرو) كما بينا سابقاً أقدم عهداً بدليل ورودها في الكتابات البابلية القديمة وتعني الكتابة عامة، وإذا اكتسبت معنى الخرافة والحكايا بمرور الزمن فهذه هي سنة التطور، واللغة كما نعلم جميعاً كائن حي يتطور مثل بقية الكائنات الحية الأخرى، وتخضع لمقاييس التطور البيولوجية شكلاً ومضموناً.

أما فيما يخص موضوعنا الأساس وهو الميثولوجيا أو علم الأساطير فنحب أن ننوه بأن كلمة MYTH هي كلمة يونانية الأصل انتقلت إلى بقية اللغات الأخرى، ولا نعرف لها جذوراً في اللغات السامية القديمة التي انبثقت منها اللغة العربية، وهي تؤدي إلى نفس معنى كلمة (Story) ، ولكن تشمل أيضاً رواية الحكايا القديمة ومجموعة الأحداث التاريخية المتناقلة عبر الأجيال بما في ذلك الخرافات والقصص والفلكلور بقالب شعري جميل. والميثولوجيا اليوم علم قائم بذاته لم يكن معروفاً عند العرب القدماء، وتأسس في الغرب في أواخر القرن الثامن عشر، ويعني بدراسة نشوء الأساطير والنظريات المتعلقة بها، وتناقلها، ومحاولة تفسير مضامينها.

والأسطورة ماهي في الواقع إلا مرآة تعكس بشكل أو بآخر عمل الفكر الإنساني في مراحل تاريخية مبكرة، استغرقت نحو ٩٩٪ من حياة الإنسان قبل أن ينتقل إلى طور الحضارة والتمدن، فعمد في ضوء ماكسبه من خبرة ومعرفة خلال ملاحظاته لظواهر الطبيعة وأثرها في حياته اليومية وعلاقاته الإجتماعية إلى تجسيدها على شكل آلهة تكمن خلف كل ما يراه من أحداث تجري في الطبيعة، وحدد لها أماكن معينة لعبادتها. منطلقاً من

خيال منفعل وعواطف إنسانية جامحة، وعلى سبيل المثال لا الحصر نقول أن العقل الإنساني تفتق عن مخيلة لتفسير ظاهرة الخصب والقحط، فجسد هذه الظاهرة في إلهة أنثى عرفت في كل الحضارات القديمة باسم الإلهة الأم الكبرى، وهي المسؤولة عن خصب الأرض ونماء النبات والحيوان، ومصدر عيش الإنسان ورغده. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مرحلة متقدمة في نشوء العلوم وتعليل الظواهر الكونية.

ومما لاشك فيه أن الأساطير تتحدث عن شخصيات تاريخية عاشت فعلاً في خضم أحداث جسام، وقد جنح الخيال إلى تعظيمها وإضفاء هالة من القدسية والبطولة الخارقة عليها مع مرور الزمن، والإنسان يحن بطبعه إلى الماضي البعيد. ويجد فيه الحياة المثلى الكاملة الخالية من كل الشوائب التي تكدر صفوه، وتنغص عليه عيشه، ولا أرى أجمل من أن نستعيد تلك الكلمات المؤثرة التي عبر فيها الإنسان السومري عن لوعته وحنينه إلى الماضي السعيد باكياً فردوسه المفقود:

«في غابر الأزمنة، كان ذلك منذ وقت بعيد
كان لايوجد ثعابين وعقارب
ولا ضباع وسباع
كان لايوجد كلب وحشي ولا ذئب مفترس
لاخوف ولا بأس
إذ لم يكن للإنسان عدو يخشاه»

وكذلك كان شعور المواطن المصري القديم عندما قال:

«لم يكن في البلاد ظلم
ولم يكن أي من التماسيح ليعتدي
ولم يكن هناك عضات أفاع
كان ذلك في عصر الآلهة منذ الأزل»

ولا أظن أننا أحسن حالاً في نظرتنا إلى الماضي السحيق والقريب، والعصر الذهبي الذي انقضى ومضى مازال عالقا في مفكرة العقل البشري

عبر كل العصور، ومهما كان الأمر فإننا نعلم اليوم علم اليقين بما توفر لدينا من مراجع وأبحاث أن جلجامش بطل الملحمة المعروفة باسمه كان ملكاً سومريا حكم في مدينة «أوروك»، وعاش في الفترة الواقعة بين القرنين الثامن والعشرين والسابع والعشرين قبل الميلاد، وقد أُله بعد مماته، وأصبح واحداً من آلهة العالم السفلي، حيث ورد اسمه في قائمة أسماء الآلهة المكتشفة في مدينة «فارا» في جنوبي الرافدين، وهو ابن لوكالبندا ونينسون المتألهين أيضاً.

ولا يختلف الوضع كثيراً في ملحمة «الأوديسة» الإغريقية، فقد استعارت أبطالها من قصص وخرافات كان مسرحها البحر، وكان هؤلاء الأبطال أمراء حقيقيين عاشوا في محيط الحضارة المسينية، ولذلك لا نستغرب أن يصف بعضهم الأسطورة بأنها صورة متنكرة عن التاريخ. وتتميز الأسطورة عن غيرها من ضروب الأدب والفن بأنها كانت تخضع بأسلوبها وطريقة عرضها للأحداث إلى العواطف الإنسانية المنفعلة، فتصرّفُ «هيلينا» تجاه عشيقها «باريس» ما كان ليجري كما جرى، لو لم تتحقق في ذلك رغبة وإرادة الإلهة «أفروديت»، إلهة الحب والجمال في الحضارة الهلينية. وهكذا نرى أن الأسطورة تلامس بشكل أو بآخر المعتقدات والشعائر الدينية، ولم يذهب «زينوفانيس» بعيداً في تفسيره للأسطورة عندما قال: «أنها حكايات القدماء في الدين».

وقد استنبط سقراط صفات الآلهة ووظائفها من خلال أسمائها المنقوشة على تماثيلها، كما رأى بعض الباحثين في الأسطورة تجسيداً لفلسفة الأقدمين في صور مجازية، فالقتال الذي كان يحدث بين الآلهة يعكس في الحقيقة التنازع بين عناصر الطبيعة المختلفة مثل الهواء والماء، والنار والتراب، أو بين عواطف إنسانية مثل الحب والكراهية، أو استعداء الشعوب على بعضها، فعندما تشن «إنانا/ عشتار» حربا لاهوادة فيها على الإله «إبخ» المشخص بجبل حمرين، فالمقصود بذلك هو نضال البابليين ضد الشعوب الجبلية الشمالية في بلاد مابين النهرين، وقد نشأت هذه

الأسطورة عقب انتصار «أوتوخنجال» حاكم «أوروك» على الشعب الغوتي الجبلي حوالي (٢٠٦٠) ق.م. كما أن أسطورة «إنانا وإنكي» السومرية، والتي تحاول فيها إنانا سرقة ألواح القدر من «إنكي» إله الأعماق والمحيطات في مدينة «إريدو»، تعكس التنافس بين المدينتين «أوروك» و «إريدو» وفعلا تتمكن «أوروك» من نزع قصب الريادة من «إريدو».

وففي أسطورة «إنانا وشوكال إتوادا» نرى تطاول البشر على الآلهة نفسها، إذ يتجرأ البستاني بطل الأسطورة على اغتصاب الإلهة «إنانا» وهي غافية في بستانه، بعد رحلة طويلة متعبة، فتنتقم الإلهة من بلاد سومر بابتلاءها بسلسلة من المصائب، ولكن الجاني نفسه يتمكن من النجاة بالتجائه إلى المدينة.

فالأسطورة كما نرى شديدة الصلة بالدين والفن، لأنها كما قال كارل ماركس في معرض حديثه عن علاقة الدين بالفن، تعكس التصورات العفوية البدائية الأولى في محاولة فهم الإنسان لميكانيكية الكون سواء في الشعر أو الفنون الجميلة، ولفهم لغة الفنون وتطورها عبر التاريخ لابد من دراسة الأسطورة والدين، وعلاقتهما المتبادلة في تأثيرهما على المجتمع، والإرتقاء بوظائفه الاجتماعية والاقتصادية.

ولايمكن أن نغفل دور الأسطورة في إيقاظ الوعي القومي الإستبدادي كما حدث إبان الحكم النازي في ألمانيا حيث بثت روح الحياة من جديد في الأساطير الجرمانية القديمة على حساب الدين المسيحي والمتدينين، وذلك من خلال الفنون الجميلة. وكذلك تستطيع الأسطورة أن تشد عزائم الشعوب الأقل تطوراً في حثها على مقاومة الإستعمار والإستبداد كما هو الحال لدى الشعب المكسيكي والهنود الحمر.

والجدير ذكره أن الإنسان بدأ ينظر إلى الأسطورة نظرة نقدية فاحصة عندما تكونت لديه أفكار عامة في العلوم والفلسفة، فلم يعد يقنع بتفسير ظواهر الطبيعة في ضوء ما تقدمه له الأساطير. وكانت البداية منذ نهاية

العصر الكلاسيكي، وبلغ الذروة في العهد الهليني، حيث جردت الأسطورة من الخرافات والتهويلات للوصول إلى حقيقة ماهو تاريخ، وما هو مختلق من إبداع المخيلة البشرية.

وقد خضعت الأسطورة عبر التاريخ إلى تفسيرات وشروح تخدم النزعات الفردية والحكم المطلق، لما تحويه من مضامين وشعائر دينية، وذلك بما يتلاءم ومصالح الحكام الاستبدادية والقمعية. وهذا ما نراه بكل وضوح على المنحوتات في فنون الشرق العربي القديم. فقد آله الملوك أنفسهم، واستعاروا طراز لباس الآلهة ورموزها.

وكان «نارام سن» حفيد صرغون الأكادي الكبير أول من تجرأ على وضع تاج الألوهية على رأسه، وأشار إلى اسمه بالرمز الإلهي المعروف في الكتابات المسمارية، وكان ذلك حوالي (٢٢٧٠) سنة قبل الميلاد، واقتفى أثره بعد ذلك ملوك سلالة أور الثالثة، الذين حكموا بلاد الرافدين إبان عصر النهضة السومرية.

والملفت للنظر أَن علماء الآثار لم يعثروا على جثة أي واحد منهم خلال أعمال التنقيب المنهجي، فقد كانت المدافن المخصصة لإيواء رفاتهم خاوية على عروشها عند اكتشافها؛ وتفسير ذلك أن جثة المتوفى كانت ترفع فوراً بعد دفنها لأن الآلهة لاتموت وتدفن مثل البشر، وعوضاً عن ذلك شيدت معابد فوق المدافن لعبادة الملوك المتألهة.

ولم يقتصر استغلال الأسطورة ذات المضمون الديني لصالح الحكم في مدنيات الشرق القديم فقط بل شمل أيضاً الحضارة الرومانية، وإن اختلف نسبياً في أواخر العصر الروماني، إلا أن الإختلاف لم يكن جذرياً عما نعرفه في السابق.

أما في العصور الوسطى فقد تحولت الآلهة إلى رموز فلسفية، كما تطورت موضوعات الأساطير إلى فلسفة أخلاقية، وأصبحت تشكل في عصر النهضة الأوربية ذخيرة فذة ومعيناً لا ينضب لموضوعات الفنون

والآداب بشتى أصنافها وتعدد مشاربها، فبلغت قمة التألق الجمالي، واتخذت قواعد ومبادىء لاغنى عنها في تخطي عصور الظلام القاحلة، وهدفاً أسمى تسعى إليه البرجوازية الناهضة لتحقيق ذاتها وطموحاتها الإنقلابية، وذلك لترسيخ قيم أخلاقية وجمالية جديدة.

ولم يكتف إنسان عصر النهضة بالعودة إلى مقاييس الجمال والمثل العليا في العصور الكلاسيكية فقط، بل وجد تشابها بين موضوعات الأساطير ذات الصبغة الدينية الوثنية وموضوعات الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد (التوارة والإنجيل)، فرأى إنسان عصر النهضة على سبيل المثال في شخصية السيد المسيح تجسيد للإله «أبولو»، وفي شخصية العذراء الإلهة الأم، وفي حواء أفروديت وفينوس، وزاد على ذلك بأن أضفى عليها مسحة واقعية إنسانية مستوحاة من روح العصر والبيئة، كما ركز على النواحي الإنسانية الإيجابية في حياة أبطال الأساطير، فحض على الاستمتاع بمباهج الحياة، والبعد عن الزهد والتقشف، والإستمتاع بأطايب الدنيا والتلذذ بكل ما تقدمه من أحاسيس جميلة مرهفة، وذلك من خلال المتع الحسية وتقديس الجمال حيثما وجد في الفن بكل أنواعه وأصنافه.

لقد بدأت عادة جمع الأساطير بشكل منظم منذ عام (١٦٠٠) م، وشكلت الأساس لما عرف باسم الميثولوجيا (علم الأساطير) في القرن الثامن عشر، حيث خضعت الأسطورة لمقاييس النقد والتحليل، وفسر مضمونها تفسيراً إنسانياً عالمياً يتناسب وفكر عصر التنوير، ويخدم في الوقت ذاته مصالح الطبقة البرجوازية الناهضة، والفكر التقدمي الذي بدأ يشق طريقه في القرن التاسع عشر، وقد انعكس كل ذلك على الفلسفة والأدب والتاريخ.

وأصبحت الأسطورة تدرس مذاك في ضوء علم الإجتماع. وتفسر على أنها مرآة تعكس نفسية مؤلفيها، الذين كانوا عاجزين عن الإفصاح عما يجول في خواطرهم من أفكار بلغة مبينة، فهم لم يدركوا الوجود إدراكاً

سليماً، فجاءت الأسطورة مفسرة للإدراك الناقص وتأويلاً لشعائر دينية انقرضت وإن هي اتسمت بالمغالاة والأطناب فذلك لإظهار أهمية حادثة ما في جيل مضى وزال أثره، ورسخت بعض رواسبه في أذهان الناس جيلاً بعد جيل. والإنسان كما ذكرنا سابقاً مفطور على تعظيم الماضي وتقديسه، ومن هنا نشأت فكرة تقديس السلف الصالح التي تصل إلى درجة العبادة والأسطورة عموماً لاتنسج إلا بعد أن تزول الفكرة البدائية التي دعت إلى نشوء الشعائر والتقاليد.

فليس غريباً والحال على ماهي عليه أن يهتم علماء اللاهوت والأديان بدراسة الأسطورة وما يرافقها من تراتيل وتعاويذ ومدائح إلهية دراسة مستفيضة، لأنها في الواقع تشكل مركز الثقل في كل الديانات، ونتلمس آثارها في سلوكنا اليومي، فهي لم تعد مجرد خرافات ورثناها من العصور الغابرة بل مرشداً حقيقياً لفهم إنساننا المعاصر، الذي يعاني أزمات نفسية حادة، نتيجة الحروب والصراعات وعدم استقرار الأمن الاقتصادي، والاجتماعي.

وإذا كنا نشهد اليوم الأدباء والفنانين يستعيرون من الأسطورة رموزها المجردة في إبداعاتهم الفكرية والفنية والأدبية، فذلك لأن الأسطورة أقدر من أي شيء آخر على الإفصاح العفوي عن مكنونات النفس البشرية والأفكار المجردة، التي تعجز عنها اللغة مهما بلغ شأنها في التطور والبلاغة، إذ أن للأسطورة لغتها الخاصة القادرة على ترجمة اللامعقول واللامفهوم إلى صور ناطقة مفعمة بالحياة صارخة بالأحداث، وهي لاتساعدنا على فهم الديانات القديمة وتعددية الآلهة فقط بل الديانات التوحيدية أيضاً فمن منا يستطيع فهم الآية الكريمة «أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين» [الصافات ٣٧: ١٢٤]، لولم نعرف من هو بعل، وما دوره في الحياة الدينية الكنعانية القديمة وأثره على الديانات الوثنية في الجزيرة العربية قبل الإسلام؟

* * *

عندما انصب الاهتمام على دراسة الأسطورة في أوربا خلال القرن الثامن عشر لم تكن حضارة الوطن العربي قد اكتشفت بعد، لذا لم تنل أساطيره الدراسة اللائقة به إلا بعد أن امتدت معاول المنقبين ورفوشهم إلى باطن التلال المنتشرة بكثرة على ضفاف الرافدين وفي سورية.

ونعني بالتلال تلك التي كانت تشكل فيما مضى أمهات مدن الحضارة في العالم القديم، حيث بُعثت من رقادها الطويل لتحكي لنا قصة النشوء والإرتقاء لمولد الحضارة ليس في مشرقنا العربي فحسب بل في العالم كافة، فمنذ البدء كان مولد الكلمة هنا، ومن هنا سطر الإنسان قصته، وحكاياه، وصراعه مع البيئة والوجود، ولم تنته القصة بعد، فهناك آلاف التلال لم تزل غافية فوق رفات الزمن، تنتظر من يكشف خفاياها ويرفع النقاب عن أسرارها، وينشر لآلئها.

لقد كتب الإنسان على الطين، فلم يكن من السهولة بمكان مطالعة كتب الأقدمين المرقومة على صفحات الطين الطري بأقلام القصب، والمجففة بالهواء والشمس حيناً وبالشي على النار أحياناً.

فكان على علماء الآثار أن يقدموا للمختصين ما عثروا عليه خلال تنقيباتهم آلافاً مؤلفة من الرقم الطينية، بعضها سليم استطاع أن يقاوم عوادي الزمن، وبعضها الآخر عضهُ ناب الدهر فحوله إلى فتات هش. وقام المختصون بدورهم بدراسة اللغات القديمة وذلك بجمع آلاف الكسر الطينية المهترئة، والمدونة بالخط المسماري، ثم عمدوا إلى ترميمها ولصقها وإعادة شيها من جديد إذا لزم الأمر قبل تصنيفها وترتيبها، وفق ما تحويه من مضامين اقتصادية وسياسية وإدارية ودينية وأسطورية، ومن ثم تصدوا لشرح المفردات والنصوص نحواً ولغة ومقارنة.

والجدير ذكره أن النصوص الأسطورية موضوع بحثنا لم تصلنا من باطن الأرض كاملة أو دفعة واحدة، من موقع واحد أو مواقع مختلفة، نظراً

لطبيعة العمل الأثري، إذ ليس خافياً على أحد أن الأساطير كانت تتناقل من جيل إلى آخر، ومن منطقة إلى أخرى، وبلغات شعوب مختلفة، فكم من نص سومري ناقص عُثر على أجزائه المتممة بلغة أخرى في مواطن بعيدة جداً عن مراكز التمدن الحضاري السومري في جنوبي بلاد الرافدين، ورغم ذلك مازال هناك نصوص كثيرة ناقصة بحاجة إلى سد الثغرات فيها، ولن نفاجأ إذا ما أتحفتنا السنوات القادمة بمحفوظات مكتبات ضخمة في تلال قيد التنقيب الأثري، لاتقل أهمية عن مكتبة آشور بانيبال في نينوى أو الأرشيف الملكي في كل من ماري وإبلا وأوغاريت.

ورغم أن ملامح الحضارة الإنسانية البكر بدأت تتضح شيئاً فشيئاً في ربوع الشرق القديم بفضل العمل الأثري الجديد والمتواصل منذ نهاية القرن التاسع عشر، إلا أن صورتها لم تكتمل بعد وتأخذ شكلها النهائي، فإلى جانب نصوص معروفة منذ حوالي مئة عام، لازال يضاف إليها كل يوم جديد، ناهيك عن محفوظات الرقم المسمارية المكدسة في مخازن ومستودعات المتاحف العالمية باللغات السومرية والبابلية والحثية والأوغاريتية، ولن ينتهي العمل فيها في جيل أو جيلين قادمين، فدراستها ليست بالأمر السهل، والدراسات الأولية تخضع في كثير من الأحيان لإعادة النظر فيها في ضوء مكتشفات جديدة، ومهما كان الأمر لا نبالغ حينما نقول: أن الشرق القديم عرف أقدم حضارة تفتق عنها ذهن الإنسان، وزودنا بأقدم نصوص مدونة، وفي رحابه ارتسمت خطوط الديانات الأولى، التي أخذت شكل الأسطورة وتسربت بشكل أو بآخر إلى صلب الأساطير الغربية، ولا مراء في أن التماس الحضاري بين الشرق والغرب قد حصل على أسس روحية وفكرية منذ منتصف الألف الثاني ق.م بدليل ما أوصلتنا إليه نتائج الأبحاث الأثرية واللغوية وعلم الأديان.

ومن نافلة القول الزعم بأن الشعوب كانت تأخذ الأساطير عن بعضها دون تعديل أو تصرف، فقد كان يؤخذ بالحسبان الواقع الجغرافي والبشري والإقتصادي لكل شعب بعين الإعتبار.

صحيح أن أوروبا استلهمت الأفكار الرئيسة لأساطيرها من الشرق إلا أنها تفاعلت مع ما تحمله شعوبها من بذور أسطورية خاصة بها، حملتها معها من مواطنها الأصلية، فقد وصلت ملحمة جلجامش السومرية الأصل بصورتها البابلية المعدلة إلى الشعوب الهندو أوروبية عن طريق الشعب الحوري، الذي استوطن شمالي الرافدين وسورية ردحاً طويلاً من الزمن خلال الألف الثالث والثاني ق.م...

فإذا استطاعت الأسطورة ذات المنشأ السومري والبابلي أن تجد طريقها إلى الغرب، رغم بعد المسافات وتعثر الطرق، فلنتصور مدى أثرها على بقية الحضارات في مقاطعات الوطن العربي القديم!

فمما لاشك فيه أن مضمون الأسطورة في الجوهر والأساس واحد في كل الحضارات وإنما توجد فروقات إقليمية وجغرافية اقتضت بعض التعديل في أسماء المواقع والآلهة. حيث أننا نلمس عند قدماء العرب في الجزيرة العربية والبابلين على ضفاف الرافدين والمصريين في وادي النيل أفكاراً ومعتقدات وتقاليد متشابهة، فقصة الخلق والتكوين والبعث والطوفان هي نفسها عند الجميع بإستثناء بعض الإختلافات الطفيفة التي فرضتها طبيعة البيئة والمدنية في كل قطر.

فإذا كان كوكب الزهرة «فينوس» في نظر العربي القديم امرأة حسناء صعدت إلى السماء فمسخت كوكباً، فإن هذه المرأة الحسناء ماهي في الواقع إلا إنين السومرية وعشتار البابلية وعشتارتة الكنعانية وعشتروت التوراتية وأفروديت اليونانية وفينوس الرومانية وقس على ذلك الكثير.

وما دمنا بصدد الحديث عن الأساطير السومرية والأكادية نرى لزاماً علينا أن نعطي فكرة موجزة عن هذين الشعبين العريقين.

السومريون:

لم يثبت حتى تاريخه الجهة التي وفد منها الشعب السومري قبل أن يستوطن في الجنوب الرافدي، ولم تزل الدراسات الآثارية واللغوية والجنسية قائمة على قدم وساق لتحديد تلك الجهة، ولكن الثابت والأكيد أن الشعب السومري أبدع حضارة راقية في تلك المنطقة منذ منتصف الألف الرابع ق.م واخترع الكتابة في مراحلها البدائية الأولى، ولكن المكتشفات الأثرية هناك تشير إلى وجود حضارة ذات ماض عريق قبل أن يظهر الشعب السومري على مسرح التاريخ في الكتابات المدونة، وبإعتقاد بعض علماء الآثار أن السومريين شاركوا في بناء هذه الحضارة وطوروا حضارتي «حلف» و«العبيد» في الألفين الخامس والرابع ق.م المتوارثتين في عصور أقدم، ووفق هذه النظرية تكون الحضارة السومرية التي أرست قواعدها في نهاية الألف الرابع ق.م امتدادا لحضارات محلية أقدم ولكنها كانت تجهل فنون الكتابة والتدوين.

ومنهم من يرى أن السومريين قدموا إلى البلاد من خلف جبال القوقاز ومن شبه القارة الهندية على شكل دفعات متتالية من الهجرات، ودليلهم على ذلك وجود تشابه بين الحضارتين في كثير من المخلفات الأثرية.

ويرى بعضهم الآخر في تفسير بعض الرموز الأسطورية إشارة إلى مناطق جبلية انحدر منها السومريون، وتعبر بعض قصائدهم عن الحنين والشوق إلى الوطن الأصلي في أعالي الجبال، ومنهم من يقول أن السومريين قدموا من شبه الجزيرة العربية وبالتحديد من جزيرة البحرين، والتي يرد ذكرها في الأساطير باسم «تلمون».

ولم يزل القول الفصل في تحديد الموطن الأول للسومريين بعيداً عن متناولنا ولاندري ما تخبئه المكتشفات الأثرية واللغوية من مفاجئات في المستقبل قد تنقض كل هذه النظريات والإفتراضات، وعندئذ نقطع دابر الشك باليقين.

لم يحالف الحظ السومريين في تأسيس دولة مركزية واحدة تجمع تحت جناحيها دول دويلات المدن السومرية المنتشرة هنا وهناك، والمتصارعة فيما بينها على السيادة وقوة النفوذ، وكانت آخر محاولة من هذا القبيل تلك التي قام بها (لوكال زاجيزي) آخر ملوك سلالة أوروك، وباءت بالفشل الذريع، ولكنها مهدت السبيل أمام صرغون الكبير، الذي أستطاع أن يلملم شعث الدويلات المتناحرة تحت لواء دولة مركزية قوية، امتدت حدودها إلى الأناضول وأطراف البحر الأبيض المتوسط، وكأن الوحدة قدر كُتب على الشعب الأكادي السامي دون غيره من الشعوب الأخرى التي استوطنت المنطقة، فصرغون هو أول حاكم في الشرق القديم، استطاع أن يشيد دولة قوية موحدة مرهوبة الجانب، عاش في رحابها الأكاديون جنباً إلى جنب مع الشعب السومري، دون أن يسفر هذا المزيج العرقي عن أي صراع تصادمي بين الشعبين.

وتشبه قصة مولد صرغون تلك التي نعرفها عن النبي موسى حيث يحدثنا هو نفسه حكاية عمره بأسلوب أسطوري:

«أنا صرغون الكبير، ملك أكاد.
كانت أمي فقيرة، ولم أعرف أبي، الذي كان يقطن الجبال.
مدينتي «أزوبيرانو» على ضفة الفرات
حيث ولدتني أمي الفقيرة خلسة في السر،
دفعتني في قفة من القصب المغلقة بالأسلفت إلى النهر،
ولم يكن النهر قوياً، فانتشلني منه الساقي «آكي» برفش،
فاحتضني ورباني وجعل مني بستانياً،
وهناك في الحقل أغرمت بي عشتار، فجعلتني ملكاً على أكاد»

ونستخلص من هذا النص الأسطوري أن صرغون ليس من سلالة ملكية وإنما اغتصب العرش اغتصاباً، وسمى نفسه الملك الشرعي «شاروكين».

وتمكن شعب جبلي معروف باسم «الغوتي» من دك صرح هذه الدولة

العتيدة، وعاشت المنطقة فترة اضمحلال وتقهقر حضاري، حتى تمكن «جوديا» وهو أحد الملوك السومريين الذين حكموا مدينة «لجش» من أن يبث الحياة من جديد في جسم الدولة ويعيد أمجاد سومر الغابرة، وخلفه على العرش في «أور» ابنه «أورنامو» الذي أسس هناك سلالة حاكمة عرفت باسم سلالة أور الثالثة، استطاعت أن تهيمن على دويلات مدن المنطقة حتى ساعة أفول نجمها، وبزوغ شمس بابل التي أنجبت حمورابي المشرع القانوني الكبير، الذي استطاع أن يعيد أمجاد صرغون في وحدة المشرق العربي.

الأكاديون:

الأكاديون شعب من الشعوب السامية استقر في جنوبي بلاد الرافدين، وشارك في بناء صرح الحضارة الرافدية يداً بيد مع السومريين، ولم يكن له أثر يذكر قبل استلامه زمام الحكم بقيادة صرغون الكبير مؤسس الدولة الأكادية، التي كانت عاصمتها أكاد، وينسب إليها الأكاديون، ويبدو أن الشعب الأكادي وصل المنطقة من الجزيرة العربية عبر البادية السورية على شكل موجات متتالية من الهجرات، شأنهم في ذلك شأن بقية الشعوب السامية الأخرى، وقد داست دولتهم قرابة قرنين (٢٣٥٠ـ ٢١٥٠ ق.م).

ولا يختلف الأكاديون عن البابليين في شيء يذكر سواء في الآداب أم في الفنون حتى يصعب التمييز بين حضارتي العصرين رغم الفارق الزمني الكبير الذي يفصل بينهما مما يشير إلى منشأ واحد لكلا الشعبين، يقع في الجزيرة العربية وصفوة القول هي أن الحضارة البابلية كانت نتاج جهود الشعبين السومري والأكادي في جنوبي بلاد الرافدين، وقد سميت كذلك لتمييزها عن الحضارة الآشورية التي نهضت في المناطق الشمالية، وإلى جانب الشعبين السومري والأكادي عرفت المنطقة هجرات شعوب أخرى خلال الألفين الثالث والثاني ق.م فكان منها الشعب الغوتي والعيلامي والحوري والكشي، وقد ذابت هذه الشعوب في المجتمع الحضاري الرافدي المتمدن وتبنت لغته وآدابه، فلم تعد غريبة عن المنطقة، ومنذ نهاية

الألف الثاني وبداية الألف الأول ق.م خضعت البلاد برمتها للتأثير الآرامي، إذ تمكن الآراميون تدريجياً منذ ذلك الحين من أن يفرضوا لغتهم وكتابتهم على عالم الشرق القديم كافة، ورغم ذلك استمرت الكتابة المسمارية بكل تفرعاتها متداولة حتى منتصف القرن الأول ميلادي.

مصادر الأساطير السومرية والبابلية:

تشكل أسماء الأشخاص اللاهوتية المركبة مصدراً ثراً في تزويدنا بمعلومات عن الآلهة السومرية والبابلية، وعن انتشار شعائرها في طول البلاد وعرضها.

وقد عثر على لائحة بأسماء الآلهة في مدينة «فارا» الواقعة في جنوبي الرافدين، يعود تأريخها إلى ٢٦٠٠ سنة ق.م، وهي أقدم قائمة معروفة حتى اليوم، تتصدرها أسماء الآلهة الست الرئيسة، وهي آن وإنليل وإنانا وإنكي وإله القمر وإله الشمس. كما ترد أسماء آلهة كبيرة وصغيرة في نصوص معاملات تجارية وإدارية واقتصادية وقضائية، وكذلك في نصوص التدشين والقصائد والمدائح الإلهية.

غير أننا نطل على عالم الأسطورة والخرافة بادىء ذي بدء من خلال المدائح والأناشيد الإلهية، التي عثر على نصوصها في مواقع أماكن متفرقة، ويعود تأريخها إلى العصر الأكادي والغوتي، أما التدوين الفعلي للأساطير السومرية فلم يتم إلا في العصر البابلي القديم، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مكانة اللغة السومرية السامية، فهي وإن اختفت من أفواه أفراد الشعب كلغة محكية إلا أنها حافظت على قدسيتها ومهابتها في النصوص المدونة، وفي العبادة والشعائر الدينية.

ولدينا من روائع الأدب السومري قصيدة «سمو إنانا في عالم الألهة»، التي نقحت ودونت باللغة السومرية، وزودت بشروح وهوامش باللغة الأكادية في أواخر العصر البابلي القديم.

ويدور محور الأسطورة حول رقي الإلهة «إنانا» في مراتب الآلهة، واقترانها بكبير الآلهة «آن»، ومعروف عنها حبها للسيادة وتطلعها إلى انتزاع وظائف الآلهة الأخرى، وقد وصلت إلى ما تصبو إليه بالمكيدة والتآمر، إذ أنها تتخلى عن حليفيها إله القمر وإله الشمس، وتنضم إلى صف الإله«آن» لتتحكم بسيادة السماء، وتحل مكان قرينته «آنتوم» على عرش الآلهة، وقد جاء على لسان ابنة صرغون الأكادي في أحد تراتيلها المقدسة خلال حفل الزفاف الإلهي مايلي:

«معا مع آن العظيم

ترقدين في فراشه، في مضجعه المقدس»

للأسف لم يتمكن المنقبون الآثاريون من العثور على نصوص أسطورية باللغة الأكادية تعود إلى العصر الأكادي نفسه إلا ما ندر. ونحب أن نشير هنا إلى أن الملاحم والأساطير ذات المنشأ السومري والمتداولة على أفواه الشعوب جيلاً بعد جيل لم تنسخ نسخاً أعمى من الأصول السومرية في العصر البابلي الوسيط، وإنما أعيدت كتابتها بروح بابلية صرفة، فيها كثير من الإبداع والخلق الفني المبتكر، فيما لو استثنينا اللوح الثاني عشر من ملحمة جلجامش. فهذا اللوح لايمت إلى الملحمة بصلة، وإنما أقحم فيها إقحاماً كملحق، وهو ترجمة حرفية للنص السومري «جلجامش وانكيدو والعالم السفلي»، والمفروض أن الملحمة تنتهي في اللوح الحادي عشر، حيث أن الأسطر الأخيرة من هذا اللوح تعيد مقدمة اللوح الأول، كما أن انكيدو الذي مات في اللوح السابع، يقوم هنا بمغامرات، وينزل إلى العالم السفلي حياً فيحتجز هناك، ولا ندري بالضبط متى ولماذا أُلحق هذا اللوح بالملحمة دون تعديل أو تطوير بحيث يتناسب مع ما سبقه من أحداث.

والملفت للنظر أن الإنتاج الأدبي في العصر الآشوري بمراحله الثلاث القديم والوسيط والحديث كان عقيماً، وذلك لأن كل ما عثر عليه في

العاصمة آشور وفي نينوى في مكتبة العاهل الآشوري الكبير آشور بانيبال كان مدوناً بعد العصر البابلي القديم، ومنسوخاً من أصول بابلية قديمة ممهورة بأسماء كاتبيها، وقد زودنا الأرشيف الضخم المكتشف في تل العمارنة بأقدم نسخات مأخوذة عن أساطير أدابا، ونرجال وإريشكيجال وتؤرخ هذه النسخات في القرن الرابع عشر ق.م وأدابا هو بطل إحدى الأساطير الأكادية، وأحد الحكماء السبعة، يستدعيه الإله آن ليعاقبه بسبب إثم اقترفه بحق الرياح الجنوبية التي قلبت قاربه في البحر، غير أن آدابا ينجو من عقاب «آن» بفضل نصائح الإله الحكيم «إيا/ إنكي».

أما أسطورة نرجال وإريشكيجال فتتحدث عن كيفية زواج إله العالم السفلي من الإلهة «إريشكيجال» التي كانت تتحكم بعالم الأموات، وتهدد ببعث أرواح الموتى من مراقدها لولم يتم هذا الزواج. ويتم الزواج بفضل نصائح الإله الحكيم «إيا/ إنكي».

ولدينا نسخ أحدث عهداً عثر عليها في مدينة حران القديمة «سلطان تبه» وفي بابل، وأوروك، وقد دونت كلها في العصور البابلية الحديثة والاخمينية والسلوقية، كما عثر على نسخ سومرية في كل من نفروكيش وسيبار وفي منطقة ديالى.

وتتفاوت مضامين نسخ هذه النصوص في الإسهاب والإقتضاب والأسلوب مما يؤكد الرأي القائل، بأنها دونت بناء على روايات شفوية متعددة الأزمنة والمصادر. ومن المفيد أن نذكر هنا أن الرواية المختصرة أصعب فهما واستيعابا إن لم تكن معروفة في نصوص أخرى، وأن عناوين الأساطير كما نطالعها اليوم في المراجع المتخصصة هي تسميات حديثة من الدارسين، إذ من المعروف عن البابليين أنهم كانوا يختارون الكلمات الأولى من السطر الأول اسماً للأسطورة، كما هو الحال في أسطورة الخلق التي تبدأ بالكلمات «إنوما إليش» التي تعني عندما كان في الأعالي..

وقد عثر فعلاً على فهرس أدبي مبوب على هذا الشكل، ولا أظن أننا

اليوم نفعل غير ذلك، فقصيدة «على صدره» للشاعر نزار قباني انتشرت بين الجمهور بعنوان «أيظن» وهي الكلمة الأولى من القصيدة بعد أن شاعت ملحنه على ألسن المطربين.

كما أن طول النص في الأسطورة يختلف من واحدة إلى أخرى، فهو (١٤٢) سطراً في أسطورة «مارتو» و (٨٠٠) سطراً بعد إكمال النواقص في أسطورة «إنانا وإنكي»، ومما يزيد في طول النقص تكرار بعض المقاطع، وقد يكون هذا التكرار حرفياً أو معدلاً بعض الشيء، ولا يخلو هذا التكرار من فائدة، إذ أنه يساعدنا في استدراك السطور الناقصة أو المشوهة في النص، إذ من النادر جداً العثور على ألواح كبيرة سليمة، مما يستدعي البحث عن مشابهات في نصوص أساطير أخرى.

الأساطير السورية في الحضارة الكنعانية

تختلف طبيعة الأرض الجغرافية في القطر العربي السوري عنها في بلاد الرافدين ومصر، إذ أنها تفتقر إلى عنصر أساس يجمع أطراف اللوحة المتباينة من حيث الجبال والسهولة والمرتفعات والوديان، وغزارة الأمطار وشحها، وخصب الأراضي وجدبها، وذلك منذ أقدم العصور.

وقد أثر كل ذلك على طبيعة السكان وتطورهم ثقافياً واقتصادياً ودينياً وسياسياً، فإذا كانت دويلات المدن التي نشأت بفعل هذا الواقع الجغرافي والطبيعي تتحد لتدرأ عن نفسها أخطار الدول العظمى المحدقة بها من كل جانب، فإنها سرعان ما تعود إلى التفكك والإنحلال بعد زوال الخطر. وهي لم تتمتع يوماً ما بالإستقرار السياسي والإثني عبر كل مراحل التاريخ، التي قطعتها، وربما ساعد في ذلك كون سورية عقدة مواصلات هامة كانت تربط أطراف العالم القديم ببعضه، وجسراً تمر فوقه قوافل التجارة من الأناضول الغنية بالمعادن إلى الجزيرة العربية من جهة ومن وادي النيل إلى

بلاد الرافدين من جهة أخرى.

لقد وطئت أرض سورية هجرات شعوب عديدة، وفدت من جهات مختلفة ناهيك عن شعوب المنطقة من رافدية ومصرية وحثية. وقد أدلى كل شعب من هؤلاء الشعوب بدلوه، وتمكنت سورية من أن تستوعب كل هذه الموجات المتدفقة باستمرار، فصقلتها وهذبتها وأذابتها في بوتقة الحضارة الواحدة.

وباختصار يمكن القول أن الكنعانيين الساميين شكلوا في سورية أغلبية السكان منذ نهاية الألف الثالث ق.م ومن هنا بدأوا يتدفقون إلى شمالي الرافدين على شكل موجات بشرية متلاحقة، استطاعت أن تستقر هناك وتؤسس سلالة حاكمة بمرور الزمن عرفت باسم السلالة العمورية أو السلالة الكنعانية الشرقية التي كان من أبرز حكامها المشرع الكبير حمورابي.

وإذا خضعت ماري الواقعة على أواسط الفرات للتأثير البابلي الرافدي بحكم موقعها الجغرافي بين النهرين، فقد استطاعت أن تؤثر بدورها في عطاءات الحضارة الرافدية، أخذت وأعطت حتى أثمر اللقاح الحضاري المتبادل، وكذلك الأمر بالنسبة لمدينة أوغاريت على الساحل السوري، فقد كانت نافذة سورية على العالم الغربي، فهي لم تتلق تأثير حضارة القوتين العظميين الرافدية والمصرية فحسب بل انفتحت على العالم الغربي من خلال البحر الإيجي والجزر اليونانية.

ولا ريب أن معارفنا عن الحضارة الكنعانية تزداد يوماً بعد يوم إثر المكتشفات الأثرية الجديدة لاسيما في تل مرديخ (إبلا)، فقد ثبت هنا أن هذه الحضارة شديدة الصلة بالحضارة الكنعانية وأقدم عهداً من أوغاريت بألف عام.

ورغم ذلك تبقى أوغاريت مصدرنا الأساس في تغذية معلوماتنا عن الديانة والأساطير والملاحم الكنعانية في منتصف الألف الثاني ق.م بإنتظار ما يستجد من أبحاث على ضوء المكتشفات الأثرية في إبلا، ويكفي أن

أشير هنا إلى مقال الباحث اللغوي الأستاذ روبرت بيغس بعنوان لوحات إيبلا المنشورة عام (١٩٨٢) في سلسلة الدراسات الرافديه والذي يقول فيه:

- إن نصوص إيبلا الأدبية تتضمن قصصاً وخرافات وأساطير وأناشيد وابتهالات وتعاويذ وأمثالاً مشابهة للنصوص المعروفة في بلاد الرافدين، كما أن أسماء الآلهة المذكورة في نصوص إيبلا هي نفسها هناك مثل «إنكي وإنليل وأوتو وإنانا» إلى جانب آلهة محلية لا نعدم أن نراها في كل مكان ولكنها تنضوي تحت جناح الآلهة الرئيسة الكبرى.

وباختصار يمكن القول أن الأساطير الأوغاريتية تتمحور حول الإله بعل وشريكته عناة التي تندمج أحياناً في شخصية الإلهة «عثتارة/ عشتارة»، وخرافات تتحدث عن أعمال معجزة قام بها أفراد من البشر مثل الحكيم دانييل والملك كرت، وتشبه خرافة كرت حياة النبي أيوب، الذي يتحمل المصائب والأمراض بصبر وإيمان بعد أن فقد أملاكه وزوجه وأولاده، وصحته، أما دانييل فقد كان رجلاً صالحاً ولكن بلا خلف، وعندما يحصل على الخلف بمساعدة الإله بعل، يفقد ابنه «أقهات» بطل الأسطورة بسبب الإلهة «عناة»، وتختتم الأسطورة بعودة «أقهات» حيا، وبعودته تخضر الحقول وتخصب المراعي.

يذكرنا مضمون هذه الخرافة بقصة مولد اسحق بن إبراهيم وشمشون وصموئيل ويوحنا المعمدان، كما أن موت أقهات وبعثه تشبه إلى حد بعيد أسطورة موت وبعث الإله بعل المفسرة لتقلبات الطقس وأثرها على الحياة الزراعية خلال فصول السنة في سورية.

ومهما يكن الأمر فإن النصوص الأوغاريتية التي بدأت تشهد النور منذ عام (١٩٢٩) بفضل البعثة الأثرية العاملة في موقع رأس شمرة، تعتبر ثورة علمية وأدبية لاتقدر بثمن، حيث أنها لم تزودنا بمعلومات عن الديانة السورية الكنعانية فقط بل مهدت السبيل إلى اكتشاف الصلة التي تربطها بالأساطير والخرافات السومرية والبابلية والحورية والحثية من جهة،

والأساطير اليونانية والرومانية من جهة أخرى. وأصبحنا بفضلها نفهم غوامض النصوص المقدسة في أسفار العهد القديم، التي كانت أشبه بالألغاز والأحاجي، ناهيك عن القيمة الأدبية والفنية لهذه النصوص، فقد تمكنا بواسطتها من اكتشاف تركيب الصيغ الشعرية والصور المجازية وضروب التوريات الأدبية الأخرى، التي لاتختلف من حيث المبدأ عما نعرفه في أدبنا العربي القديم والحديث، وعن نمط تفكير إنساننا العربي وريث تلك الحضارات الكبيرة، وإذا كانت هذه النصوص تؤرخ في القرن الرابع عشر ق.م فإن هذا لا يعني أنها وليدة أفكار العصر الذي دونت فيه، فقد اعتمدت على مصادر أقدم تناولها الأخلاف عن الأسلاف جيلاً بعد جيل حتى رأت طريقها إلى التدوين الموثق في نهاية المطاف، ولا نستبعد أنها استقت كثيراً مما نعرفه عنها من مصادر مدونة أخرى أقدم عهداً مثل التي كشفت عنها التنقيات الأثرية مؤخراً في «تل مرديخ».

خصائص الديانة والأساطير الكنعانية

لابد وقبل كل شيء من التنويه بأننا عندما نتحدث عن الديانة الكنعانية فإننا نتحدث عنها من وجهة نظر رسمية كما وصلتنا من محفوظات الدولة، التي قام بتدوينها موظفون مختصون في البلاط أو المعبد، فهي بالشكل السالف الذكر تعكس المعتقدات والشعائر الدينية المعترف بها رسمياً، أما أفكار عامة أفراد الشعب وعقائدهم وتصوراتهم وهمومهم اليومية فلا تكاد نلحظ لها أثراً في كل مادون، لأن صلواتهم وإبتهالاتهم وتضرعاتهم ذهبت مع من ذهبوا أدراج الرياح، ولم تترك لنا سوى الظن والتخمين، ورغم ذلك لابد من مزيد من الدراسات الجادة حول الموضوع نفسه في ضوء ما يستجد من اكتشافات سواء في «أوغاريت» أم في «إبلا»، أم في مواقع أخرى تنتظر من يوصل إليها نسغ الحياة من جديد، ولابد لنا في هذا السياق من أن ننوه إلى حقيقة مفادها: أن الواقع السياسي الممزق الذي كانت تحياه سوريا في ظل إمارات ودويلات مدن كثيرة، لم ينعكس إطلاقاً على وحدة الفكر الديني أو الحضاري، رغم تعدد ظواهره وافتراق طرقه، بدليل أن أسماء الآلهة وأشكال الشعائر الدينية، وإن بدت متباينة في الظاهر للوهلة الأولى إلا أنها تلتقي في الجوهر والأساس في نهاية المطاف.

وقد ثبت ذلك فعلاً من خلال الدراسة المستفيضة التي خضعت لها الأساطير الأوغاريتية، فقد جاءت مضامين هذه الأساطير مؤيدة صحة المعلومات المنسوبة إلى مؤرخ سوري يدعى سانخونياتون (Sanchunjathon) كان قد عاش في القرن الرابع عشر أو السابع ق.م، وإذا كنا لم نستطع أن نحدد الفترة التي عاش فيها بدقة، فذلك لأن كتاباته لم تصلنا بنصها الأصلي مباشرة، وإنما عن طريق مؤرخين آخرين، أخذوا عنه، مثل فيلون الجبيلي في مؤلفه الضخم «تاريخ فينيقيا»، والمؤرخ

المسيحي أوذيب المتوفي عام (٣٤٠) م، وهذا الأخير استقى جل معلوماته من فيلون في مؤلفه المذكور.

كما نحب أن نشير هنا إلى أن الديانة الكنعانية وإن كانت لم تخضع لمقاييس كهنوتية صارمة مثل الديانة الرافدية أو المصرية، فهي لم تخرج عن الأطر المألوفة، رغم أنها خضعت لتطورات كثيرة عبر آلاف السنين، تبدلت خلالها بعض التصورات في المعتقدات والشعائر، فاختفت آلهة قديمة لتحل مكانها آلهة أكثر تطوراً وملائمة لروح العصر، وتسربت آلهة أجنبية إلى مجمع الآلهة الكنعاني واحتلت فيه مواقع متقدمة. وبإختصار يمكن أن نلخص جملة المعتقدات الدينية الكنعانية في مبدأين:

١ـ عملية التكوين والخلق من قبل إله قادر على كل شيء.

٢ـ عملية الخصب والإنجاب وما كان يرافق ذلك من ظواهر طبيعية اعتمدت أسباباً مفسرة لها، مثل المطر والرعد والعواصف.

وقد تمحورت الديانة الكنعانية على هذين المبدأين في الأساس، فالإله الشيخ «إيل» أنجب من زوجته «أثيرة» أجيال الآلهة، وهو في الأصل الذي خلق الأرض وفطر السماء، وفق ما جاء في وثائق «قره تبة» وتدمر وأسفار العهد القديم، وكان يتميز بالحكمة والحلم، إلا أنه اضطر إلى التخلي عن العرش وعن صلاحياته ومناطق نفوذه لابنه الفتى «بعل»، تماماً كما فعل إله الطقس في «آسيه الصغرى»، و«كرونوس» المساوي له في الحضارة اليونانية.

* * *

لقد فرضت طبيعة البيئة في الأرض السورية هذا التغيير في تقليد المناصب، وبخاصة في المناطق، التي اعتمدت مياه الأمطار في زراعتها، فالأراضي التي لا تتوفر فيها الأنهار والجداول بحاجة إلى من يوفر لها الغيث ويضمن لها المحاصيل الوفيرة، ومن هو قادر على فعل مثل هذا

الشيء سوى الإله الشاب بعل، الذي يحمل أسماء وألقاباً كثيرة، فهو «أدد» في بلاد الرافدين، وهدد في سورية الداخلية وبعل في المناطق الساحلية، وتيشوب في آسية الصغرى، بإمكانه أن يثير العواصف والزوابع برمز الصاعقة الذي يحمله في يده، ويمنح الخصب والقوة بالثور الذي يقف فوق ظهره. وعلى هذا الأساس لا نستغرب أن يذكر «فيلون» الجبيلي في كتاباته اسم زوج الآلهة «أورانوس» ممثلاً للسماء و«جه» ممثلة للأرض، فهما محور عيش الإنسان ورغده، مهما اختلفت أسماؤهما، وتعددت ألقابهما في كل حضارات شعوب العالم القديم.

لقد اقترنت بالإله بعل آلهة مؤنثة كثيرة لتشاركه في عملية الإنجاب والخصب سواء في الإنسان أم في الطبيعة، وقد اتصفت تلك الآلهة بصفة الأمومة، ولقبت بالعذروات، رغم ممارستها المكشوفة للجنس بأوضاع مثيرة للغاية، كما نطالعها صراحة في نصوص أوغاريت الميثولوجية، وهي لا تخلو أحياناً من شذوذ وعنف، قد يصل إلى حد الإغتصاب، ففي أحد نصوص التقية المصرية يقوم الإله حوروس بإغلاق فوهة الرحم عند الإلهة عناة ليفني الكون ويقضي على الخصب في الطبيعة والإنسان، فيستخدم الرب «شيث» المساوي للإله بعل في الحضارة الكنعانية كل قواه الجنسية ليعاود فتح الرحم فـ «ينز عليها كما ينز الكبش على النعجة»، إن استخدام العنف في المشاهد الجنسية العارمة لايقضي بالضرورة وجود نزعة سادية لدى الإله بقدر ماهو إظهار للطاقة الجنسية التي يتمتع بها الإله الفحل «بعل»، وما كان الأمر ليتم لولا رضى الإلهة وموافقتها الضمنية، بدليل أن عناة كانت تتمنى أن تكون هي نفسها البقرة التي يضاجعها بعل في أحد المشاهد المثيرة.. ويطلب بعل من عناة معاشرته في مشهد آخر ببراءة وعفوية مشبعة بالتورية على الشكل التالي:

«لتسكني إلي، كما كان يفعل والدانا
مثلما كان يفعل أبي، الذي أنجبنا
ونهض إليها بعل... وملأ جوفها... بإصبعه

بإصبعه ملأ عليها جوفها الإله هدد
واخترق به فم العذراء عناة
فم أعذب أخواته إليه»

ومن الآلهة الأُناث الأخرى التي تلعب دوراً بارزاً في أحداث الأساطير الكنعانية الإلهة «أَثيرة»، التي أنجبت من الإله «إيل» أجيال الآلهة، وعشتارة، وقد تختلط الواحدة بالأخرى، وتظهر بإسم جديد مثل الإلهة السورية المعروفة بإسم «أترجتيس» التي هي مزيج من «عشتارة» و «عناة»، وتظهر في المنحوتات المجسمة عارية في معظم الأحيان، ممتطية صهوة جوادها، رامية أعداءها بالنبال.

والملف للنظر أن كتبة التوارة لم يميزوا بين «عناة» و«عشتارة»، لشدة التطابق في مظاهرهما ووظائفهما، فجاء الإسم في أسفار العهد القديم بصيغة الجمع «عشتروت» التي مفردها «عشتارة».

وإذا كنا قد تحدثنا فيما تقدم عن الجانب المضيء في الحياة، والممثل بآلهة الخصب والإنجاب، فلابد لتكتمل الصورة من الإشارة إلى الجانب الآخر، وهو الجانب المظلم، الذي يفسر ظاهرة الجدب والفناء، إذ لا معنى لوجود أحدهما بغياب الآخر، فلا يمكن فهم الحياة بمعزل عن العنصر المضاد، وهو الموت، كما لا معنى للخصب إن لم يسبقه الجفاف، ولا للنهار دون الليل، ولا للخير إن لم يظلله الشر، ولتفسير هذه الظاهرة الطبيعية كان لابد من وجود إله متخصص في هذا المجال، فبرز الإله «موت» مجسداً لعوامل الفناء والزوال، متربعاً عرش الأموات في العالم السفلي، يشاطره في هذه المهام المأساوية الإله «رشف»، إله الأوبئة والدمار الكلي.

* * *

إن دراسة الأسماء الشخصية المركبة تفيدنا في التعرف على أسماء

آلهة لم تذكرها الأساطير، ولم ترد ضمن أسماء الآلهة في قوائم معروفة، مثل الإله «ليم»، فهذا الإسم معروف في أسماء ملوك ماري «زمرليم» و«يخدونليم». وقد يرد اسم إله كثيراً في نصوص نذرية مثل الإله «دجن»، ولكن لانشهد له دوراً بارزاً في وقائع أحداث الأساطير.

والأكثر غرابة ألا يتسمى الأوغاريتيون بإسم الإلهة «عناة»، الإلهة المحبوبة عند المصريين، والتي مازال اسمها شائعاً حتى اليوم في أسماء المصريات في صيغته التركية المعدلة «عنايات»، والذي يعني في لغتنا العربية العناية والإهتمام تماماً كما هو معناه في القديم.

ولا يفوتنا أن نذكر في هذا السياق أن الديانة الكنعانية لم تؤثر في ديانات المنطقة فقط بل شمل تأثيرها العالم الغربي أيضاً، حيث نرى هناك الإله الشعبي «أدونيس» قد احتل مكانة مرموقة في ديانة الحضارتين اليونانية والرومانية لم يحظ بها في وطنه الأصلي، وكذلك الإلهان «ملقارت» و «إشمون» فالأول كان معادلاً لهرقل، والثاني لإله الطب «اسكولاب»، كما وصل إيل إلى مرتبة المساواة مع الإله اليوناني «كرونوس» والإله الروماني «جوبتر».

وبقي علينا أن نذكر أن الديانة الفينيقية تمتعت بتطور مستقل في شمالي أفريقيا، تأثرت وأثرت في الديانات الأجنبية الأخرى بحكم موقعها الجغرافي البعيد نسبياً عن وطنها الأم في مشرق الوطن العربي. كما تجدر الإشارة إلى أن إسم «إيل» كان يعني في الجزيرة العربية الإله الخالق، القادر على كل شيء، وكان العرب يتسمون بإسمه قبل الإسلام، وقد عثر على الإسم مركباً في أسماء الأشخاص في وثائق نبطية وتدمرية وعربية جنوبية وفي أقصى شمال الجزيرة العربية، ولا نستبعد أن يكون هذا هو المعنى الأصلي للكلمة «إيل» في الحضارة الكنعانية بل هو كذلك قبل أن يتحول ويصبح اسم علم لكبير الآلهة.

الجزيرة العربية:

إن معارفنا عن ديانة سكان الجزيرة العربية قبل الإسلام لم تزل شحيحة، بسبب قلة المصادر المتوفرة بين أيدينا. ولذا من الصعوبة بمكان إعطاء فكرة واضحة وجلية عن الخلفيات، التي ساعدت على نشوء الأساطير وتكوين الفكر الديني، ومهما يكن الأمر لابد من إعتماد المصادر الحالية، على أمل أن يكشف الزمن عن مصادر أخرى تساعدنا في إلقاء المزيد من الأضواء على غوامض الديانة والأساطير العربية القديمة.

ومما لاشك فيه أن معرفتنا بالديانة والأساطير العربية كانت بالدرجة الأولى حصيلة الوثائق المكتوبة، التي خلفتها القبائل العربية المختلفة، ورغم أنها مقتضبة وأحياناً ناقصة إلا أنها تتميز بكونها مباشرة وأصلية لم تخضع للتنقيح والتعديل وفق ما تحمله أفكار المعتقدات المستجدة، كما أنها تنفرد بخصوصية مستقلة نسبياً سواء في الأسلوب أم في المضمون، وسواء كانت نصوصاً تعبدية نذرية أم اسطورية خرافية، وهذا ما يميزها عما نعرفه من النصوص الرافدية والأوغاريتية، ونرى لزاماً علينا أن نأخذ بعين الإعتبار مصادر المؤرخين العرب بعد الإسلام رغم ما يؤخذ عليهم من أنهم أهملوا عمداً وبشكل مقصود كل ما يتعارض مع الدين الإسلامي، أو عدّلوا في النصوص حيث يتوافق مضمونها مع معطيات فكر الدين الجديد، حتى بات من المتعذر على الباحث أن يصل إلى الكشف عن جوهر وأساس الديانة القديمة، والمبادىء الأولية التي اعتمدتها في تفسير الخلق ونظام الكون وظواهر الطبيعة.

ولذلك تبقى المؤلفات اليونانية واللاتينية حول الموضوع نفسه أقرب إلى الواقع والحقيقة، حيث لم تنل منها تعديلات وتفسيرات، وتعبر عن وجهة نظر كاتبيها، الذين رأوا في آلهة العرب القدامى تجسيداً لآلهتهم ومعتقداتهم.

ومن المصادر الأخرى التي لا تقل أهمية عما سبق وتزيد معلوماتنا

غنى، هي الفنون التشكيلية، وما تركته لنا من منحوتات ورسوم، إذ أن من محاسن الصدف أن كثيراً من هذه الفنون كانت تعالج موضوعات ذات صلة وثيقة بالدين والمعتقدات الشعبية، وبخاصة تلك التي كانت سائدة لدى القبائل العربية المستقرة، والتي عرفت نشوء المدنية والعمران منذ أمد بعيد كالأنباط والتدمريين من جهة، والقبائل العربية الجنوبية من جهة أخرى، وإن كانت هنا نادرة نسبياً وأقل شيوعاً. ولكن هذا لايعني بحال من الأحوال أن نضرب صفحاً عن القبائل العربية غير المستقرة مثل الصفوية والثمودية فهذه القبائل تركت بصماتها على شكل رسوم محفورة في الصخر، وهذه الرسوم وإن كانت لا ترقى إلى سوية فن موضوعات المنحوتات الجميلة والنقوش المجسمة إلا أنها مصدر هام من مصادر معارفنا عن ديانات تلك القبائل في مرحلة من مراحل التاريخ قبل الإسلام.

ونرى لزاماً علينا أن ننوه إلى حقيقة على جانب كبير من الأهمية مفادها أن العرب القدماء كانوا ينأون بأنفسهم عن تجسيد آلهتهم على شكل شخوص بشرية، فمبدأ التشخيص كان أبعد من أن يتوافق وطبيعتهم التجريدية التي فطروا عليها منذ البدء، وإن كنا نرى بعض تلك الآلهة مجسدة في حضارة تدمر ودورا أوربوس والحضر، فإنما يعزى ذلك إلى تأثيرات خارجية، وفدت من الدول الأخرى المجاورة.

لقد استعاض العرب عن المنحوتات المشخصة رموزاً وإشارات بأساليب فنية مختلفة، ولم يقتصر إنتشارها على الجزيرة فحسب بل كانت معروفة وشائعة في حضارات الشرق العربي القديم كافة، مما سهل على الدارسين فهمها وتحديد الآلهة التي تشير إليها، وبذلك تكون قد مهدت الطريق أمام ما يستجد من اكتشافات لفهم الديانات العربية القديمة قبل ظهور الإسلام. ولكن علينا وقبل كل شيء أن نأخذ بالحسبان أن هذه الرموز والإشارات كانت تخضع لتطور في المعاني والدلالات من جيل إلى آخر ومن عصر إلى عصر في أماكن إنتشارها، وقد تغادر أماكنها وترحل إلى مواقع أخرى فتكتسب معاني جديدة لم تكن لها في الأصل بتأثير البيئة

والناس هناك. وتشكل هذه الرموز الحجر الأساس في دراسة علم الأديان المقارن، وقد خضعت أنصاب الرموز المكتشفة في جنوبي الجزيرة العربية إلى دراسات مستفيضة من قبل الباحثين شكلاً ومضموناً.

ومن المفيد أن نذكر في هذا السياق أن رموز الآلهة تطورت بمرور الزمن وأصبحت تمثل ضرباً من ضروب الشعوذة والسحر، فقد نسي الناس بتقادم العهود المعنى الأصلي لهذه الرموز، وما كانت ترمي إليه، فلا غرابة والحال على ماهي عليه، أن خضعت إلى فهم متباين من جيل إلى آخر، وقد يختفي بعضها ليفسح المجال أمام رموز أخرى لم تكن معروفة سابقاً.

ومما لاشك فيه أن النصوص الصفوية والثمودية أفادتنا كثيراً في فهم تطور معاني هذه الرموز، وهي وإن تدنت عن مراتبها السامية، التي كانت لها يوماً، وفقدت مضامينها الدينية الأصيلة، إلا أنها تفيدنا في تتبع مسار التطور للمعتقدات والتطورات الشعبية..

ومما يؤسف له أن العمل الأثري الجاد في شبه الجزيرة العربية لم يزل يحبو خطواته الوئيدة الأولى، ولم يقف على قدميه بعد، فيما لو استثنينا المناطق الشمالية، التي قامت فيها دولة الأنباط والتدمريين. ولذلك نشكو من عدم مقدرتنا على استكمال ما نصبو إليه من معارف، وبخاصة فيما يتعلق بحضارة جنوبي الجزيرة العربية، ويكفي أن نشير هنا إلى أهمية نتائج العمل الميداني الأثري الذي قامت به ثلاث بعثات أميركيه منذ أمد ليس بالبعيد، حيث نبهتنا إلى إحتمال اكتشافات باهرة، بإمكانها أن تزيح الستار عن ماض مجهول من تاريخ الجزيرة العربية.

* * *

تتضمن الوثائق العربية المكتوبة قديماً أسماء آلهة عديدة مع ألقابها، فلو تمكنا من تحليل معاني هذه الأسماء والألقاب لوصلنا إلى كشف ماهية هذه الآلهة وتحديد صفاتها ووظائفها. فلم يكن عبثاً أن يلتفت الباحثون إلى

دراستها وإيلائها أهمية بالغة حيث أن الإله الواحد كان يحمل أسماء وألقاباً كثيرة، وهذا النهج العلمي في البحث ليس جديداً في ميدان الدراسات اللغوية واللاهوتية، وإلا أنه أصبح أكثر شمولاً واتساعاً، فقد تشير الألقاب إلى أماكن عبادة هذه الآلهة، التي تم الكشف عنها أو مازالت بصدد البحث عنها.

وتسمية الأماكن بأسماء الآلهة تعود إلى الإعتقاد الشعبي بظهور أو تجلي هذا الإله أو ذاك هنا وهناك إثر حادثة معينة، أو ظاهرة من ظواهر الطبيعة الخارقة، لذلك لايمكن فصم إسم الإله عن إسم الموقع، فكلاهما يشكلان وحدة متماسكة لايمكن تصور الأول بمعزل عن الآخر، وتفيدنا أسماء المواقع في التعرف على طبيعة الإله المعبود، ولكن هذا لايعني إطلاقاً أن نتائج هذه الدراسات قطعية لا يرقى إليها الشك، فباب الإحتمالات واسع جداً، فقد تستجد دراسات أخرى في ضوء مكتشفات جديدة، تقتضي إعادة النظر في كل ما كتب. وقبل أن نختتم البحث نحب أن نشير إلى أن اسم ثمود لا يعني قبيلة عربية واحدة، وإنما يشمل كل القبائل التي استخدمت هذه الكتابة وتكلمت بلغتها، فمن غير المعقول أن تنتشر هذه الكتابة في أنحاء شتى من البلاد وبهذه الغزارة، وهي وقف على أفراد قبيلة واحدة، كما أن الأنباط وإن كانوا عرباً أصلاء إلا أنهم تكلموا الآرامية وكتبوا بها، وكذلك الأمر بالنسبة إلى التدمريين فقد كانت الطبقة الحاكمة والسادة من العرب الأقحاح، في حين أن عموم أفراد الشعب كانوا مزيجاً من العرب والآراميين.

محمد وحيد خياطة

مدير آثار ومتاحف حلب

مقدمة

ليس عبثاً قيام محاولات في وقتنا الحاضر غايتها جمع روايات الأساطير من كل أنحاء العالم، والتي تعود إلى آلاف من السنوات الخالية لاشباعها درساً وتمحيصاً، فقد تغير موقف الانسان من الأسطورة تغيراً جذرياً في العشرينات من هذا القرن، فلم نعد نشعر بالاستغراب وعدم المبالاة تجاه الأجيال السالفة التي كانت تتحدث برزانة عن «العصر الاسطوري»، إذ استيقظ لديهم الاحساس بقدم الماضي وأهميته، وبدأوا بنظرون إلى الحوادث الاسطورية نظرة واقعية كنظرتهم إلى الحوادث التاريخية، وأصبحت دراسة الدين والاسطورة تحتل نفس المكانة التي كانت تحتلها الدراسات الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية المدنية، زد على ذلك أن هذه الدراسات العصرية لم تعد معزولة عن دراسات الأساطير بل تشاركها في كل مجالات البحث والتدقيق من حيث الأثر والتأثير المتبادل بينها.

وبدأنا نحس بمدى أهمية العلاقات المترابطة في كل مجالات الحياة عبر آلاف السنين، حيث أننا نستطيع أن نتتبع حدثاً تاريخياً واقعياً فريداً من نوعه دخل عالم الاسطورة فيما بعد، ولكن، وبنفس الوقت نتبين أثر هذا الحدث الاسطوري في أسس علاقاتنا الاجتماعية اليوم، فالأسطورة ليست كما كانت تفهم على أنها «تاريخ الآلهة» أو خرافات العصور الخوالي بل هي مرشد حقيقي لفهم سلوكنا اليومي، فالحدث الأسطوري الذي كان يوماً ما حقيقة واقعة يعيد نفسه على شكل مسلمات ليس في وقتنا الحاضر فقط بل في المستقبل أيضاً، وهو الدعم الحقيقي الذي يقدمه الدين لنا

لحفظ التوازن والاستقرار في النفوس المضطربة تجاه الأخطار اليومية المحدقة بوجود انساننا المعاصر.

وبهذا المفهوم تحتل الأسطورة مركز الثقل في كل الديانات نتلمس آثارها في تراتيل الصلوات وأشكال التعاويذ ونصوص الأناشيد، ونرددها خلال ممارستنا لشعائر الطقوس الدينية يومياً، وغالباً ما تتسرب الأسطورة على شكل مدائح إلهية لتصبح مراجع لاهوتية لا غنى عنها.

وبالفعل يصعب علينا جداً أن نضع حداً فاصلاً بين الأسطورة والدين، ومعظم الوقائع والشعائر والطقوس التي لا خلفية لاهوتية لها ولا تطمح أن تتحول إلى رموز دينية مجردة تصب في النهاية في مجرى الأسطورة. وللأسطورة مقدرة فائقة على الافصاح عن مكنونات النفس البشرية وعن عالم الأفكار المجردة تعجز عنها اللغة المحكية، وذلك أنها تمتلك لغة خاصة بها قادرة على ترجمة اللامعقول واللامفهوم إلى صور ناطقة مفعمة بالحياة صارخة بالأحداث، وهذا لا يعني إطلاقاً أن مجال الأسطورة محصور ضمن نطاق الديانات القديمة وتعددية الآلهة في النظريات المحدثة، بل يشمل أيضاً الديانات التوحيدية الكبيرة.

ومن خطأ الرأي الاعتقاد أن قاموس أساطير مثل قاموسنا هذا بامكانه أن يسد كل احتياجات القارىء فيما يتعلق بمجالات الاسطورة، ان مثل هذا الطلب لا يمكن أن يلبي إلا ضمن دراسات دينية مقارنة تفي الموضوعات حقها، إلا أن هذا لا يعني الإقلال من أهمية هذا القاموس، فقد كان دأبنا وما زال ارضاء الحاجة الماسة للمعرفة بما جمعناه من مواد اسطورية من أقطار عديدة تتناسب والمستوى التخصصي العلمي في وقتنا الراهن، ونحب أن نضيف أيضاً أن مناطق كثيرة من العالم لم تزل مقفلة أمامنا، ولا نعرف عن أساطيرها شيئاً، وهي بأمس الحاجة إلى عمل متكامل يبرزها، ويعود السبب في عدم معرفتنا لها أنها لم تكن مكتشفة بعد، ولدينا على سبيل المثال منطقة الشرق العربي القديم الذي لم يعرف إلا منذ أمد قصير، ولم تزل مشاكل كثيرة معلقة لم يستطع الباحثون التغلب عليها حتى يومنا هذا، فمنذ أقل من ثلاثين سنة مضت (من تأريخ وضع القاموس) تفتحت أمامنا نوافذ جديدة تطل على عالم الأساطير السورية الكنعانية بواسطة النصوص المكتشفة في مدينة أوغاريت، والتي كانت مجهولة ومخبأة تحت أنقاض العصور، فأصبحت الآن مقروءة ومفهومة، وكذلك الحال بالنسبة إلى الطقوس الدينية الحثيّة، والأهم من كل هذا، الأساطير

السومرية ذات المضامين الواسعة والمتنوعة في بلاد ما بين النهرين التي درست دراسة جادة وموفقة في السنوات الأخيرة التي أعقبت الحرب الكونية الثانية، ولم تخل دراستها من مشاكل وصعاب ومشقات اعترضت سبيل الباحثين، وذلك بجمع كسر آلاف الرقم المسارية المهترئة ولصقها وترتيبها وشرح مفرداتها نحواً ولغة.

ومن البديهي أننا لا نقدم هنا نتائج أكيدة لا يرقى إليها الشك، أو عملاً متكاملاً لا تعتوره الهنات، فميدان البحث لم يزل مفتوحاً، وأعمال التنقيب الأثري تتحفنا كل يوم بجديد.

وهناك شيء آخر لا بد من توضيحه، وهو أن النقص في النصوص وفي المرويات وفي معارفنا أجبرنا على إهمال أهم جانب تتحلى وتتميز به الأسطورة، وهو الجانب الشعري حيث لا ينسجم وشكل ترتيب القاموس، فالمعروف عن الأساطير أنها كانت تنشد شعراً ملحمياً سواء كانت متضمنة تعاويذ أو ابتهالات دينية، كما يشارك في احداث الأسطورة أشخاص عديدون لا غنى عنهم في توزيع الأدوار خلال سرد الرواية، وبهذا الشكل لا يمكن للقاموس أن يقدم معلومات غاية في الابداع في صيغة شعرية، ونحن مضطرون في سبيل البحث عن موضوع متكامل أن نجزء القصيدة ونقتطع منها ما يلزمنا لتوضيح فكرة ما، وحرصاً منا على الموضوعية العلمية، فإننا لم نلجأ إلى تكميل بعض النصوص الناقصة، خوفاً من أن تظهر الاكتشافات الأثرية مستقبلاً مضموناً مغايراً لتفسيرنا، ولهذا تركنا الاجتهاد في الشرح والتفسير لعلم الديانات المقارن، وآثرنا أن نعرض واقع الحال كما هو.

كما أنه يجب عدم النظر إلى «قاموس الأساطير» على أنه موسوعة تتضمن كل معلوماتنا عن ديانات الأقطار والشعوب المختلفة، فهذا يتطلب منا تبويباً آخر مرتباً ترتيباً أبجدياً مخالفاً للشكل الذي اخترناه لقاموسنا، الذي يحوي مضمون نتائج أبحاث حضارات أقطار مختلفة.

ونحن ان اخترنا أساطير الشرق القديم موضوعاً لهذا القاموس فليس لأن هذا الشرق جسد أقدم حضارة عرفناها، وزودنا بأقدم المدونات الكتابية بل لأن في رحابه ارتسمت خطوط الديانات الأولى التي أخذت شكل الاسطورة، وتسربت بشكل أو بآخر إلى صلب الأساطير الأوربية، ولم تزل تعمل فعلها المؤثر حتى يومنا هذا.

وإذا كنا لم نستطع تتبع الطريق الموصل إلى الجذور لنتأكد من أصول هذه الأساطير وتواردها وانتقالها من شعب إلى آخر، إلا أننا على ثقة تامة بأن التبادل

الحضاري بين الشرق والغرب انما تم على أسس فكرية روحية منذ منتصف الألف الثاني ق . م بدليل نتائج الأبحاث الأثرية والتاريخية .

ولكن هذا لا عني اطلاقاً أن تتبنى شعوب أساطير شعوب أخرى دون تعديل أو توفيق حيث تتلاءم وفق المعطيات الجغرافية البشرية والاقتصادية والاجتماعية الخاصة بكل شعب .

وباختصار يمكن القول أن أوربا أخذت الأفكار الأساسية من أساطير الشرق القديم ومزجتها مع ما كانت تحمله في مواطنها من بذور اسطورية خاصة بتاريخها القديم ، وعلى سبيل المثال يمكن تتبع خطوات تنقل الاسطورة السومرية الأصل عن الانسان الإله جلجامش ، وانتقالها بشكلها البابلي المعدل إلى الحثيين في آسيه الصغرى بواسطة الحوريين ، وإذا كنا لم نتعرض إلى مثل هذه التفاصيل الدقيقة ، فعذرنا في ذلك أن نصوص الأساطير المكتشفة في موطن الشرق القديم لم تكتمل بعد ، فإلى جانب نصوص معروفة منذ حوالي مئة عام يفاجئنا علماء الآثار كل يوم بجديد ، ولم يزل علماء اللغات منكبين على دراسة اللغات السومرية والحثية والأوغاريتية بجد ونشاط دون كلل أو ملل ، وسوف تحتاج دراسة النصوص إلى جيلين قادمين آخرين دون أن تنتهي ، ونحن لا نزعم أن لدينا القول الفصل في شرح النصوص الناقصة أو الغامضة ، كما أننا لا نستطيع البت في تحديد الشخصيات الرئيسة المتناقضة للأسباب التي نوهنا عنها ، ونأمل أن يؤخذ كل هذا بعين الاعتبار .

وأخيراً لا آخراً نعود لنؤكد أن فهم الدين من خلال الأسطورة لا يقتصر على الماضي فقط بل يشمل عصرنا الراهن أيضاً .

● المؤلفون

تمهيد

ان الهدف من وضع قاموس للأساطير السومرية والأكادية على شكل مقالات صغيرة مرتبة ترتيباً أبجدياً هو اعطاء فكرة عامة وسريعة للمهتمين تساعدهم على المزيد من التقصي والبحث، علما أن المصادر التي نستقي منها معلوماتنا لم تنضب بعد، بل هي في ازدياد متواصل كما أن البحث جار على قدم وساق، وبخاصة فيما يتعلق بالسومريات، وأصبحت اللغة السومرية مفهومة إلى حد بعيد، إلا أن الأساطير المدونة بها على الرقم غير كاملة، ومن العسير علينا اتمام السطور الناقصة في النصوص، كما أن هناك بعض النصوص التي لم تدرس دراسة لغوية اطلاقاً.

ورغم ذلك استطعنا أن نلم بحياة بعض الآلهة الماماً لا بأس به في بعض المقالات، وكانت النتيجة أن العرض جاء غير مرتب ترتيباً لائقاً، وذلك لعدم استطاعتنا حصر الموضوعات في إطار محدد واضح المعالم، نظراً لطول المقال أو قصره، وطول المقال أو قصره لا يعني اطلاقاً أن الموضوع أكثر أهمية من غيره بل يتناسب ومعطيات المعارف المكتسبة في وقته، وقد يكون موضوع المقال القصير مثيراً وهاماً، ولكن لا تتوفر المصادر الكافية لإغنائه.

ونحن ان اعتمدنا التسمية الشائعة (الأساطير السومرية والأكادية) فلا يعود السبب في إطلاق هذه التسمية إلى أن السومريين أو الأكاديين ليس لهم أساطيرهم الخاصة بهم بل كان اختيارنا لأسباب عملية، وكان بإمكاننا أن نخصص قسماً مستقلاً لكل منهم، ولكن هذا يتطلب منا بحث الآلهة السومرية المحلية العديدة وعلاقتها بآلهة الدولة الرئيسة، بالاضافة إلى كون عدد الآلهة الأكادية ضئيلاً ومحدوداً بالمقارنة

مع الآلهة السومرية ، كما أن التقارب الديني بين الشعبين ، وتبني الأكاديين للآلهة السومرية مع بعض التعديل الطفيف يجعل اجراء عملية الفرز شبه مستحيلة ، إذ يتطلب ذلك وقتاً طويلاً يستغرق سنوات عديدة ، وعملاً ضخماً تضيق به صفحات هذا القاموس ، ولذا عمدنا إلى حل نأمل أن يكون مرضياً ، وذلك بتمييز السومري عن الأكادي خلال سرد المصطلحات والمعارف في موضعها من التسلسل الأبجدي .

وقد وضع القسم الأعظم من هذا الكتاب في صيف عام ١٩٥٩ ، وجرت منذ ذاك بعض التعديلات الطفيفة واضافات مراجع مستجدة .

ولا بد لي هنا من أن أشكر الأستاذ الكريم فالكن شتاين في هايد لبرج الذي تفضل وأعاد النظر في مخطوطة الكتاب قبل طبعه .

أ ـ لمحة تاريخية :

يشكل السومريون والأكاديون الأرضية الحقيقية لحضارة مابين النهرين، والسومريون شعب مهاجر حط في أرض الرافدين بعد أن غادر وطنه الأصلي الذي يقع في مكان ما في آسيا، ولا أحد يعرف موضعه بالضبط حتى يومنا هذا، واستطاع هذا الشعب الفذ أن ينخرط مع السكان الأصليين ويذوب فيهم، وبقي تأثيره الحضاري من حيث اللغة والكتابة والدين مستمراً خلال كل العصور التاريخية الكتابية حتى ساعة انطفاء الومضة الأخيرة من حضارة الكتابة المسمارية في الشرق القديم.

أما الساميون فهم قبائل بدوية هاجرت من الجزيرة العربية إلى أرض الرافدين على دفعات وموجات متدفقة باستمرار، وكانت تشكل عناصر سكانية قلقة تتجدد دون انقطاع عبر المسيرة الحضارية الطويلة، ولكنّ السومريين هم الذين اخترعوا الكتابة، وبواسطتهم تعلم الأكاديون الساميون أن يدونوا لغتهم المحكية، ويعبروا عن نتاجهم الفكري والديني والأدبي على الألواح الطينية بالخط الاسفيني التي حفظها الدهر لنا كمراجع ومصادر، وإلى جانب الشعبين السومري والأكادي وطئت أرض الرافدين شعوب أخرى خلال الألفين الثالث والثاني ق. م مثل الغوتيين والعيلاميين والحوريين والكشيين، ولكن دون أن يتركوا خلفهم أثراً يذكر، وكانوا قد جاءوا إما سلماً كمهاجرين أو حرباً كغزاة وفاتحين، ولم يتمكنوا من فرض لغتهم ودينهم على سكان البلاد بل تبنوا هم أنفسهم لغة ودين وحضارة الشعبين السومري والأكادي شأنهم في ذلك شأن القبائل السامية الأخرى التي جاءت فيما بعد، وتخلت طواعية عن لهجاتها المحلية لصالح اللغة البابلية، وتأقلمت مع معطيات الحضارة الرافدية التي وجدتها جاهزة أمامها.

ومنذ نهاية الألف الثاني وبداية الألف الأول ق. م خضعت البلاد بأكملها للتأثير الآرامي، واختفت اللغة الأكادية كلغة محكية عن الوجود منذ منتصف الألف

الأول ق. م، إلا أن الخط الاسفيني (الكتابة المسمارية) مع تفرعاته استمر قيد الاستعمال حتى منتصف القرن الأول ميلادي.

واننا لنعتقد أن الشعب السامي كان مستوطناً أرض الرافدين قبل هجرة السومريين إليها منذ منتصف الألف الرابع ق. م. ، ولكن لا نعرف شيئاً عن هوية أقدم السكان ولا عن الشعوب الغريبة التي ساهمت في تكوين حضارة الرافدين قبل اكتشاف الكتابة.

والموطن الحقيقي الذي استقر فيه السومريون بعد هجرتهم من موطنهم الأصلي يعادل ثلثي المنطقة الواقعة جنوب بغداد، والمحصورة بين مجرى نهري الفرات ودجلة، وليس لدينا ما يثبت أن السومريين استوطنوا أطراف الخليج العربي رغم أن جزر البحرين تلعب دوراً هاماً وبارزاً في الأساطير السومرية (انظر تيلمون)، وتم اختراع الكتابة على الأرض السومرية حوالي ٣٠٠٠ سنة ق. م، وكانت في بدايتها صوراً محسوسة تطورت فيما بعد إلى الخط الاسفيني (المسماري)، واستمرت على قيد الحياة حتى العصر الهيليني، واستطاعت أن تستوعب كل متطلبات وحاجيات الشعب الاقتصادية والحقوقية والفكرية في التدوين، كما استطاعت أن تفرض نفسها على الشعب الحثي في الأناضول، ومنذ منتصف الألف الثاني ق. م، وصلت معرفتها أرض الكنانة مصر (انظر العمارنة)، كما استخدمها العيلاميون في ايران منذ العصر الأكادي، ومما لا شك فيه أن الأساطير السومرية والأكادية رافقت انتشار الكتابة الاسفينية في أرجاء العالم المتمدن القديم.

إن أقدم ما نعرفه عن الكتابة المدونة المقروءة والمفهومة يعود إلى القرن السابع والعشرين ق. م، حيث حل التاريخ المدون مكان التسميات الاصطلاحية للمواقع الأثرية المؤرخة وفق الطبقات الحضارية الآثارية مثل حضارة العبيد وحضارة الطبقة الرابعة في أوروك.

ولكن التاريخ القديم للشعب السومري في القرون الأولى بعد هجرته من موطنهِ الأصلي، وعصر الازدهار الحضاري السومري الأول لم يزل قابعاً في الظلام، ولا نستطيع أن نتلمسه إلا من خلال الأوابد والمخلفات الأثرية المتجلية في بناء المعابد والمنحوتات المجسمة الرائعة وفن نحت الأختام ورسوم الآنية الفخارية.

يتميز العصر الذي اصطلح على تسميته بعصر فجر السلالات منذ حوالي ٢٣٥٠ سنة ق. م، برونق ألوانه المتباينة، إذ أنه يشبه لوحة من الفسيفساء المطعمة

بأحجار ذات ألوان وأحجام مختلفة، حيث لم تقم آنذاك دولة مركزية واحدة تستطيع أن تجمع السلطة في يد واحدة، ونشأ ما يسمى بدول المدن تحكم فيها سلالات عديدة في وقت واحد، وقد يستطيع أحد الحكام الأقوياء السيطرة على دول مدن أخرى مجاورة له فيضمها إلى مناطق نفوذه، ولكن سرعان ما يتخلى عنها حين ظهور حاكم آخر أشد منه قوة وبأسا.

وقد يصل الطموح بأحدهم أن يدعي بأنه يحكم بلاد بابل بأكملها. ولدينا بعض أسماء الحكام المشاهير بعضهم تاريخي عاش فعلاً، وبعضهم دخل عالم الخرافة والأسطورة، وتناقلت أخبارهم الأجيال، الخلف عن السلف مثل لوكال بندا وجلجامش في أوروك وميزانيپدّا من أور وميزيليم من كيش وإأنا توم من لجش.

كان الأكاديون يشكلون مجموعة قبائل بدوية سامية تتكلم لغة واحدة، واستطاعوا أن يجدوا منفذاً لهم داخل الأرض الرافدية، ويستقروا فيها على مدى مئات السنين من الهجرات المتواصلة، ويؤسسوا فيها عاصمتهم آكاد التي ينسبون إليها، وقد بلغت الهجرة الأكادية ذروتها في عصر صرغون حوالي ٢٣٥٠ ق.م، الذي استطاع أن يؤسس امبراطورية مركزية مترامية الأطراف وصلت حدود البحر المتوسط والأناضول، وبلغت من الاتساع أضعاف ما كان يحلم به حاكم سومري.

ولأول مرة في التاريخ الحضاري لبلاد الرافدين يرفع الحكام الأكاديون أنفسهم إلى مصاف الآلهة، وهذه الظاهرة غريبة وفريدة من نوعها لم يعرفها الشعب السومري في تاريخهِ القديم، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قوة السلطة المتنفذة التي وصلت بها الجرأة إلى تأليه ملوكها وهم على قيد الحياة، وتصبح اللغة الأكادية اللغة الرسمية للدولة تدون بها كل المنجزات الأدبية والفكرية والاقتصادية، وتطل على العالم القديم كلغة خلاقة مبدعة لا تقل شأناً عن السومرية بل مساوية لها، وان استعارت منها في الأصل الخط الاسفيني.

تزعزع الحكم الأكادي نتيجة الفوضى والصراع الداخلي على الحكم ثم تلاشى وانقضى نهائياً على يد شعب انحدر من الجبال الشرقية المجاورة يدعى الغوتي، الذي استطاع أن يمسك زمام الأمور في يده طيلة مئة عام (٢١٥٠ - ٢٠٥٠ ق.م).

استطاع أوتوخنجال أحد حكام أوروك أن يمهد الطريق لحكم السلالة الثالثة في أور بعد أن طرد الغزاة المحتلين. وحكمت هذه السلالة من عام ٢٠٥٠ حتى عام

١٩٦٠ق.م.

فقد حكم جوديا أحد الأمراء المحليين في دولة مدينة لجش في بداية حكم السلالة الثالثة في أور، وكان أميراً ورعاً تقياً خلف وراءه كثيراً من الأبنية الدينية لإلهه نينجرسو (انظر نينجرسو). وقد مكنتنا الوثائق الاقتصادية السومرية التي لا حصر لها في عصر أور الثالث من أن نتعرف على دقائق الأمور ومجرياتها داخل الدولة السومرية الأخيرة، المنظمة تنظيماً مركزياً قوياً، وعرف هذا العصر باسم عصر النهضة السومرية رغم أن اليقظة السومرية ما كانت لتتم لولا مشاركة فعالة ساهم فيها الشعب الأكادي كتفا بكتف إلى جانب الشعب السومري.

وقد امتدت حدود الدولة السومرية الجديدة حتى شملتمساحةتقارب مساحة القطر العراقي اليوم بما في ذلك مدينة سوسا العيلامية، وذلك بمؤازرة حكام مدن الولايات الكبيرة الذين كان يتم تعيينهم مباشرة من قبل الملك.

ولا نبالغ إذا قلنا أن التأثير الديني والروحي للشعب السومري على الدول المجاورة مدين بالفضل إلى عصر ملوك السلالة الثالثة في أور.

وقد تكاتفت عوامل عدة أدت إلى انهيار صرح الدولة السومرية المركزية في عصرها الزاهي، منها توالي هجرات القبائل السامية دون انقطاع، وتمرد بعض الحكام المحليين، وأخيراً الهجوم الساحق الذي شنه العيلاميون، فأنهوا بذلك حياة دولة عامرة عن الوجود، ولم يعد بمقدورها أن تنهض من جديد بعد ذلك، ولكن إذا استطاع العيلاميون أن يقضوا على السومريين كدولة ونظام إلا أنهم لم يستطيعوا اطلاقاً أن يقضوا على منجزات الشعب السومري، وان تراجعت اللغة السومرية كلغة محكية لصالح اللغة الأكادية إلا أنها لم تختفي كلغة مقدسة في المعابد.

لم تعد هجرات القبائل البدوية السامية الجديدة تأخذ شكل التسرب السلمي البطيء بل أخذت شكل الغزو والفتح العلني، وأدت إلى تأسيس امارات محلية جديدة، كان أشهرها مدينة ايسن في وسط بلاد بابل التي استطاعت أن تأخذ مكان أور في عصر السلالة الثالثة، ولكن دون أن ترقى إلى مستواها، وبدأ التنافس على أشده بين الدويلات البابلية العديدة لانتزاع السلطة حتى جاء حمورابي الكبير (١٧٢٨ - ١٦٨٧ق.م) الذي كان حاكماً لاحدى المدن الصغيرة المنسية في شمال بلاد بابل، فوضع حداً لهذه الصراعات، وجمع شتات دول المدن الرافدية المبعثرة تحت حكم ادارة مركزية قوية جعل عاصمتها بابل صمدت عشرات السنين.

وهكـذا انتهى فصـل من تاريـخ بلاد بابل القديم ، الذي لعب فيه السومريون دوراً بارزاً سواء أكانوا هـم أنفسهم عماد هذا التاريخ أم غيرهم من الشعوب المتأثرة بهم دون أن يتمكنوا من خلق سلطة مركزية قوية تتمحور حول عاصمة واحدة ، ولو بحثنا عن الأسباب لما وجدناها في التناقض العرقي بين الشعبين السومري والأكادي كما كان يعتقد بل في التناقض بين البدو والحضر، وهذا التناقض لا يقتصر على شعب بعينه ، فقـد كان السـاميـون المتحضرون أنفسهم عرضـة لهجمات قبائل بدوية سامية متدفقة باستمـرار تقلق أمنهم واستقـرارهم ، ويسـاعـد على ذلك طبيعة البلاد المفتوحة التي كانت تستقطب كل المجمـوعـات البشـريـة غير المستقرة في مواطنها سواء أكانت هذه المجمـوعـات سامية أم غير سامية ، وسواء انحدرت من الجبال الشرقية المجاورة لبلاد الـرافـدين أم جاءت من البـادية السورية أو الجزيرة العربية ، وقد استغرق تدفق هذه المـوجـات البشـريـة مئـات السنـين ، وهـذا الزحف المتجدد وخاصة من قبل القبائل السـاميـة جعـل من العسـير قيـام دولـة مركـزيـة موحدة ، وخاصة أن البدو الساميين يتميـزون بنـزعة استقلالية قوية ، والذي زاد في الطين بلة وفي عدم قيام دولة موحدة ، هو عدم الاستقـرار السكـاني وعـدم توفـر الشـروط الاقتصادية الملائمة ، وغياب المواد الأوليـة الأسـاسيـة مثـل الحجر والمعادن والأخشاب ، مما جعل التجارة الخارجية ذات أهميـة بالغـة حتى يتمكن السكـان من تطـويـر أنفسهم ويتخلصوا من الحياة الزراعية الريفية البسيطة ، وهذا يتطلب طبعاً تأمين سلامة طرق القوافل الخارجية ، فكان نظام دول المـدن المنتشـرة في كافـة أنحـاء البـلاد هو النظـام الأمثـل لضـمان سلامـة طرق المـواصـلات وحفـظ الأمن فيها واخضاع الدول المجاورة ، وبقدر ما كانت دول المدن قوية كان الاستقرار أكثر ثباتاً ورسوخاً .

أعقب حكم السلالة الثالثة في أور حكم دول المدن البابلية في بداية الأمر، وقد رافق هذا التبـدل السيـاسي أمـران هامـان أولهما : ظهور مدينة بابل التي أصبحت فيما بعـد عاصمـة الـدولـة البـابليـة المركزية المترامية الأطراف حيث يدين الشعب البابلي بتسميته لها ، وارتقـاء الإله مردوخ إلى مصاف الآلهة الكبار، وقد أصبح الإله الرئيس في مجمع الآلهة البابلية منذ نهاية العصر البابلي القديم .

وثـانيهـما : نهوض الدولة الآشورية ، وفك ارتباطها بالجنوب الرافدي منذ نهاية عصر أور الثالث ، وبذا نشأت ثنائية السلطة في شكل دولتين جارتين لشعبين متقاربين

يتكلمان لهجات اللغة الأكادية المتشابهة، إلا أن الشعب البابلي بقي سباقاً في ميدان العطاء الحضاري، ورائداً فذاً في كل المجالات الفكرية.

ولقد تضعضعت الدولة البابلية الأولى بدخول الملك الحثي مورشيلي الأول إلى العاصمة بابل عام ١٥٣١ق.م، إلا أن حكمه لم يعمر طويلاً، حيث استلم الكشيون زمام السلطة فيها، والكشيون شعب منحدر من الجبال الايرانية، تسرب إلى بلاد الرافدين سلماً على شكل هجرات، واستوطن في بداية الأمر أواسط الفرات ثم ما لبث أن تمثّل الحضارة البابلية وفهم كيف يوفق بينها وبين حضارته الخاصة في وحدة عضوية متكاملة لا نشاز فيها.

واستطاع الحكام الكشيون الاستمرار في الحكم حتى منتصف القرن الثاني عشر ق.م، وكان للكشيين علاقات دبلوماسية عالمية نشطة، وخاصة مع فراعنة مصر منذ نهاية القرن الخامس عشر حتى منتصف القرن الرابع عشر أي في العصر الذي يطلق عليه اسم (عصر العمارنة)، حيث اتخذ فراعنة مصر في هذا الوقت موقع تل العمارنة حاضرة لهم، وتبادلوا منها الرسائل الدبلوماسية مع بلاد الرافدين، وقد تمكن علماء الآثار من الكشف عن أرشيف ضخم من الرقم المسمارية البابلية ذات المضمون الدبلوماسي والأدبي.

وهناك شعب آخر استوطن الأرض الرافدية منذ العصر الأكادي يدعى الشعب الحوري، انحدر من جبال زغروس، وعمل في الزراعة في شمال بلاد الرافدين وسورية وشرق آسية الصغرى، وخضع للتأثير البابلي، واستخدم الكتابة البابلية في التعبير عن لغته الخاصة، كما ثبت ذلك في مكتشفات ماري على أواسط الفرات وأوغاريت على الساحل السوري، والحوريون ليسوا من أصل سامي أو هندوجرماني شأنهم في ذلك شأن الشعب الكشي، إلا أنهم يظهرون تقارباً مع الشعب الاوراتي الجبلي المجاور لبلاد آشور، والذي لعب دوراً بارزاً في أحداث الألف الأول ق.م.

ذكرنا أن الآشوريين استطاعوا في عهد حمورابي تأسيس دولة كبيرة، وارتبط اسم هذه الدولة باسم مؤسسها شمشي هدد الأول، إلا أن النفوذ السياسي للدولة الآشورية بقي محدوداً خلال القرون اللاحقة، وقد خضعت الدولة الآشورية نفسها لنفوذ الدولة الميتانية التي كان مركزها عند منابع الخابور أحد روافد نهر الفرات، وتتألف العناصر السكانية لهذه الدولة من الحوريين القدماء الذين اندمجوا مع أحد فروع قبائل هندوجرمانية جاءت من جهة الشرق، وشكلت طبقة ارستقراطية حاكمة

في القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق. م.

وتمكن الآشوريون بقيادة الملك آشور أوبلّط الأول (١٣٦٣ - ١٣٢٨) أن يرثوا الحكم الميتاني، ويصلوا بالبلاد إلى أوج التفتح والازدهار الحضاري خلال ثلاثة قرون، واصطلح على تسميّة هذا العصر بالعصر الآشوري الوسيط، وبرز من حكامه الأشداء توكولتي نينورتا الأول وتغلات بيلصر الأول، ثم تزعزعت سلطة الآشوريين من جديد، وتميز العصر الآشوري الوسيط بصراعات ضارية قادها الملوك الآشوريون ضد الآراميين. والآراميون قبائل بدوية سامية أخرى تسربت إلى بلاد الرافدين عبر أواسط الفرات، وشكلت بؤراً ساخنة هددت أمن واستقرار سكان المنطقة، وان استطاع الآشوريون أن يردوهم على أعقابهم بسبب طبيعة بلادهم الجبلية إلا أن البابليين أخفقوا في ذلك، فتمكنوا من تأسيس أمارات صغيرة منذ نهاية الألف الثاني ق. م في المنطقة المسماة بلاد البحر في جنوب الرافدين كانت مصدر قلق وازعاج مستمرين للدولة البابلية.

وصل الآشوريون إلى أوج قوتهم في الفترة الواقعة بين القرنين التاسع والسابع ق. م. في ظل أشهر ملوكهم اطلاقاً آشور ناصربال الثاني وشملنصر الثالث وتغلات بيلصر الثالث وصرغون الثاني وسنحاريب وآشور بانيبال وأسرحدون.

وتمكنوا أن يتحكموا في السياسة الدولية، ويوسعوا حدودهم إلى أقصى أطراف العالم القديم، إذ أن أسرحدون استطاع أن يحكم مصر نفسها زمناً ما، وان دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على استنزاف طاقة الشعب الآشوري في حروب قاسية طويلة المدى في كل الاتجاهات، وقد رافق ذلك تهجير السكان الأصليين وانتزاعهم من أوطانهم الأصلية وارغامهم على الرحيل إلى بلاد آشور، واتسمت معاملة الآشوريين لجيرانهم في المناطق الجبلية الشرقية بالعنف والقسوة حتى درجة الإبادة.

أما علاقتهم مع جيرانهم البابليين فلم تكن أحسن حالاً حيث كانوا في نزاع دائم، ولم تنفع كل المحاولات لإيجاد حل مرض للدولتين المتجاورتين لا بالسيطرة العسكرية ولا بواسطة تحالف العرشين الملكيين كما فعل الملك تغلات بيلصر.

وقد اتفق أن الدولة الآشورية بلغت أوج قدرتها العسكرية والسياسية تحت ظل أواخر ملوكها في الوقت الذي ازدهرت فيه الفنون والآداب بشكل لا مثيل له في السابق، فقد أمر كل من تغلات بيلصر وآشور بانيبال بجمع كل الأعمال الأدبية السومرية والأكادية ونسخها وترتيبها على شكل مكتبات متكاملة، ونحن ندين

بالفضل في كثير من معلوماتنا إلى مكتبة آشور بانيبال في نينوى.

وتقف الحروب الكثيرة التي أنهكت قوى الشعب الآشوري عبر مئات السنين خلف سقوط الدولة الآشورية الفجائي والنهائي في نهاية القرن السابع ق.م. ناهيك عن غزو الكيماريين الذين استطاعوا الوصول إلى فلسطين عام ٦٣٤ ف.م. وفي عام ٦١٣ ق.م دمر التحالف البابلي الميدي بقيادة أحشويرش (كياكزاريس) العاصمة نينوى.

كان نهوض الدولة البابلية الحديثة (٦٢٥ ـ ٥٣٩ ق.م) الومضة الأخيرة للحضارة الرافدية قبل أن تنطفىء جذوتها إلى الأبد، وبلغت أوج مجدها السياسي والعمراني والحضاري كدولة عظمى تحت حكم أكبر ملوكها (نبوخذ نصر ٦٠٤ ـ ٥٦٢ ق.م) ابن مؤسس الدولة نابوبولازار الكلداني الأصل (٦٢٥ ـ ٥٣٩ق.م)، والكلدانيون هم احدى القبائل الآرامية.

تأثرت شعوب بلاد ما بين النهرين تأثراً بالغاً بالآراميين، وأصبحت اللغة الآرامية أكثر شيوعاً وتداولاً، وطبعت الحضارة الرافدية بطابعها المميز الخاص، وفي هذا العصر تم تهجير اليهود من فلسطين وتوطينهم في بابل، وقد وردت أخبار التهجير هذه في أسفار العهد القديم (التوراة)، وعلى عكس آشور لم تعد بابل في صراع دائم مع عيلام التي قضت عليها الدولة الآشورية، وأزاحت بذلك خصماً شرساً أمام الدولة الفتية ايران، إلا أن الدولة البابلية الحديثة في عهد نابونيد خليفة نبوخذ نصر لم تصمد طويلاً تحت ضغط الميديين والدولة الفارسية الناهضة، فأصبحت جزءاً من الامبراطورية الأخمينية بعد أن سقطت بابل على يد قورش الفارسي عام ٥٣٩ق.م.

احترمت الدولة الفارسية عادات وتقاليد سكان الرافدين ورعتها وتأثرت بها حتى أن اللغة الأكادية وآدابها وتدويناتها الاقتصادية والحقوقية استمرت في الحياة في بعض المدن الرافدية حتى العصر السلوقي والبارثي.

أما التاريخ السياسي لبلاد ما بين النهرين فقد انطفأ بسقوط بابل كما اختفى البابليون عن مسرح الأحداث كدولة مستقلة فاعلة ومنفعلة إلى الأبد.

ب ـ لائحة تاريخية :

حوالي ٢٩٠٠ ق.م :

ـ عصر الطبقة الرابعة (أ) في أوروك ، والعثور على أقدم الكتابات .

ـ عصر الطبقتين الثالثة والثانية في أوروك وهو يعادل عصر جمدة نصر .

ـ عصر حكام أوروك وأشهرهم لوكال بندا وجلجامش .

ـ عصر القبور الملكية في أور .

حوالي ٢٦٠٠ ق.م :

ـ عصر فارا (فارا موقع أثري في جنوب الرافدين ، الاسم القديم له شوروباك) عثر في الموقع على رقم طينية تتضمن قوائم بأسماء الآلهة .

ـ عصر ميزيليم ملك مدينة كيش .

ـ عصر سلالة لجش ، أشهر ملوكها إأناتوم .

من ٢٣٥٠ ـ ٢١٥٠ ق.م :

ـ عصر السلالة الأكادية ، ومن أشهر ملوكها صرغون ونارام سن .

ـ عصر أوائل المدونات الكتابية الأدبية باللغة الأكادية .

من ٢١٥٠ ـ ٢٠٥٠ ق.م :

ـ عصر حكام الغوتيين الأجانب في بلاد بابل .

من ٢٠٥٠ ـ ١٩٦٠ ق.م :

ـ عصر السلالة الثالثة في أور «النهضة السومرية» أشهر الشخصيات جوديا حاكم لجش .

من ١٩٦٠ ـ ١٥٣١ ق.م :

ـ العصر البابلي القديم في جنوب بلاد الرافدين ويوازي :

ـ العصر الآشوري القديم في الشمال .

القرنان الثامن عشر والسابع عشر ق . م :

ـ عصر تدوين الآداب السومرية «العصر الذهبي» .

من ١٧٢٨ ـ ١٦٨٧ ق . م :

ـ عصر حمورابي ملك بلاد بابل .

١٥٣١ ق . م :

ـ زحف الحثيين على بابل .

من القرن السادس عشر حتى الثالث عشر ق . م :

ـ العصر البابلي الوسيط ـ الكشيون في بلاد بابل .

من القرن الخامس عشر حتى الحادي عشر ق . م :

ـ العصر الآشوري الوسيط .

من ٨٨٣ ـ ٦٢٦ ق . م :

ـ عصر الملوك الآشوريين الكبار .

من ٦٢٥ ـ ٥٣٩ق . م :

ـ عصر الملوك الكدانيين، الدولة البابلية الحديثة .

من ٦٠٤ ـ ٥٦٢ ق . م :

ـ نبوخذ نصر ملك بلاد بابل .

٥٣٩ :

ـ سقوط بابل على يد قورش الفارسي .

ج ـ مصادر الأساطير السومرية والأكادية ورواياتها :

إن البحث عن المصادر الاسطورية يتطلب دراسة الاسماء اللاهوتية المركبة للأشخاص، وأقدم ما نعرف من أسماء عثر عليها ضمن مكتشفات فارا الكتابية حوالي ٢٦٠٠ ق . م مثل الاسم سود ـ إمدكود، وسود هو اسم إله، إمدكود (طير)، ويعني بعد مطالعات الأبحاث المستجدة (طير العاصفة)، وهو على شكل نسر برأس أسد .

وفي الحقيقة تشكل هذه الأسماء المركبة مصدراً غنياً لمعارفنا عن الآلهة وتاريخها وانتشار طقوسها في كافة أنحاء البلاد .

وفي فارا نفسها تم اكتشاف أقدم لائحة بأسماء الآلهة، وهي وإن لم تستطع أن تزودنا بأخبار اسطورية موسعة حيث أن الأسماء مدونة فيها دون أي تعليق، إلا أنها تعطينا فكرة عن الآلهة الرئيسة في مجمع الآلهة السومري، إذ تبتدىء بأسماء الآلهة الستة الكبار: آن وأنليل وإنانا وإنكي وإله القمر وإله الشمس، وإننا لنعتقد بأن الغاية من جمع أسماء هذه الآلهة في لوحة واحدة هي التأكيد على وجود آلهة سومرية رئيسة تأتي فوق كل الآلهة المحلية الصغيرة .

وهناك مصادر أخرى ترد فيها أسماء الآلهة دون أن يكون لها أية قيمة أدبية أو فكرية، ولكن تشير دون أدنى ريب إلى أهميتها الطقسية مثل الأسماء التي ترد في نصوص تدشين المعابد والنصوص الاقتصادية والادارية والتجارية والقضائية حيث تتم كل المعاملات وقضاء الحاجيات تحت سمع وبصر الآلهة المتنفذة، إذ لا يخلو شأن من شؤون الحياة اليومية دون أن يكون للآلهة يد فيه .

كما تنقش أسماء وشعارات الآلهة على الأختام الاسطوانية التي لا يخلو منها أي بيت .

أمـا النصـوص الأدبيـة ذات المضمـون الاسطوري، فقد عثر عليها هنا وهناك خلال العصرين الأكادي والغوتي، ومنذ عصر جوديا حاكم لجش حوالي ٢٠٥٠ ق.م ندخـل عالم الاسطـورة الفعـلي من خلال المـدائـح والأنـاشيـد الإلهيـة وخـاصة تلك المخصصة للإله نـنجـرسـو (انظـر ننجرسو)، وقد جاءت إحدى القصائد الطويلة في وصف تجديد معبد إنينو مفعمة بالتوريات الاسطورية.

وقد دونت معظم النصوص السومرية ذات المضمون الاسطوري خلال العصر البـابـلي القديم، وهي تحتوي إلى جانب الأساطير قصائد مدرسية وملاحم، وصراع الآلهـة فيـما بينهـا، ومـدائـح إلهية وملكية، وأناشيد تمجد المعابد، ومراثي تبكي المدن والمعابد المدمرة، وأغاني حزينة مقتطعة من طقوس الإله (دوموزي ـ تموز).

ويشير تدوين هذه النصوص في العصر البابلي القديم إلى أن اللغة السومرية، وإن اختفت كلغـة محكيـة إلا أن تداولهـا كلغة مقدسة ظل مستمراً حتى العصر البابلي القـديم حيث تم تدوينها آنذاك خوفـاً عليهـا من الضيـاع والتشويه، ومذ ذاك اختفى الابـداع الأدبي باللغـة السـومرية لصالح اللغة الأكادية، ومن الأعمال الأدبية الرائعة باللغـة السـومـريـة المـدونة بعد العصر البابلي القديم، والتي سوف نتعرض لها في هذا القـامـوس؛ النشيد المدرسي عن (سمو مرتبة إنانا في عالم الآلهة الكبار)، وهذا العمل مثله كمثل بقية الأعمال الأدبية المنقحة والمنسوخة عن أصول قديمة بعد العصر البابلي القديم، مزود بهوامش وشروح باللغة الأكادية.

أمـا الآداب الأكـاديـة المـدونـة في العصـر البـابلي القديم فهي أقل انتشاراً من السومرية، ولم نعثر على اسطورة واحدة كاملة بين كسر الألواح الأكادية ذات المضمون الأسطـوري، ولـذا يصعب علينـا البت بوجود أساطير أكادية مدونة في العصر البابلي القـديم، هذا فيـما لو غضضنـا الطـرف عن مؤشرات تدل على نشوء بعضها وتدوينه بعد العصر البابلي القديم مثل اسطورة إرّا (انظر إرّا).

إن الأسـاطـير والمـلاحـم المتأثـرة بالأسـاطـير والملاحم السومرية بقيت متداولة مشـافهـة حتى بعـد العصـر البـابـلي القـديم ومن الأهمية بمكان أن ننوه إلى أن هذه الأسـاطـير والمـلاحـم لم تنسـخ نسخـاً أعمى عن أصـول سومرية بل هي خلق جديد وإبداع فيه كثير من الروح البابلية الصرفة فيما لو استثنينا اللوح الثاني عشر من ملحمة جلجامش.

ولا نعرف من النصوص الأدبية في العصر الآشوري القديم سوى نص واحد حول تعاويذ ضد العفاريت لامشتو (انظر عفاريت).

كما ذكرنا آنفا تعود معظم الأعمال الأدبية الأكادية ذات المضمون الأسطوري إلى ما بعد العصر البابلي القديم، وقد تم اكتشافها في مدينة آشور (من العصرين الآشوري الوسيط والحديث)، وفي نينوى حيث عثر على مكتبة آشور بانيبال الضخمة (٦٦٨ - ٦٢٦ ق.م)، كما زودنا الأرشيف الضخم المكتشف في تل العمارنة في مصر، والذي يعود تاريخه إلى القرن الرابع عشر ق.م، بأقدم نسخات عن أساطير أدابا ونرجال وايرش كيجال.

وقد أثبتت الدراسات اللغوية أن معظم النصوص المكتشفة في آشور هي نسخ عن أصول بابلية قديمة ممهورة بأسماء ناسخيها، وأيد ذلك شكل واسلوب الكتابة.

ومن المواقع الآشورية الهامة الأخرى موقع سلطان تبه في سهل مدينة حران القديمة، إذ تم العثور على نسخ أحدث، ولكن أكثر تفصيلاً من أسطورة نرجال وايرش كيجال، أما أحداث الروايات الأدبية البابلية من العصور البابلية الحديثة والأخمينية والسلوقية فقد عثر عليها في حالة جيدة في كل من بابل وأوروك وأور.

كما تم العثور على نسخ سومرية من أماكن عديدة أهمها مدينة نفر حيث تم اكتشاف القسم الأعظم من النصوص ذات الطابع الأدبي المحض بالإضافة إلى كل من مدينة أور وكيش وزيبار ومنطقة ديالى.

وهذه النسخ تظهر تبايناً واضحاً في المضمون والأسلوب وفي الطول وفي القصر، مما يدعم الرأي القائل أنها اعتمدت في تدوينها على مصادر شفوية مختلفة، علما بأن الروايات المختصرة تجعل فهم الأسطورة عسيراً إن لم تكن هذه الأسطورة معروفة لدينا من خلال نصوص أخرى، وكذلك الحال بالنسبة لنسخ النصوص الأكادية فهي من عصور مختلفة وروايات متعددة.

ويجب أن لا يغرب عن بالنا أن تسمية الأساطير بعناوين كبيرة هي بنت اليوم، إذ أن البابلي كان يختار الكلمات الأولى من السطر الأول عنواناً لها كما في اسطورة الخلق التي تبدأ بالكلمات (إنوما إليش)، وتعني عندما كان في الأعالي...

وقد تم العثور فعلاً على فهرس أدبي مبوب على هذا الشكل.

كما أن طول النص أو قصره يختلف من اسطورة إلى أخرى فهو يشمل (١٤٢) سطراً في أسطورة مارتو، و(٨٠٠) بعد إتمام النواقص في أسطورة إنانا وإنكي، ومما

يزيد في طول النص تكرار بعض المقاطع تكراراً حرفياً أو معدلاً بعض الشيء، ويفيد التكرار أحياناً في إتمام بعض السطور الناقصة أو المخدشة في النصوص، ونادراً ما يعثر على ألواح كبيرة تامة، الأمر الذي يجبرنا على البحث عن مشابهات للنواقص في نصوص ألواح أخرى.

هذا وقد راعينا أن نشير قدر المستطاع إلى بعض المشاهد المصورة في المنحوتات التي قد تكون مأخوذة من الأساطير أو تمت إليها بصلة.

أ

أبجال أو أبكالّو:

كلمة سومرية مجهولة المصدر، وتعني مخلوقات مركبة (عفاريت) تعمل في خدمة (أبـزو) ـ ميـاه المحيطـات العـذبـة في جوف الأرض ـ الـذي يقـع تحت سيطـرة الإله (انكي)، وتظهر في النصوص الأكادية باسم أبكالّوا، وعددها سبعة، تأخذ تارة شكل الأشباح في مدن بابلية كثيرة، ويعتقد أنها تمثل الملوك الخرافيين قبل الطوفان، وتأخذ تارة أخـرى شكـلاً مركبـاً من جسم انسان ورأس سمكة (انظر عفاريت)، وربما كان أجوأنّس (انظر أوأنّس) أحدها، وتظهر (أبوكالّو) في المدائح الإلهية الأكادية، وخاصة بحق (إنليل ومردوخ ونابو) كحكماء.

أباسون:

انظر ملحمة التكوين البابلية الفقرة الخامسة.

إبخ:

انظر الآلهة الكنعانية وإنانا وإبخ.

أبزو:

كلمـة سومـريـة الأصـل مجهولة المعنى تسربت إلى الأكادية، وأصبحت تلفظ (أبسو)، وتطلق على مياه المحيط العذبة في جوف الأرض، ويعزى نشوؤ ها إلى وجود الميـاه الجـوفية السطحية في بلاد بابل، ووجود المياه العذبة في منطقة السبخات القريبة

من الشـاطىء، وتقـع (أبـزو) تحت سيطـرة ونفـوذ إلـه المحيطات والأعماق (إنكي)، ويطلق على معبـده الرئيسي في (إريـدو) اسم (بيت أبـزو) أو (بيت أنجور) والاسمان متماثلان، وبما أن أبزو تقع تحت الأرض محجوبة عن الأنظار، لا يسمح لأحد رؤية ما في داخلها حتى ولا للآلهة، فقد اختارها (إنكي) مقراً لسكناه، والمعروف عن (إنكي) أنه يمثل الحكمة ويتحكم بقوى الآلهة والوجود (انظر مِهْ وقارن إنانا وإنكي).

وأبـزو في الأسطـورة السـومـريـة هي مقـر الإلهـة نامو (انظر نامو) الذي تخلق الانسان الأول من الطين بناء على إرشادات (إنكي)، ويرد في ملحمة التكوين النص الأكادي(إنوما إليش) أن (تيامات) في الزمن الأول (انظر تيامات) قامت بمزج المياه المـالحـة (ميـاه البحـار) بالميـاه العذبة (أبزو)، وبعد أن ينتصر الإله (إيا/إنكي) على (أبزو) يسمى مكان سكناه باسم الإله المهزوم.

أبوبو:

انظر رياح.

إتانا:

يُعـد (إتـانـا) وفق قائمـة أسـماء الملوك السومرية الملك الثاني عشر بعد الطوفان البابلي في مدينة كيش، ويوصف «بالراعي الذي صعد إلى السماء».

وتـذكـر مصـادر روايـات إتـانـا الأكـادية والبابلية القديمة والآشورية الوسيطة والبـابليـة الحـديثـة، أن (إتـانـا) كان عقيـماً، فنصحه إله العدالة الإله (شاماش) أن يتوقف خلال بحثه عن نبتة الولادة عند حفرة كانت الحية قد حبست فيها نسراً، وأن يحرره منها، إذ أن هذا النسر هو الذي سوف يوصله إلى بغيته، ويعود السبب في حبس الحيـة للنسـر داخـل الحفـرة إلى أن النسـر قد افـترس أولاد الحيـة الصغـار، فيـدلها (شـامـاش) على حيلة تتمكن بها من الثأر لنفسهـا، وذلـك بحبس النسـر داخل الحفرة، ويعتقـد أن قصـة الصـداقـة التي نشأت بين الحية والنسر ثم غدر النسر بالحية، وذلك بافتراسه أولادها هي خرافة دخيلة على الأسطورة الأصيلة.

وعـرفاناً بالجميل يقوم النسر بحمل (إتانا) الذي أعتقه من الأسر على ظهره، وينطلق به تجاه السـماء إلى المكـان الـذي توجـد فيـه النبتـة المقصودة، وعندما تغيب الأرض عن ناظـريـه يتملك (إتانا) الشعور بالخوف والقلق، فيقرر الكف عن البحث والعودة إلى الأرض، إلا أن النسر وإتانا يسقطان على الأرض، ولا تنتهي الأسطورة عند هذا الحد، لأن بقية النص مفقودة.

وتسمى قائمـة الملوك السـومـريـة (بليـخ) خليفـة لأبيـه (إتانا)، مما يوحي بأن أسطـورة إتـانـا تنتهي نهايـة سعيـدة، كما يذكـر (إتـانا) في ملحمة جلجامش (اللوح السابع) عند (إريشكيجال) في العالم السفلي.

إتانا في الفن:

يطـالعنـا (إتانا) على مشاهد الأختام الأسطوانية من العصر الأكادي القديم، ومن عصور أحدث، وهومحلّق على ظهر النسر في الهواء، في حين تشيعه عيون كلبيه اللذين يقومان على حراسة قطيعه.

أترحاسيس:

يعني هذا الأسم في اللغـة الأكـاديـة الـرجل الحكيم، ويلفظ في العصر البابلي القديم (وترم حاسيس)، وكان هذا الاسـم يرافق كلقب كل من (أدابا) و(إتنابشتي)، وهو في الأصل اسم أحد أبطال أسطورة أكادية (أترام حاسيس).

ورد هذا الاسم في نصوص بابلية قديمة وحديثة، وقد تمكنا من فهم مضمون الأسطورة العام بعد اكتشاف نص ساعدنا في إتمام النواقص.

وتتحدث الأسطورة عن خلق الإنسان بواسطة الإلهة الأم مامي (انظر تكوين) افيغضب (إنليـل) بسبب الضجيـج الـذي أحـدثه البشر، فيرسل الطاعون (انظر إرّا) وسبـع سنـين عجاف، إلا أن (أترحاسيس) يتمكن بمؤازرة (إنكي) تجنيب البشر من هذه المصـائب في كل مرة، عنـدهـا يقـرر (إنليـل) التخلص من البشـر نهائياً بواسطة الطـوفـان، ولكن (أتـرحـاسيس) ينجـو هذه المـرة أيضـاً عاملاً بنصائح الإله الحكيم

(إنكي) الذي هداه إلى أن يقوم ببناء سفينة لحفظ أرواح كل كائن حي .
تذكرنا هذه الأسطورة بلوح الطوفان الحادي عشر في ملحمة (جلجامش)، إلا أن العلاقة بينهما لا يمكن أن تتضح إلا بوجود نص كامل للأسطورة.

إجيجي :

تسمية أكادية لآلهة السماء (السبعة؟) العظام، ومصدر الكلمة غير معروف لغاية الآن، وأول ذكر لها يرد في نصوص العصر البابلي القديم (عصر حمورابي)، وعلى النقيض من (إجيجي) تسمى آلهة العالم السفلي (تحت الأرض) أنوناكو (انظر أنونّا) في اللغة الأكادية، وتسمى هذه الآلهة في النصوص السومرية والأكادية التي دونت بعد العصر البابلي القديم (دينجر ـ نون ـ جال ـ إنه) وتعني الأمراء الكبار.
ونحن لا ندري بالضبط فيما إذا كانت هناك علاقة تربط هذه الآلهة بآلهة المصير السبعة التي يرد ذكرها في اسطورة (إنليل ونينليل)، والتي يتحدث عنها نص مدون باللغتين السومرية والأكادية، يقول النص «أنها كانت تقف أمام ٣٠٠ إله من آلهة «الأنونا» السماوية و ٦٠٠ اله من الآلهة الأرضية لتقرير مصيرهم.

أدابا :

بطل إحدى الأساطير الأكادية، وأحد الحكماء السبعة (انظر أبجال)، يستعان به في طرد حمى الأطفال التي تسببها عفريتة الحمى لامشتو (انظر عفاريت)، ورد ذكر الأسطورة في نصوص تل العمارنة، وفي نصوص العصر البابلي الحديث.
تقول الأسطورة أن (أدابا) بن (إيا) (انظر إنكي) المقيم في (إريدو) يقوم برحلة صيد بحرية، فتقلب قاربه الريح الجنوبية، فيلعنها (أدابا) فيتحطم جناحاها وتتعطل عن الهبوب.

يطلع رسول الآلهة (نيشوبور) الاله (آن) على الأمر فيستدعيه إليه، ولكن قبل أن يتوجه (أدابا) اليه يستعين بمشورة الإله (إيا/إنكي)، فينصحه بأن يصعد إلى (آن) في السماء مرتدياً ثوب الحداد، وعندما يسأله (دوموزي) و (نيجيزّيدا) الواقفان

أمام بوابة الإله (آن) عن سبب حزنه، فيجيب بسبب اختفاء إلهين من بلاده، عندها يرق قلبهـا ويكسب عطفهـما وشفـاعتهـما عند (آن)، وعندما يمثل أدابا أمام آن يقدم له الإله خبز الحياة وماءها، إلا أن (أدابا) يرفض تناولهما عملاً بنصيحة (إيا)، وهكذا ينجو (أدابا) من عقاب الإله (آن).

الأسطـورة غير كاملة، ونستطيـع أن نستخلص من بعض الأسطـر المتبقيـة أن (أدابا) نُصِّب ملكاً في (إريدو).

أدد:

انظر إله الطقس.

إدن (عدن):

انظر العالم السفلي.

أجيال الآلهة:

احدى قوائم أسماء الآلهة تذكر خمسة عشر زوجاً من الآلهة تسبق في ترتيبها مرتبة الإله (آن) ويعرف كل إله بكلمة سيد الـ . . . . أو سيدة الـ . . . . . .

وتصف قائمـة أخــرى أزواج الآلهـة (عـددهـا غير ثابت) على أنهـا السـادة والأمهات والآباء أبناء الإله (إنليل) أو (آن).

ومما يشـير إلى قدم هذه التقـاليـد والعـادات الـواردة في القوائم الإلهية، ورود مقطع في ملحمة جلجامش (انظر جلجامش الفقرة الرابعة) يتحدث عن خمسة أزواج آلهـة من العـالم السفـلي تسمي نفسهـا (أبـو إنليـل) أو (أم إنليل)، وتبدأ بـ (إنكي) - (نينكي) سيـد وسيـدة الأرض، إلا أن اسم (إنكي) الـوارد هنـا لا علاقة له مع الإله (إنكي/إيا) المدون في قوائم أسماء الآلهة في مواضع لاحقة.

ولا ندري فيما إذا كانت هذه الأزواج الخمسة من الآلهة تمثل جيلاً أو أنها ظواهر متعددة لزوج واحد منها، كما يرد في قوائم أسماء الآلهة سبعة أزواج إلهية كان يستعان

بها في التعاويذ ضد الأرواح الشريرة .

وصراع الآلهة في ملحمة التكوين الأكادية (إنوما إليش) الذي يسبق عملية الخلق غير معروف في الآداب والمراجع السومرية المتوفرة بين أيدينا اليوم .

ونحن نعرف فقط عن طريق الاشارة الخفيفة في النصوص السومرية أن (آن وإنليل) حلا مكان (إنه شرّا) في السيادة على الكون ، و(آن) نفسه كأعلى سلطة إلهية في السماء لا يلعب دوراً بارزاً في الأساطير السومرية ، ويعود السبب في ذلك إلى أن ابنه (إنليل) أخذ الدور منه ، وحل مكانه في العمل الفعلي كإله رئيس في مجمع الآلهة السومري ، وترك لوالده السيادة الاسمية فقط .

ورغم ذلك نرى أن إزاحة الابن لأبيه عن موقعه قد تم سلماً دون عنف .

ويأخذ (مردوخ) دور (إنليل) خلال الألف الثاني ق . م ، و(مردوخ) كان إلهاً محلياً ثانوياً في مدينة بابل الصغيرة ، ونشهد صعود (مردوخ) مدوناً في مقدمة شريعة حمورابي حوالي ١٧٠٠ ف . م ، حيث يقول حمورابي : عندما (آن وإنليل) منحا السيادة (لمردوخ) على البشر ورفعا مرتبته بين (الإجيجي) .

وبالفعل يمتد نفوذ (مردوخ) خارج حدود بلاد بابل منذ نهاية العصر البابلي القديم ، وتتحدث ملحمة التكوين الأكادية بكل وضوح عن أجيال الآلهة وتعاقبها على مر السنين مثل (أبسو وتيامات ولحامو وأنشار وكيشار وآن وإخوته ومردوخ عندما يتجاوز انليل) .

وبشكل موازٍ تتم الأمور داخل مجمع الآلهة الآشوري ، إذ يرافق صعود (مردوخ) في بابل صعود (آشور) في الدولة الآشورية على حساب الإله (إنليل) ويحتلان مرتبة (أنشار) والد الإله (آن) .

ونلاحظ محاولات هادئة لازاحة (مردوخ) عن موضعه لصالح ابنه (نابو) في الألف الأول ق . م . من خلال المدائح الإلهية التي تصفه (سيد كل البلاد) و(ملك كل السموات والأرض» ، وقد يسبق اسم والده ترتيباً في قوائم أسماء الآلهة .

إرّا :

إله أكادي معروف من خلال الأسماء اللاهوتية المركبة في العصر الأكادي القديم ، ويعتقد أن اسمه كان أجنبياً في الأصل ، ويكتب دون شارة الألوهية التي

تسبق أسماء الآلهة عادة حتى العصر البابلي القديم، ونتعرف على شخصيته من خلال النصوص المدونة بعد العصر البابلي القديم، فهو إله حرب ومختص بنشر الأوبئة، ولا ندري بالضبط فيما إذا كان لاسمه علاقة باسم إله الطاعون الحثي (يرّى)، ويشابه (إرّا) في وظائفه إله العالم السفلي (نرجال) المعروف بنشر الأوبئة، ويشاركه في معبد واحد يدعى (إسلام) في مدينة (كوثا) الواقعة في شمال بلاد بابل.

وعندما وجد (إرّا) طريقه إلى مجمع الآلهة البابلي أصبح إبناً للإله (آن) وزوجاً للإلهة (مامي)، ولكن (مامي) هي غير إلهة الأمومة المعروفة بهذا الاسم، ويعتقد أن المقصود هو الإلهة (ماميتوم) قرينة (نرجال).

تصور اسطورة أكادية يعتقد أنها مدونة في القرن الحادي عشر أعمال (إرّا) الشريرة، إذ أن الآلهة السبعة (سيبتو) أبناء (آن) إله السماء و(إرصتو) إلهة الأرض تدعو (إرّا) إله الطاعون ليخرج من عزلته، ويقوم بأعمال فتاكة جديدة. إلا أن (إشوم) الذي تتحدث عنه الأسطورة في بداية النص، ويتقدم اسمه اسم (إرّا) يحاول ردعه عن ارتكاب الخطايا بحق الآلهة وتدمير البشر، والمعروف عن (إشوم) أنه بطل (إرّا) ومستشاره.

غير أن (إرّا) يصر على تنفيذ ما اعتزم عليه لأن البشر أهملوا عبادته، ويستطيع أن يقنع (مردوخ) بالتخلي عن سيادة العالم له، إذ أن مردوخ كان مشغولاً بتطهير حكمه الذي دنسّه إله النار جيرا (إنظر جبيل)، فيتنازل عن عرشه مؤقتاً (لإرّا) حتى حين عودته، ويقطع (إرّا) عهداً على نفسه بألا يسيء استخدام السلطة الممنوحة له، ويتوجه إلى العالم السفلي. غير أن (إرّا) ينكث بعهده، وينشر وباء الطاعون، ويثير حرباً أهلية في كل بلاد بابل دون استثناء، حتى مدينة بابل نفسها مدينة الإله (مردوخ) يصيبها ما أصاب غيرها من كوارث ونكبات، وأخيراً تهدأ نفس (إرّا) بعد أن يطيّب (إشوم) خاطره، ويقر بفعلته الشنعاء.

أرالي :

انظر العالم السفلي.

أردا تليلي :

انظر عفاريت.

أرورو:

انظر آلهات الأمومة.

إريشكيجال:

يعني هذا الاسم في اللغة السومرية سيدة (؟) الأرض الكبيرة، ومن ألقابها إلهة العالم السفلي، والأرض الكبيرة.. والمكان الواسع، وتعدد الروايات السومرية أزواجاً عديدة لها منهم (جوجلا آنا) الذي يعني اسمه (ثور السماء الكبير / آن) و(نرجال، أما النصوص الأكادية فلا تذكر سوى زوج واحد هو (نرجال) ونادرا (إرّا)، وإبنها هو الإله (نينازو) سفير ووزير الإله (نمتار) إله القدر.

تتولى (إريشكيجال) حكم العالم السفلي في مقدمة الرواية السومرية لأسطورة (جلجامش) كهدية (انظر تكوين الفقرة الثانية)، وهي أخت ومنافسة (إنانا ـ عشتار) في العالم السفلي، إذ تحاول هذه الأخيرة انتزاع سلطة عالم الأموات من أختها (انظر نزول انانا إلى العالم السفلي ورحلة عشتار إلى الجحيم)، وتسلط (إريشكيجال) عين الموت على كل من تطأ قدماه أرض العالم السفلي.

لا يتوفر لدينا للأسف وثائق أكيدة عن مجرى الأحداث في عالم الأموات، ولا عن مصير الانسان بعد موته، وانتقاله إلى العالم الآخر، ومحاكمته عن أعماله الدنيوية أمام إله الموت.

وفي الأسطورة الأكادية (نرجال وإريشكيجال) تختار إلهة العالم السفلي (نرجال) بعلاً لها بعد أن ينجو من مخاطرة نزوله إلى عالم الأموات.

إزينو:

انظر آلهة الحبوب.

أساج / أساكّوا:

انظر عفاريت.

أساللوحي :

هو ابن الإله (إنكي) في التعاويذ السومرية، وكاهن تعاويذ الآلهة الكبيرة، وهو الذي ينقل أخبار الأعمال الشريرة لعفاريت السوء إلى والده، ويتلقى منه الإرشادات على شكل تعاويذ ليتلافى بها مصائب البشر التي تسببها العفاريت، ويرقى (أساللوحي) إلى مرتبة إله بابل (مردوخ)، ولكن بما أن له مكان عبادة خاص به في مدينة (كوأرا) يعتقد أنه لم يكن في الأصل إبنا (لإنكي)، وإنما أصبح فيما بعد، ومهما يكن من أمر لا تتوفر المصادر عنه بشكل كاف (انظر أسطورته تحت كلمة جبيل).

أسوروس :

انظر تكوين الفقرة الخامسة.

إسيمو :

سفير ووزير الإله (إنكي / إيا)، ويسمى في اللغة الأكادية (أوسمو أو أوسومو)، ويشخص برأس بشري له وجهان، تتحدث عنه أساطير (إنكي وننخورسانجا) و (إنانا وإنكي).

إشخارا :

إلهة غير معروفة المنشأ، وربما كان لها علاقة مع إلهة ذكرت في عيلام منذ العصر الأكادي القديم باسم (أشخارا)، وهي معروفة في بلاد بابل باسم (إشخارا وإيشخارا) منذ عصر أور الثالث، ويعرف عنها أنها مختصة بضمان تنفيذ العهود المقطوعة أمام الآلهة، وتسمى بسيدة القضاء والأضاحي، وتشارك (عشتار) في بعض صفاتها الحربية المقاتلة، ومع ذلك يصعب علينا تحديد مهامها وشخصيتها بشكل دقيق، والعقرب هو رمزها، وبذا يكون برج العقرب مناسباً لصفاتها، كما أنها أم لسبعة أولاد (انظر سيبتو).

أشراتو:

انظر مارتو.

أشنان :

انظر آلهة الحبوب .

آشور:

يحمـل هذا الإلـه نفس اسم مدينـة آشـور، وقـد أصبـح إلـه الدولة الآشورية الرئيس في أوج تعاظم دورها السياسي ، وأصل الاسم غير معروف ، فهوليس سامياً ولا سومريا ولا يعرف معناه .

وكان أول ذكر له في وثائق عصر أور الثالث كإله للشعب السامي في مدينة آشور والدولة الآشورية ، وآخر ذكر له ورد في الكتابات الآرامية في (حضر) من العصر البارثي .

وقـد لمع نجمـه مثـل (مـردوخ) البـابلي مع تعاظم دور الدولة الناهضة على المسرح السيـاسي ، وكـان يوصف في القرن الثالث عشر ق . م ، بإنليل الآشوري ، ويحمل في المدائح الإلهية ألقابا عديدة مثل الجبل الكبير وسيد الجبال وأبو الآلهة ، التي كانت في الأصل للإله (إنليل) ، وعند تعداد أسماء الآلهة كان اسمه يسبق اسم (إنليل) ويشبه احتلاله لمركز (إنليل) احتلال (مردوخ) لنفس رتبة الإله في مطلع القرن السابع عشر ق . م .

يتـابـع الإلـه آشـور صعـوده في مراتب الآلهة حتى يصبح معادلاً (لأنشار) والد الإله (آن) في القرن التاسع ق . م ، وبذا يحتل أعلى مرتبة من مراتب الألوهية ، ويأخذ دور (مردوخ) في الرواية الآشورية لملحمة التكوين البابلية (إنوما إليش) وينتصر على تيامات (إلهة الخواء)

عائلته :

لايعــرف أب لهذا الإلــه ، وان ورد اسمــه بعـد (لحمـو) في الـرواية الآشـورية المتممـة لملحمـة التكـوين (إنوما إليش) ، وقرينته هي عشتار الآشورية (أشوريتو) من مدينـة آشـور أو من مدينـة نينـوى ، وبـما أنـه اغتصب مرتبة «إنليل» فتكون «نينليل» زوجته و«نينورتا» ابنه .

إن المصـادر الكتـابيـة القديمة لا تقدم لنا شيئاً عن صفاته ، ولا ندري بالضبط فيما إذا كان وصفه بسيد جبال إبخ (جبل حمرين) يعني أنه كان في الأصل إله جبل أو يعني امتداد نفوذ الآشوريين السياسي إلى مناطق جبلية واسعة .

لقـد استطـاع آشـور بصفتـه إلهاً قومياً للدولة الآشورية الفتية مثل (مردوخ) في الدولة البابلية أن ينتزع صفات ووظائف آلهة كثيرة لنفسه ، فهو إله القدر (آن وإنليل) وإله القضاء (شاماش) وإله الحرب (نينورتا) ، ونادراً إله الحكمة (إيا/إنكي) .

تصوره :

منذ نهاية الألف الثاني وبداية الألف الأول ق . م ، كان الإله آشور يصور على المنحوتات الحجرية داخل قرص الشمس حاملاً قوساً مشدوداً .

إشوم :

إله أكادي تذكره الروايات البابلية على أنه أخ إله الشمس (شاماش) ، وبطل ومستشار الإله (نرجال) ، وإله الطاعون (إرا) ، وبشكل عام بطل الآلهة وناظرها ، وهو على عكس سيـده (إرّا) صديق للبشـر ، يعمـل دائماً على تهدئة (إرّا) وتطييب خاطره (انظر اسطورة إرّا) .

ونراه في العالم السفلي شفيعاً عند الإله (نرجال) لانقاذ حياة أحد البشر ، ويقوم على رعاية حياة البشر في الليل وخاصة المرضى منهم .

ويوصف في المصادر السومرية ببطل سومر وحامي حمى النظام .

أشيم بابار:

انظر إله القمر.

آشوريتو:

انظر إنانا/ عشتار.

آلهة الأمومة:

إن تجسيد الأمومة في إلهة أنثى يأخذ أشكالاً وظواهر متعددة وأسماء مختلفة، وتنحصر مهمتها الرئيسة في إنجاب الآلهة، وبالدرجة الأولى في خلق البشر، ولا يوجد للأسف تعريف دقيق ومحدد لهذا الموضوع الشاق والهام الذي يحتل حيزاً كبيراً في تاريخ الديانات، والسبب في ذلك عدم وجود دراسات مستفيضة وتفصيلية للأساطير السومرية والأكادية حول هذا الموضوع، ويأتي ذكر (ننخورسانجا) في احدى قوائم الآلهة السومرية كإلهة أمومة في المرتبة الرابعة بعد (آن وإنليل وإنكي) وعندما تذكر يكون اسمها منفصلاً عن اسم الإلهة (إنانا) وأسماء زوجات الآلهة الذكور، وإننا لنعتقد أن تحديد مهام الإلهة الأم تنحصر في حماية الانسان والمدن.

- حسب التقاليد القديمة المعروفة كان الإله (إنكي) هوزوج الإلهة (ننخورسانجا)، وكانت هذه الإلهة في الأصل تمثل دور الإلهة الأم إلا أنها تخلت عن هذا الدور في العصر البابلي القديم، ونحن للأسف لا نعرف إلى أي عصر يعود هذا العرف الذي يجمع الإلهة الأم و(إنكي) كزوجين، كما لا نعرف دور الإلهة الأم في العصر السومري وما قبل السومري نتيجة تراكم الروايات وتداخلها فيما بينها، وأقدم الأسماء لآلهات الأمومة نعرف:

(أ) ننخورسانجا (ب) نينماخ. ودمجلنونّا التي تذكر في كتابات عصر (فارا) وعصر (ميزيليم) يضاف إلى ذلك اسم إلهة أخرى تدعى (دينجر - من) في حالة أن هذه الأخيرة تمثل شكلاً آخر لإلهة تدعى (نين - مينا ← انظر حرف ز).

وأهم أماكن العبادة الرئيسة لآلهات الأمومة كانت في موقع تل العبيد الحالي،

وفي مدن (أدب وكيش)، وإذا ثبت أن هذه المواقع كانت مخصصة لعبادة الإله (إنكي) فقط، فينتفي بذلك وجود طقوس خاصة مستقلة لآلهات الأمومة، وإذا كانت آلهات الأمومة قد لعبت دوراً بارزاً في ملحمة التكوين الأكادية، وفي الأساطير حول الإله (إنكي)، وجاء ترتيبها متقدماً بين أسماء الآلهة، إلا أنها لم تلعب هذا الدور في العصور التاريخية، وكانت تختفي دائماً خلف الآلهة الذكور الكبار وخلف الإلهة (إنانا).

ونورد فيما يلي أهم أسمائها مع التأكيد على أننا لا نعرف أصولها وتفرعاتها وخصائصها المتباينة، فقد يرد في النص الواحد أكثر من اسم لها:

أ ـ ننخورسانجا:

ويعني هذا الاسم في اللغة السومرية (سيدة الجبل)، وربما كان المقصود بالجبل الجبال الشرقية الحدودية التي كان يتصورها الإنسان القديم مقراً للآلهة (دوكو)، وتوصف هذه الإلهة في قصائد المديح بـ (أم الآلهة) و(أم كل الأولاد)، وكثير من حكام الرافدين يدعون بأنها أمهم مثل (ميزيليم) و(إأنناتوم من لجش) و(حمورابي ونبوخذ نصر من بابل).

ب ـ نينماخ:

ويعني هذا الاسم في اللغة السومرية كبرى السيدات، ويطلق عليها أيضاً اسم (دينجر ـ ماخ) ـ كبرى الآلهات، وقد ورد ذكرها في عصر (ميزيليم) في مدينة (أدب)، وكان لها هناك معبد، وكان معبدها في بابل يسمى (إيماخ)، وتختفي (نينماخ) كخالقة للبشر خلف الإلهة (نامو) في أسطورة (إنكي ونينماخ)، إذ تحملها الأسطورة مسؤولية فشلها في خلق انسان كامل. حيث تخرج من بين يديها مخلوقات مشوهة غير كاملة التكوين، وفي أسطورة طير العاصفة (زو) تحض (نينماخ) ابنها (ننجرسو) على قتال (زو).

ج ـ نيتو:

يرد هذا الاسم في مقدمة اسطورة الطوفان السومرية، وقد ورد وصف لتمثالها في أحد النصوص الأكادية الموجود في معبد (دينجر ماخ). وهي تحمل طفلاً بيسراها ترضعه من صدرها المكشوف.

د ـ ماما ومامي:

ألفاظ توددية للأم، أو مختصر اسم الإلهة (ماميتو) زوجة (إرّا).

هـ ـ أرورو:

خالقة (إنكيدو) في ملحمة جلجامش، وخالقة البشر في ملحمة التكوين.

و ـ بلت إيلي:

بعلة الآلهة، اسم أكادي ويعني سيدة الآلهة، وقد يكون هذا الاسم لقباً لآلهات كبار مثل (نينليل وعشتار).

ز ـ نين مينا:

ويعني هذا الاسم في اللغة السومرية سيدة القبعات الإلهية، وهو اسم نادر جداً، ويستبدل في أنشودة المعول السومرية باسم (داجلونّا)، ويرد في الانشودة التعليمية هذه بأنها هي التي ولدت الكاهنة الملكية (؟) والملك، ومن غير المؤكد فيما إذا كانت هي المعنية بالاسم (دينجر ـ من) الوارد في قوائم أسماء الآلهة المكتشفة في فارا.

آلهات أمومة المدن:

يرد في المدائح الإلهية أسماء آلهات محلية لمدن عديدة (قارن بابا وجتومدو)، ولكن ليس من المؤكد أن هذه الآلهات كانت تمثل فعلاً فكرة الأمومة في الأصل بالمعنى الحرفي للكلمة، حيث أننا نعرف أن اسم قرينة مردوخ «صربنيتو» كان متداولاً بين الشعب بلفظه الأكادي على شكل «زربنيتو»، ويعني الذرية والخلف والخلق، ثم ألحقت بها صفة الأمومة فيما بعد، وعلى كل حال ثبت من خلال الدراسات المستجدة أن آلهات كثيرة كانت ذات وظائف متعددة في الأصل تقاربت وظائفها واندمجت فيما بينها بعد العصر البابلي القديم.

آلهات الأمومة في الفن:

يعتقد أن المرأة المصورة على مشاهد الأختام الاسطوانية، وهي جالسة على عرش محتضنة طفلاً تمثل الإلهة الأم؛ كما نراها مصورة على أحد ألواح النحت، وهي واقفة يبرز من خلال كتفيها رأسان بشريان من الجانبين، ويعتقد أيضاً أن دمى المرأة العارية المنتشرة كثيراً في حضارات الشرق القديم منذ عصور ما قبل التاريخ ترتبط

بتقديس إلهة الأمومة، وقد ركز الفنان فيها على الأعضاء التناسلية وضخامة الساقين لإبراز هذه الفكرة.

آلهة أوراتو:

وصلت دولة (أوراتو) منذ القرن التاسع حتى القرن السابع ق.م، إلى أوج ازدهارها الحضاري، وشكلت قوة سياسية وقتالية ضاربة في المنطقة الجبلية المحيطة ببحيرة (وان) وكانت مصدر إزعاج وقلق للدولة الآشورية، وقد تبين بعد دراسة المخلفات الكتابية، أن لغتها تمت بصلة قرابة إلى اللغة الحورية، وتذكر الكتابات أسماء آلهة محلية، ولكن دون ارتباط بموضوعات أسطورية، والآلهة الرئيسة هي ثلاثة: خالدي وهو إله الدولة الرسمي وإله الطقس (تيشيبا) ويلفظ في اللغة الحورية (تيشوب) وإله الشمس (شيوني) إلى جانب إله القمر (شيلاردي)، وقد ورد في مدونات صرغون الثاني اسم (بجبارتي) قرينة إله (أوراتو) القوي (خالدي).

إله البدو:

انظر مارتو.

الآلهة الثعابين:

من الآلهة الثعابين المعروفة الإله (نيراح) المأخوذ عن الأصل السومري (نتّر)، ويجسد هذا الإله القوة الحامية للبشر التي يستمدها من جسمه السفلي المكون على شكل ثعبان؛ وكانت تقام له طقوس عبادة كرسول للإله (ساتاران) في مدينة (دير)، ويعتقد أن الثعبان المصور على منحوتات أحجار الحدود إلى جانب رموز الآلهة الأخرى من العصر البابلي الوسيط والحديث يرمز له.

ويطالعنا إله نصفه السفلي على شكل ثعبان على مشاهد الأختام الاسطوانية منذ العصر الأكادي القديم مع الاسم المركب (دينجر ـ موش)، وهذا يعني (إله + ثعبان)، ومن غير المؤكد فيما إذا كان الإله (نيراح) هو المقصود؛ ونرى على طبعة

أحد الأختام الاسطوانية ثعبان الماء مصوراً بسبعة رؤوس في صراع مع الإله (نينورتا)؛ كما نرى على ختم آخر من عصر جوديا إلها يبرز من بين كتفيه ثعبانان لهما قرون، ويعتقد أن هذا الإله هو إله جوديا الحامي (نينجيزيدا).

الإله الحامي:

لكل انسان في الشرق القديم إلهه الخاص يسهل له الوصول إلى الآلهة الكبيرة، ويتشفع له لديها، ومثل هذه المشاهد نعرفها مصورة على طبعات الأختام الاسطوانية، والمنحوتات الحجرية الكبيرة في عصر أور الثالث والعصر البابلي القديم حيث نرى الإله الحامي يقود صاحبه إلى إله ذي مقام أعلى ليباركه ويقرر قدره ومصيره، وأصبح الملك نفسه في عصر أور الثالث هو الإله الحامي لشعبه (انظر تأليه الملوك).

وأخذت قرينات الآلهة العظام دور الشفيع والوسيط في العهد البابلي الوسيط والحديث، وفي حالة تخلي الإله الحامي عن الانسان يصبح الانسان عرضة لتدخل الآلهة الكبيرة التعسفي في حياته، ومطاردة الأرواح الشريرة والعفاريت له (انظر عفاريت).

آلهة الحبوب:

نعرف من آلهة الحبوب الإلهة أشنان بالدرجة الأولى، التي كانت تسمى في اللغة السومرية (إيّمر) وهي ابنة الإله (إنكي)، ونتعرف على أصول خلقها في مقدمة اسطورة الجدل الإلهي بين (لاحار وأشنان)، ويرد ذكر الإلهة (أشنان) في النصوص الأدبية على أنها هي المسؤولة عن زراعة الحبوب؛ ويظهر في العصر البابلي القديم إله ذكر يحمل نفس رمز الإلهة الكتابي يدعى (إزينو)، ولكن ليس لدينا ما يثبت علاقة الاثنين ببعضهما أو تشابهها في عصور أقدم.

كما يرد اسم الإلهة أشنان مع اسم إلهين آخرين (كوسوورباسيكيل) في نشيد المعبد من عصر جوديا، ويعتقد أن الإلهة (نيسابا) إلهة الحكمة وفن الكتابة كانت في الأصل إلهة حبوب، ولكن نادراً ما كانت تذكر بهذه الصفة.

نرى آلهة الحبوب مصورة كثيراً على مشاهد طبعات الأختام الاسطوانية في العصر الأكادي القديم.

الآلهة الحورية:

كانت نوزي (قرب مدينة كركوك العراقية) مركز تجمع السكان الحوريين منذ النصف الثاني من الألف الثاني ق.م، وقد عثر فيها على نصوص تتضمن أسماء أشخاص مركبة ووثائق حقوقية تذكر فيها أسماء الآلهة الحورية، ومن دراسة الأسماء والوثائق تبين أن تأثير الآلهة الحورية كان ضعيفاً جداً على الديانة الأكادية، ويعتقد أن (شالا) قرينة إله الطقس الأكادي من أصل حوري، وكذلك الإله (دجن).

واسم (هوواوا) الذي تذكره ملحمة جلجامش جاء من المنطقة الحورية حيث تقول الملحمة أن بلاد (حوروم) الجبلية هي الأم والأب اللذان أنجبا (هوواوا)، وفي محيط الخرافات حول (لوكال بندا) تذكر (حوروم) أيضاً، ويعبر تكرار اسم (حوروم)

و (هوواوا) في أخبار كثيرة عن ذكرى اللقاء الذي تم بين البابليين والحوريين منذ نهاية الألف الثالث ق.م.

إله الشمس:

يسمى في اللغة السومرية (أُوتو)؛ ويعني رمزه في الكتابة المسمارية مضيء، وفي اللغة الأكادية يسمى (شاماش)، وهو معروف بهذا الاسم في كل اللغات السامية، وهو على كل حال إله ذكر في الديانتين السومرية والأكادية؛ وهو ابن إله القمر (نانا) السومري و(سن) الأكادي، وأخو (إنانا ـ عشتار) وقرينته (شنيردا السومرية وآيا الأكادية).

وبصفته إله الشمس الذي تنفذ أشعته إلى كل مكان، ويطلع على كل

شيء، فقد نصب إلهـا للعدالة واحقاق الحق، كما يشير أحد الأسماء في نصوص فارا «أوتو هو المدافع عني»، وبصفته بصيراً يرى كل شيء اتخذه الأكاديون حامياً لطقوس الكهـانـة وعلم الغيب، واستبعـدوا تأثـيره على أشعـة الشمس الكـاوية في فصـل الصيف، وجعلوها من اختصاص الإله (نرجال) أو إله النار (جبيل).

ويعـزى ظهـوره في قبـة السـماء خلال النهـار واختفـاؤه في الليـل في المصـادر السومرية إلى أنه يقطع السماء تجوالاً نهاراً ويركن إلى حضن البحر ليلاً ليظهر ثانية من خلف الجبـال صبـاح اليـوم التـالي؛ أمـا التصـور الأكـادي فقد جعل جبل (ماشوم) الأسطوري نقطة انطلاقة ومآبه.

نرى إله الشمس مصوراً على طبعات الأختام الأسطوانية من العصر الأكادي القـديم صاعـداً من خلف الجبـال حامـلاً أشعـة الشمس على ظهـره، واضعاً رجله اليمنى فوق جبـل، يفتـح له إلهـان وافقـان أمـامـه أبواب السماء، وهو يحمل بيده آلة اصطلح على تسميتها منشار.

وفي الليـل عنـدمـا يختفي من قبـة السـماء يقـوم برحلته إلى العالم السفلي (عالم الأموات) ليزود الأموات بالضوء والطعام والشراب؛ ويوصف بالمدائح الالهية (شمس الأرواح الميتـة). وإذا كان (شـامـاش) قد لعب دوراً بارزاً ومهـماً في الديانة والأساطير الأكـاديـة إلا أن دوره كان متـواضعـاً لدى السـومـريين الذين كانوا يفضلون عليه إله القمر، ولذا يأتي ترتيبه في قوائم أسماء الآلهة السومرية بعده. إلا أن دوره كان عظيماً لدى ملوك (أوروك) الأوائـل، إذ أن احـدى قوائم أسـماء الملوك تذكـر الملك (سكيـا نجشـر) على أنـه ابن (أوتـو) وكـذلـك حفيـدة (إنمـركار) الذي كان بطل ملحمتين سومـريتـين، كما أن (أوتـو) كان الإلـه الحـامي والمؤازر النـاصح لجلجامش، وبمساعدته يقوم جلجامش بحملته ضد (هوواوا).

و (أوتو) هو الذي قدم المساعدة لـ (دوموزي) ضد العفاريت التي كانت تتعقبه في العالم السفلي.

ويتدخل (شاماش) لصالح قضية النسر العادلة الذي خدعته الحية في أسطورة (إتانا) الأكادية، وبنفس الوقت يجعل من النسر مساعداً لـ (إتانا) الذي تبنى قضيته.

كانت أهم أماكن عبادة إله الشمس في (زيبار) الواقعة في شمال بلاد الرافدين و (لارسا) في جنوبها، أما في (آشور) فقد كان هناك معبد مشترك له ولإله القمر.

آلهة الطب:

١ ـ الآلهة الذكور:

ان دور آلهة الطب الذكور في الحياة العامة أكثر أهمية من الآلهة الاناث، ومن هذه الآلهة إله العالم السفلي (نينازو) ويعني اسمه حرفياً السيد الطبيب، وكان مختصاً بشفاء المرضى مثل إله آخر يدعى (ساتاران)، والآلهة (نينجيزيدا بن نينازو) و (دامو) إبن آلهة الشفاء (نينسينا)، وقد ورث هذا الأخير عن أمه القوى الإلهية في فنون الطب (انظر مِهْ)؛ ويلقبان (مردوخ وآشور) في المدائح الإلهية بالطبيب، ويذكر تعليق إحدى قوائم أسماء الآلهة أن (إيا/إنكي) هو راعي الأطباء وحاميهم.

٢ ـ الآلهة الاناث:

تطورت وظائف بعض الآلهات الاناث منذ العصر البابلي القديم حتى أن بعض الآلهات بدأت تعرف بآلهات الشفاء، وسوف نعيد أسماء أربع إلهات كما وردت بأسمائها القديمة في قوائم أسماء الآلهة من اللائحة المسماة (آن/آنو):

أ ـ نينسينا: ويعني اسمها في اللغة السومرية سيدة (إيسن)، وقرينها هو الإله (بابيلسانج) وابنها (دامو).

وكانت توصف منذ العصر البابلي القديم بـ (طبيبة الرؤوس السود الكبيرة) كناية عن الشعب السومري، إلا أن عبادتها كانت معروفة في (لجش) منذ عصر النهضة السومرية وفي ظل حكم السلالة الأولى في (إسن) التي استطاعت حكم بلاد بابل لفترة ما.

ارتقت (نينسينا) إلى مصاف الآلهة (انانا) وامتزجت بها، وأصبحت تدعى ابنة (آن) الكبيرة، وانتزعت بعض صفات (إنانا) الحربية في المدائح الإلهية، ولا ندري بالضبط فيما إذا كان لهذه الإلهة ارتباط ما بجزيرة (تيلمون) حيث يذكر معبد في (أور) باسم (بيت تيلمون).

ب ـ جولا: ويعني اسمها في اللغة السومرية (الكبيرة)، وتعادل في مرتبتها

مرتبة الإلهة (نينسينا) في مطلع العصر البابلي القديم، وكان يستخدم اسمها كثيراً في اللغة الأكادية كإلهة شفاء ويرمز لها بالكلب كشعار، وهو نفس شعار الإلهة (نينسينا) و (نينكارّك)، وقد ذكر في أحد النصوص الآشورية الحديثة أن الكلب المجنح ذو الرأس البشري كان تابعاً لها. وتأخذ صفات الإلهة (بابا) قرينة (ننجرسو) بعد العصر البابلي القديم، وتقترن بالإله (نينورتا) المعادل لـ (ننجرسو).

ج ـ نينكارّك: رغم أن اسمها في اللغة السومرية لم يفهم بعد إلا أن المعنى قريب من (سيدة المرفأ؟) وقد ذكرت في النصوص الأكادية القديمة، وفي خاتمة شريعة حمورابي حيث كانت تستدعي لتسبب الأوبئة للأشرار من الناس.

د ـ نينتينوجّا: ويعني اسمها في اللغة السومرية «السيدة التي تحيّ الميت»، وهي الإلهة الوحيدة من كل آلهات الشفاء التي يشير اسمها صراحة إلى وظيفتها الطبية، وتذكر هذه الإلهة في نصوص (فارا) حوالي ٢٦٠٠ ق. م. وتحتل مرتبة (جولا) و (نينسينا) بعد العصر البابلي القديم.

إله الطقس:

ا ـ أسماؤه:

يرمز إلى إله الطقس في اللغتين السومرية والأكادية بالاشارة المسمارية (دينجر ـ إم) التي تعني الريح، ويصعب تحديد شكل الاسم خلال العصور المختلفة، وتظهر الاشارة المسمارية (دينجر ـ إم) في قوائم أسماء الآلهة من (فارا)؛ ويشرح نص سومري أحدث هذه الاشارة بالاسم (و. إشكور)، ويعرف باسمه السامي (أدد ـ أدّا ـ أدّو) في العصر الأكادي القديم، ويقابله في اللغات السامية الأخرى (هدد) «أوغاريتي: هـ د د ـ آرامي: حدد» بالاضافة إلى ذلك كان الاسم الشائع عند الشعب هو(وِرْ) أو (مِرْ)، وفي اللغة العربية تعني كلمة الوَرهْ: (من السحاب الكثير المطر، والمرمرة المطر الكثير. المعرب) ولكن لا نعرف بالتأكيد مدى صحة العلاقة التي تربط هذين الاسمين بأدد.

وفي اللغة الآشورية القديمة يطالعنا الاسم المؤنث (ورتوم) كزوجة لـ (ور) على نمط (آن وأنتوم)، ونحن نعتقد أن اسم (إيتور ـ مر) الذي يرد ذكره مع (دجن) في نصوص ماري من العصر البابلي القديم له علاقة ما بـ (ور ـ مر).

ويؤكد شرح في احدى قوائم أسماء الآلهة أن (ور ـ مر) هما فعلاً مسميات لاله الطقس (أدد) حيث يذكر الشرح أن (أدد) هو (إلوور) و (إلومر) وهذا يعني (الإله ور) و (الإله مر).

٢ ـ عائلته:

كان يعتبر كل من (إشكور) السومري و (أدد) الأكادي ابني الإله (آن)، وكانت قرينة (أدد) الأكادي (شالا) وهي من أصل أجنبي. وتوصف أحياناً أخرى بزوجة الإله (دجن).

ومن الآلهة الصغار التي كانت تقوم على خدمة (أدد) شولّات وحانيش.

٣ ـ ظواهره:

لم يأخذ إله الطقس دوراً بارزاً في الديانة السومرية، وكان يصور على شكل ثور وحشي جامح كالصاعقة، وعلى عكس التصور الأكادي يرتبط اسمه بالدمار وخراب المحصول وإفساد الأرض الزراعية، وربما يعود السبب في ذلك إلى أن السومريين في جنوب الرافدين كانوا يعتمدون وسائل الري الصناعية كشق الترع وفتح القنوات، لأن الأمطار كانت قليلة وقد تحتبس لسنوات طويلة، وعندما تهطل، ففي فصل الشتاء فقط، لذا كان اعتماد البابليين الأكاديين في الشمال على مياه الأمطار أكثر، وترتبط خصوبة الأرض وجفافها برضى وسخط الإله.

كان يمثل إله الطقس عند الأكاديين قوى الطبيعة الخيرة والشريرة في آن واحد، فهو القادر على إنبات المزروعات وفي نفس الوقت على تلفها بما يرسله من فيضانات وبرد وصواعق وأملاح، وعندما يحبس الأمطار عن الأرض يصيبها الجفاف وتجتاح البلاد المجاعات، وكانت تتضمن نصوص اللعنة في المعاهدات والعقود والقوانين الدعاء على من يخل بالشروط بفيضان أرضه أو جفافها أو كثرة الملوحة فيها أو جفاف ترعها.. الخ.

ومن صفاته في المدائح الإلهية (سيد حواجز السماء).

٤ ـ أماكن عبادته:

في الجنوب الرافدي قرب مدينة (أور)، وفي(موروم) لم يعرف مكانها بعد، وفي بابل وفي آشور حيث كان يشارك (آن) في معبد واحد.

٥ ـ رموزه:

يرمز الثور إليه، ويمثل الثور الخير والخصوبة وفي نفس الوقت قوة الطبيعة

الجامحة المدمرة، كما يرمز رسم الصاعقة بفروعه الثنائية أو الثلاثية اليه .

آلهة عربية في المصادر الرافدية :

يذكر أسرحدون (٦٨٠ ـ ٦٦٩ ق . م) في أحد النصوص أنه جدد معابد الآلهة العربية التالية : عطار سمين ودايا ونوحايا ورضى وأبريلو وعطارد قرمه .

علما أن الخط المسماري لا يعيد اللفظ العربي كما هو في اللغة العربية .

آلهة عيلامية :

ان اللغة العيلامية هي لغة شعب ايراني مجاور لبلاد بابل ، ولم تفهم هذه اللغة جيداً إلا في العصر الاخميني ، إلا أن بداياتها وان لم تكن مقروءة بشكل جيد تعود إلى العصر الأكادي والبابلي القديم ، ولا يوجد حتى يومنا هذا نصوص أدبية بهذه اللغة ، والمدائح الإلهية والكتابات الملكية التي عثر عليها لم تزل غامضة ومستعصية على الفهم ، وهي مدار جدل وبحث طويلين ، ولهذا لا نتوقع أن تكون هناك أساطير خاصة بها شأنها في ذلك شأن اللغة الكشية والأوراتية .

ومن أقدم الوثائق المعروفة نص من العصر الأكادي القديم له علاقة ما بالملك (نارام سن) ، ويحوي أسماء (٣٥) إلها ، يعتقد أنها آلهة القسم حيث أن النص هو نص عقد تجاري ، ومن أسماء الآلهة المذكورة (بينكير ـ خوبان ـ نينشوشيناك ـ ناريدة ـ ناخيتي) إلى جانب آلهات بابلية مثل (نينكرّك) و (أشخارا) .

وهناك أربعة نصوص تعاويذ يحلف فيها باسم الإله (شوربو) ، وتعليق يذكر أسماء أربعة آلهة عيلامية مع ما يقابلها من الآلهة البابلية ، مثل جبر = آنو عيلام ، خومبا (ن) = إنليل ، نبر وشا = إيا (إنكي) ، لخوراتيل = نينورتا ، والآلهة الثلاثة الأولى تعتبر من آلهة العالم السفلي ،

وهناك قائمة بأسماء الآلهة تتضمن أسماء آلهة عيلامية مع ما يقابلها من الآلهة البابلية على النحو التالي :

شوشيناك وأسيجّا = نينورتا
كونزي باني وشيخاش = صربنيتو
بينكير = عشتار

واسم الإلـه نينشـوشيناك (ويلفظ في نصوص أحدث انشوشيناك وفي النصوص الأكـاديـة شوشيناك فقط) هو اسم سومري، ويعني سيد (سوسا) مثل (ننجرسو) سيد (جرسو)، ويبدو أنه إله عيلام القومي، ولا ندري السبب في استعارة العيلاميين اسما أجنبياً لإلههم القـومي، ويعتقـد أن هذه التسمية جاءت بتأثير العلاقات المتبادلة بين الشعبـين السـومـري والإيراني في وقت ما، كما يتجلى ذلك في ملحمة (انمركار وسيد أرتّا)، ومن دراسة هذه الملحمة يفترض بالعيلاميين معرفتهم بالآلهة السومرية.

وقد تبين أن من الآلهة السماوية إله الشمس (ناخوندي) أو (ناخونته) وإله القمر (نابير)، وورد اسم الآلهة السماوية السبعة (سيبتو) في قائمة أسماء الآلهة بالاضافة إلى اسم اختهم (نارونديِ).

إله القمر:

يسمى في اللغـة السـومـرية (نانّا) وفي الأكادية (سن) وفي نصوص أكادية أقدم عهـداً (سـوإين)، ويحمـل الألقـاب التالية: في السومرية (أشيم بابار)، وفي الأكادية (نمـرصيت) ويعني صاحب الشـروق المشـع، ودليلنـا على أنـه كان معـروفـاً باسمه القـديم (سـوإين) في بلاد بابـل ورود اسمه في قوائم أسماء الآلهة المكتشفة في (فارا)، وربما كان اسمه أقدم من ذلك بكثير، ويعود إلى عصر الكتابات القديمة المكتشفة في (أوروك).

وغالباً ما يرافق الرمز الكتابي اسمه الذي يعني العدد ٣٠ اسمه في النصوص، ويتفق هذا الرقم مع عدد أيام الشهر القمري.

وإله القمر هو ابن الإلهين (إنليل ونينليل)، ويذكر في المدائح الإلهية قبل العصر الصرغوني (بثور انليل الفتي).

ومحـور أسطـورة (إنليل ونينليل) يدور حول ولادة إله القمر، وقرينته هي الإلهة (نينجـال)، وأولادهما هما الهـا السـماء الـرئيسان (انانا ـ عشتار) و(أوتو ـ شاماش) إله الشمس، ويضاف إليهما أيضاً اسم الاله (نوموشدا) كابن لإله القمر، وتصنفه قائمة أسماء الآلهة من (فارا) بعد إله الشمس دلالة تفضيل نجم النهار على نجم الليل.

أماكن عبادته الرئيسة :

كان يعبد إله القمر في معبد يدعى (إكيشنوجال) في (أور)، وفي معبد آخر في حران الواقعة في شمال بلاد الرافدين، وفي حران كان يعبد إله الضوء والنار (نوسكو) على أنه ابن إله القمر، ويعرف هذا الإله عادة على أنه ابن إنليل ووزيره؛ وحافظت حران على عبادتها لإله القمر حتى العصور العربية الاسلامية، ورغم أن مركز عبادة إله القمر (نانّا) كان في العاصمة (أور) في عصر السلالة الثالثة، وانتشرت عبادته بشكل واسع في بلاد بابل في العصر البابلي القديم حيث أن معظم الأسماء اللاهوتية كانت تتضمن اسمه إلا أنه لم يرتق إلى مصافي والده الإله (انليل) ويصبح إلهاً رئيساً.

وتشير ملحمة رحلة (نانّا) (انظر رحلات الآلهة) الى نيبور (نفّر) الى أنه يلعب دوراً ثانوياً في ظل والده (انليل، إله السومريين القومي الرئيس.

إن شكل هلال القمر على صفحة السماء دعا البابليين الى تصوره على أنه سفينة السماء أو سفينة شحن بضائع السماء، وأن القمر ثور يمثل الهلال قرنيه، كما عزى البابليون ظاهرة نمو القمر حتى يصبح بدراً ثم تضائله ليعود هلالا في مدائحهم الالهية الى ثمرة عملية الولادة الذاتية.

وانعكست ظاهرة خسوف القمر على شكل اسطورة توضيحية تعلل أسباب الخسوف (انظر خسوف القمر)، فإلاله آن يرسل الآلهة الشريرة السبعة (سيبتو) لمنازلة إله القمر، وعندما يتغلبوا عليه، ويصرعوه يعتم وجهه.

ويشارك إله القمر في بعض صفاته إله الشمس من حيث كونه إله القدر يستفتى بحوادث مستقبلية، ويدعى في الصلوات والتعاويذ بإله العدالة الى جانب إله الشمس، وقد يلقب في المدائح الإلهية وفي الأناشيد والصلوات بـ (مالك القدر) أو (آن) السماء إلا أن هذه الألقاب لاتشير الى وظيفته أو مرتبته الفعلية بين الآلهة بقدر ماهي نوع من المبالغات الانفعالية.

تصوره :

يصور إله القمر على شكل هلال بقرنين بارزين على مشاهد الأختام الاسطوانية وعلى منحوتات أحجار الحدود.

ألواح القدر:

وهي حسب التصور الأكادي ألواح مرقوم عليها مصير وحياة البشر، ومن يستطيع امتلاكها، فإنه يمتلك القدرة على حكم العالم، وهذا ماتوضحه لنا اسطورة الطائر الخرافي (زو) الذي يحاول سرقتها من مالكها الأصلي الإله (انليل).

وفي ملحمة انوما اليش (التكوين البابلي) كانت ألواح القدر في الأصل بيد (تيامات)، وهي التي منحتها الى ابنها (كينجو) ثم يستلبها (مردوخ) بعد معركة حامية يتغلب فيها عليها وعلى ابنها.

وكاتب هذه الألواح هو الإله (نابو) بن (مردوخ) الذي تبقى في حوزته قبل أفول نجم بابل، كما كانت توجد ألواح قدر خاصة بالعالم السفلي. مؤلفتها والمسؤولة عنها الإلهة (بلت صرى)، ولا نملك تصورا واضحاً عن مضمونها، ولكن يعتقد أنها تحوي أسماء الموتى وتحديد مصيرهم.

آلهة كشية:

إن معظم معلوماتنا عن الآلهة الكشية ذات الأصل غير السامي وغير الهندو جرماني مستقاة من الأسماء اللاهوتية المركبة المعروفة في القرن السابع عشر ق. م، ومن قائمة أسماء الآلهة المعنونة (آن)، ومن نصين يذكران أسماء آلهة كشية وأسماء مع مايقابلها من أسماء آلهة بابلية وأسماء أشخاص.

ونحن نعرف أن الكشيين تبنوا طقوس وعبادات الآلهة البابلية التي وجدوها جاهزة أمامهم عند دخولهم أرض الرافدين إلا أن (شوقامونا وشوماليا) زوج الآلهة الكشي للعائلة المالكة استطاعا أن يتسربا الى مجمع الآلهة البابلية.

وفيما يلي أسماء الآلهة الكشية مع مايقابلها من الآلهة البابلية:

برورياش (سيد البلاد)	أدد ويصغر أحيانا على شكل (أوبرياش) ويسمى إله الطقس أحياناً (خودخا).
دور	: نرجال
جيدا روما ـ أوروتاش	: نينورتا
خالا	: جولا إلهة الشفاء
خربه	: إنليل

كموللا	: إيا
شاخ ويلقب أحيانا شورياش	: شاماش
شيبر و ـ شوجورّو	: شي ـ أوماليا وهذا الاسم البابلي من أصل كشي .
شيخو	: سن أو مردوخ
شوجَبْ	: نرجال أو شوقامونا
شو قامونا	: نرجال ـ نوسكو
مير يزير ـ مينيمزير	: السيدة .

آلهة كنعانية :

نقصد بالكنعانيين في بلاد الرافدين تلك الموجة من قبائل البدو الساميين التي استطاعت أن تستقر في بلاد الرافدين وأواسط الفرات ، وتؤسس مدنا خلال العصر البابلي القديم ، ومن أشهر ملوكهم اطلاقا هو المشرع الكبير (حمورابي) ملك بلاد بابل ، وقد تمكن هؤلاء البدو أن يتمثلوا الحضارة البابلية بسرعة ويتأقلموا معها ولكن على حساب لغتهم ، لذا لانعرف عن آلهتهم إلا أسماءها التي استخلصناها من أسماء الأشخاص اللاهوتية المركبة ومن الرسائل الدبلوماسية المتبادلة مع ماري وترقا (تل العشارة في محافظة دير الزور ـ المعرب) حيث نتعرف على أسماء آلهة محلية مثل (إتورمر) إله الطقس و(يكروب بعل) أو (إكروب بعل) ، ومن المدهش حقاً أن قائمة الأضاحي المكتشفة في ماري والتي تتضمن أسماء الآلهة الرسمية لدولة ماري لاتحوي بينها أسماء الآلهة التي تتركب منها أسماء الأشخاص مثل (أبخ أو إيبخ وبيسير) وربما تكون هذه الأسماء تشخيصاً للجبال مثل (جبل حمرين وجبل بشري) ويرخ أو إرخ (إله القمر) وليم الذي يؤلف منه اسم ملك ماري (زمرليم) ، ويرى فيه الباحث (دوسان) لقبا من ألقاب إله (دجن) وايل ويعني الإله عامة .

وغالبا ماتكون أسماء النسب العائلية أسماء آلهة مثل عمّو وحمّو وخالو كما تكتب بالخط المسماري .

مما تقدم يصعب علينا أن نكون فكرة عن الأساطير الكنعانية في بلاد الرافدين لقلة المصادر .

آكي :

انظر صرغون .

أما جشتين :

انظر جشتيانا .

أما أوسوجال :

انظر دوموزي .

أمارو :

انظر رياح .

إمدوكود :

كائن خرافي على شكل نسر برأس أسد . والاسم سومري غير مفهوم ، وقد يعني غيمة ، واذا صح هذا التفسير فيكون (إمدوكود) شكلا من أشكال إله الطقس في الأصل؟ ويطالعنا على المنحوتات منذ عصر جمدة نصر محلقا فوق زرائب الحيوانات الأهلية أو ضارباً إياها بمخالبه الحادة ، وهنا يجسد (امدوكود) قوى الشر التي تهدد حياة الحيوانات الأنيسة ، ويركب من اسمه أسماء أشخاص في عصر (فارا) .

وإمدوكود هو شعار الإله (ننجرسو) إله مدينة (لجش) ، وقد رآه جوديا في حلمه مجنحاً على شكل (امدوكود) ، ورغم ذلك لانستطيع الربط بينهما لعدم وجود روايات تراثية موحدة .

و(إمدوكود) من الشخصيات الخرافية التي ينتصر عليها الإله (نينورتا) ، رغم أن (نينورتا) و(ننجرسو) يمثلان ظاهرتين لإله واحد حيث أن (ننجرسو) يقوم بنفس الدور في القضاء على الشخصيات الخرافية في الأساطير المتعلقة به ، ولكننا نفتقد شخصية (إمدوكود) فيها ؛ ويشابه (إمدوكود) الطير الخرافي (زو) في روايات الأساطير الأكادية .

إمش وإنتن :

لفظان سومريان ويعنيان (السيد حَرْ) و(السيد بَرْدْ) والمقصود بهما الصيف

والشتـاء؛ ويقـع خلاف بينهـا حول حديث دار بينهما (انظر جدل)، فيطلب كل منهما الآخر للنزال ثم يحكم بينهما الإله (إنليل)، ويصدر حكمه لصالح الشتاء.

أمورو:

انظر مارتو.

آن:

يعني هذا الاسم في اللغة السومرية (الأعالي، السماء)، ويلفظ بالأكادية (آنوم) أو (آنو)، ورمزه بالخط المسماري يعني الإله عامة، ويسبق هذا الرمز كل أسماء الآلهة، و(آن) هو الإلـه الـرئيس في مجمـع الآلهـة السـومـري، ويحـافظ على وضعه في العصر الأكادي، وبغض النظر عن الآلهة الأصول (انظر أجيال الآلهة) يأتي اسمه الأول في قوائم أسـا الآلهـة (انظر قوائم أسماء الآلهة)، ويقابل (آن) على الأرض الإلهة (كي) وتعني (الأرض ـ الأسفـل) وتسمى في النصـوص السـومـريـة القديمة باسم نادر جداً (أوراش) كزوجـة للإلـه (آن)؛ ويظهر الزوجان معاً في النصوص البابلية القديمة (آن وكي). وفي العصـر الأكـادي تستبـدل (كي) بـ (أنتـوم) مؤنث (آن) لتكون قرينته، وتحل محلها (انانا ـ عشتار) بعد أن ترقى في سلم الألوهية (انظر سمو انانا).

ويـرد في ملحمـة التكـوين أن (آن) هو ابن (أنشار وكيشار)، وهو والد كثير من الآلهـة وبخـاصـة إلـه الطقس و(مـارتـو) ومن بناته الآلهة الاناث انانا (وهي في بعض النصـوص ابنـة إلـه القمـر) وبابا وجتومدو ونيسابا نينسينا (انظر آلهة الطب) كما تعتبر العفـاريت من مخلوقـاته مثل (لامشتو) و(أسكّو) وكذلك الآلهة الشريرة (سيبتو)، ويرد في مقدمة أسطورة (لاحار وأشنان) أن (آن) هو الذي أنجب آلهة الـ (آنونّا).

والابن البكـر للإلـه (آن) هو الإلـه (إنليـل) الـذي يصبح الإله الرئيس والإله القومي للشعب السومري، ويتضاءل دور الإله (آن) بوجود ابنه (إنليل)، ويتم تبادل الأدوار سلماً دون صراع، ورغم أن الأسـاطـير والأنـاشيد تضع (آن) في المرتبة الأولى داخل مجمع الآلهة، إلا أنه لايقوم بأي دور فعال، ويبقى ظلا باهتاً لابنه النشيط (إنليل).

وتتحدث أسطورة خسوف القمر عن مزاحمة ثلاث آلهة للإه (آن) لترقى إلى مرتبته، ولكن دون أن تقتلعـه من موقعـه، ويكون دور (آن) في ملحمة التكوين الأكادية دوراً

مخيباً للآمال ولايدعو للفخر، إذ أنه يفشل في أداء المهمة التي كلفه بها والده (أنشار) لقتل (تيامات)، وربما كان الهدف من الملحمة البابلية ابراز دور الإله البابلي القومي (مردوخ) وتمجيده على حساب (آن).

وبشكل عام كان لاينظر الى (آن) على أنه إله محب للبشر، فهو الذي يرسل ثور السماء الى الأرض ليقتل جلجامش بناء على رغبة ابنته (انانا)، وهو الذي أنجب الآلهة الشريرة (سيبتو وإرّا وجبيل)، وأرسل الى الأرض إلهة الموت (ماميتو) والعفريته (لامشتو).

كان موطن تقديس الإله (آن) في (أوروك) الا أن قلة المصادر المكتشفة هناك لاتدعنا نعرف الكثير عن مرتبته الفعلية داخل مجمع الآلهة السومري، وقد ورد في نص يتيم لأحد ملوك (أوروك) أن (انليل) قام على غير المألوف بدور الشفاعة لدى أبيه (آن)، ويعزى تجديد الولاء له وابرازه عن بقية الآلهة بسبب تدمير معبد الإله (مردوخ) في بابل وبسبب التفسير الهيليني لاسمه واسم زوجته (آن إنتوم) المقابلين لـ (زويس وهيرا).

انانا ـ عشتار:

وهي إلهة سومرية تدعى في اللغة الأكادية (عشتار)، وهي من أبرز وأصعب شخصيات الآلهة في مجمع الآلهة السومري والأكادي، حيث تأخذ أشكالاً وصفات كثيرة متباينة.

أ) **أسماؤها:**

أصل الاسم في اللغة السومرية (نين ـ أنّا)، ويعني سيدة السماء، ومن أسماء الأخرى الثانوية (إنين)، وتدعى بصفتها إلهة الزهرة (فينوس) نينسيانا.

وأصل الاسم الأكادي (عشتار) مطور عن اسم الإلهة السورية عطّار (عطّار وعشتارت وأستارته).

واسم عطّار يمكن أن يكون مذكراً أو مؤنثاً مثل آلهة الشمس لدى جميع الشعوب السامية إلا أنه لم يثبت تذكير (عشتار) في نطاق الحضارة الأكادية، وكانت تدعى منذ القديم حتى العصر البابلي القديم باسم (اشتار) أو بالأحرى (عشتار)،

وفي نصـوص أحـدث (ايشتـار)، وقد يعني اسمها ببساطة إلهة بشكل مجرد، ويجمع بـ (اشتاراتو)، ويعني آلهات، ويعزى تفسير هذا الأمر الى الدور الهام الذي كانت تلعبه عشتار في الديانة البابلية.

وتظهر (انانا) أو (عشتار) بأسماء مدن أو معابد عديدة مثل (انانا زبلام) وزبلام مدينـة قرب (أوروك) وعشتـار أكاد وعشتار كيش وعشتار نينوى وعشتار أربلاء وعشتار نوزي؛ والاسم الأكادي (أولماشيتو) يعني (التي هي من أولام)، وأولام هو معبد عشتار في أكاد، و(آشوريتو) هي التي من آشور.

هذا بالاضافة الى أسماء خاصة بها مثل (أنونيتو) و(نانيا)، ولم تتضح بعد صلة هذه الأسماء بالإلهة (انانا ـ عشتار).

ب) مصادر رواياتها:

يكتب اسمهـا بالخـط المسماري وبنفس الشعار الذي يرمز إليها، وهو عبارة عن (حلقـة قصب)، وهـذا الشعـار مدون على أقـدم الألـواح الكتـابية من عصر الطبقة الحضارية الرابعة في (أوروك) منذ بداية الألف الثالث ق.م، ويأتي ترتيبها الثالث في قوائم أسـماء الآلهـة المكتشفـة في (فـارا)، بعـد (آن وإنليـل)، ثم تأتي أسـماء الآلهـة (انكي)، وإله القمر، وإله الشمس.

وكان يركب من اسمها أسماء أشخاص منذ العصر الأكادي القديم.

ج) نسبها وعائلتها:

لدينا روايتان مختلفتان عن نسبها، وأصل الرواية الأولى من (أوروك)، وتقول أن (إنـانـا) هي ابنـة إلـه السـماء (آن)، والـروايـة الثـانيـة مأخـوذة عن حكاياتها مع (دوموزي) وهي شائعة جداً، وتزعم أن إله القمر (نانا) هو أبوها، وابنه (شاماش) أخوها.

وهنـاك روايـات ثانوية تجعل من (انليل) أبا لها، ورواية آشورية أخرى تجعلها ابنة الإله (آشور) بعد أن يأخذ هذا الأخير مرتبة (انليل) في سلم الألوهية.

وعلينا أن لانفهم النص حرفياً عندما تخاطب (انانا) إنكي على أنه والدها.

وتعتبر آلهة العالم السفلي (اريشكيجال) أخت (إنانا ـ عشتار)؛ ومن حاشيتها: سفيرتها ومرافقتها (نينشوبور).

إن السبب في تصـور الإلهـة (إنـانـا ـ عشتـار) كإلهـة للحب والجنس يعـود الى أنها لم ترتبـط بعقـد زواج مع أحـد من الآلهة الذكور، ورغم ذلك توجد روايات محلية تتحدث عن زواجها بآلهة محلية مثل إله الحرب (زبابا من كيش) والإله (آشور)، إلا أن زواجها هذا ليس له قيمة فكرية على الصعيد الديني أو الكوني مثل زواجها بالإله (آن) عندما ترقى إلى مرتبته وتأخذ مكان زوجته (أنتوم).

ولكن الشيء المثير والملفت للنظر هو اقترانها بـ (دوموزي)، وفشل هذا الزواج يعني تحررهـا من قيـود أي رابـطة زوجية، ونجد صدى زواجها من (دوموزي) وفشله قد تخطى كل الحدود المحلية ليصبح كونيا تناولته آداب الشعوب في المنطقة.

وطبيعي أن تبقى (إنانا ـ عشتار) بلا أولاد في المفهوم اللاهوتي، لكونها إلهة بلا زوج، والاستثناء الوحيد الذي نعرفه أن (شارا) هو ابن (إنانا) الحبيب كما يصفه أحد النصـوص، أمـا وصف (عشتـار) بالخـالقـة وبالأم وبالقابلة في النصوص المدونة بعد العصر البابلي القديم، فيشير الى اكتسابها بعض صفات الأمومة خلال التطور الذي شهدته خلال الألف الثاني ق.م.

د) أماكن عبادتها وانتشار طقوسها:

كان مركـز عبـادة (إنـانـا ـ عشتـار) الـرئيس في كل العصور هو معبد إأننا (بيت السـماء أو بيت الأعـالي للإله آن) في مدينة (أوروك) الواقعة في جنوب بلاد الرافدين، فإليهـا كان مآبهـا بعـد تحررهـا من العالم السفلي (انظر نزول إنانا الى العالم السفلي)، وإليها حملت ألواح القدر (انظر مِهْ) من مدينة (إريدو).

بالاضـافـة الى معبـدهـا في أوروك كان يوجد لها معبد في كل مدينة سومرية أو أكـاديـة كبـيرة، وانطلقت عبـادتهـا خارج حدود بلاد بابـل حيث نجـد معـابد لها في (ماري) وفي كل مدينة من مدن الدولة الآشورية كما هو الحال في مدينة (نوزي)؛ وفي أسطورة (انمركار وسيد أراتا) يقوم (إنمركار) السلف الثالث لجلجامش وحاكم مدينة (أراتا) بجعل مدينة ايرانية في الجبال الكردية تتسابق في كسب ود (انانا)، وان اختلط تأريـخ العصـور في القصيـدة الأسطـورية إلا أنها تعكس مدى تأثر الدول المجاورة في الشمال الشرقي لبلاد الرافدين بطقوس الإلهة (إنانا).

وتـرقى الإلهـة (نينسينـا) إلهـة الشفـاء في مدينـة (ايسن) الى مصـافي الإلهـة (عشتار). في العصر البابلي القديم وتتقمص شخصيتها، ويعتقد أن السبب في ذلك

يعود الى أن مدينة (ايسن) تتصدر زعامة دول المدن الرافدية بعد انهيار سلطة السلالة السومرية الثالثة في (أور)، وتبقى العلاقة غير واضحة بين (انانا ـ عشتار) ومنافستها (نانايا) التي أخذت عنها كثيراً من الصفات وتمثلتها حتى غدت مثلها في مرتبة الألوهية.

هـ) صفاتها:

(إنانا) هي الإلهة الأنثى المهيمنة في مجمع الآلهة السومري كما (عشتار) في مجمع الآلهة الأكادي؛ ومحاولتنا في جمع الإلهتين معاً لنتحدث عن صفاتهما لايعني اطلاقاً أنهما كانتا في الأصل تنسجمان بطبيعة واحدة يصعب التمييز بينهما، وإنما المصادر التي اعتمدناها في بحثنا تعود الى وقت اندمجت فيه الشخصيتان، وتوحدت صفاتهما المشتركة في طبائع متشابهة، وبما أن هذه الإلهة ذات طبائع وصفات وأخلاق متباينة، ومتنوعة فمن العسير أن نحدد صفة مابشكل مطلق، ونعممها إذ قد تكون هذه الصفة لاحدى الآلهات المحلية المشابهة لها.

ويمكن أن نحدد معرفتنا لهاتين الإلهتين من ثلاث صفات جوهرية مشتركة:

١ ـ إلهة الحب والحياة الجنسية.

٢ ـ إلهة الحرب والنزعة القتالية المدمرة.

٣ ـ إلهة نجم الزهرة (فينوس) السماوي.

والصفة الأخيرة هي من الصفات الأصيلة لشخصية عشتار الأكادية لأنها مشتركة بين كل الشعوب السامية كما نعرفها في شكل شخصية (عطّار).

١ ـ تحتل عشتار محور الحديث في اللوحة السادسة من ملحمة جلجامش، كإلهة تستقطب بمفاتنها الأنثوية أنظار الرجال، إلاأنها تهجر عندما يُفتضح أمرها، ومن عشاقها الذين نعرفهم بالاسم في الملحمة من خلال الروايات المدونة قديماً أو الأحدث عهدا الانسان الإله (دوموزي)، وفي روايات أخرى مشابهة يأخذ هذا الدور البستاني في أسطورة نسب صرغون الأكادي، ومن جهة نظر سومرية يكون البستاني (شوكال ـ اتودا) في أسطورة (انانا وشوكال ـ اتودا).

ونستخلص من الرواية الأكادية لملحمة جلجامش أن الرجل الأكادي كان يتخذ موقفا معاديا من تقاليد العرس الإلهي المقدس كما أوضح ذلك استاذ السومريات (فالكن شتاين) في إحدى مقالاته.

ونـرى تأثـير عشتار على الطبيعة والحياة الجنسية عند مغادرتها الأرض وتوجهها الى العـالم السفـلي حيث تحتجزها هناك أختها (اريشكيجال) إلهة العالم السفلي (انظر نزول انانا الى العالم السفلي)، فتتوقف الطبيعة عن الاخصاب ويشل النشاط الجنسي لدى الـرجـال، وينحصـر نشاط (انانا) الجنسي في علاقتها مع (دوموزي) فقط أو مع من يمثله في الرواية السومرية؛ وتلعب الإلهة الأم في الديانة السومرية دوراً أكثر أهمية وأكثر فعالية من دورها في الديانة الأكادية، ويجب التفريق بينها وبين (انانا).

ورغم أن العـرس المقـدس في المعابد قد أثار اهتماما متزايدا لدى الباحثين، إلا أن الـدراسـات حولـه لم تزل قليلة وغـير مشبعـة، وخـاصـة فيـما يتعلق بطبيعة عشتار الشهوانية الشبقة.

وتشير كتابات هير ودوت الى الأثر الذي خلفته عبادة عشتار المفعمة بالإثارات الجنسية لدى اليونانيين الذي أطلقوا على (انانا ـ عشتار) اسم افروديت البابلية.

ويعتقد أن المرأة العارية المصورة على المنحوتات تمثل الإلهة عشتار أو من يدور في فلكها من كاهنات معبد العرس الالهي المقدس.

٢ ـ تظهـر طبـاع الإلهة الحربية القتالية في شخصيتيها السومرية الأكادية خلال كل العصـور، وتأخـذ دورا بارزا في الـديـانـة الآشـوريـة في شمال بلاد الـرافدين منذ النصف الثـاني من الألف الثـاني ق.م، حيث تقـوم بحملة عسكـريـة ضد جبال إبخ (انظـر انـانـا وابـخ)، ويسميها حمورابي في مقدمة شريعته (سيدة الكفاح والمعارك)، وتحتـل مكـانها في مجلس الآلهة كإلهة حرب ذات شخصية مستقلة متنفذة، وقد فقدت كل أنـوثتهـا المعـروفـة بها، ومن طبـاعهـا المشهـورة بها: المـزاجيـة والحقد وحب الثأر واغتصـاب أمـلاك الآخـرين، فهي التي طلبت من أبيهـا إله السماء (آن) ثور السماء لتستخـدمـه أداة ثأر ضد جلجـامش، وكـان الهـدف من نزولهـا الى العالم السفلي هو توسيع صلاحياتها ومد نفوذها على حساب الآخرين، وهي التي كانت تطمح بالسيادة على السـماء (انظـر خسـوف القمـر)، وهي التي استخـدمت الحيلة عوضـا عن القوة خلال زيارتها للإله (إنكي) في مدينته (اريدو) لتسلبه ألواح القدر(مِهْ) لصالح مدينتها (أوروك) (انظر انانا وانكي).

وتمجـد (انـانـا) في الأناشيد السومرية والأكادية كإلهة حرب من الطراز الأول، ونراها مصورة على المنحوتات تقود الأسرى تحت أقدام الملك المنتصر.

٣ ـ وتـلازم صفتهـا الحـربيـة صفتها الأخرى كنجمة للسماء (الزهرة ـ فينوس)

حيث أنها تعرف نفسها أمام حارس بوابة العالم السفلي حين توجهها الى هناك بالكلمات التالية : «أنا إنانا من مشرق الشمس» ، وفعلا تصور إنانا على المنحوتات وأشعة الشمس تظهر خلف ظهرها ، كما تظهر على منحوتات حجر الحدود في العصر البابلي الوسيط والحديث على شكل نجم مثمن مشع ، وقد يندمج رمزها (النجم المثمن) برموز آلهة سماوية أخرى مثل هلال القمر وقرص الشمس .

و) أساطيرها :

يرد ذكر (إنانا ـ عشتار) في ملحمة جلجامش اللوح السادس (إنكيدو والعالم السفلي) وفي ملحمة التكوين (انظر تكوين الفقرة الرابعة) ومن أهم أساطيرها المدونة بشكل مستقل :

١ ـ إنانا وإنكي :

اسطورة سومرية ، والنصوص التي ترويها غير كاملة إلا أن المضمون يمكن فهمه .

تتوجه (إنانا) الى (إريدو) ، وقد وضعت نصب عينيها أن تحصل على ألواح القدر التي تحوي القوى الإلهية بأي ثمن (انظر مِهْ) لصالح مدينتها (أوروك) ، فيرسل (إنكي) وزيره (إسيمو) ليستقبلها ويستضيفها بحفاوة بالغة ، وفي حفل شراب يتساقى الإلهان الخمر حتى تلعب الخمرة برأس الإله (إنكي) ، فيهبها ألواح القدر ، فتحملها (انانا) على سفينة السماء بسرعة قبل أن يفيق (انكي) من سكرته ، وتتوجه بها الى مدينتها (أوروك) ، وعندما يصحو (إنكي) من نشوته يفتقد ألواح القدر ، فيطلعه (إسيمو) على جلية الأمر ، فيزود إنكي (اسيمو) بمجموعات من عفاريت (أبزو) للبحث عنها في المحطات السبع التي تتوقف فيها (إنانا) لاسترداد الألواح المسروقة .

وعندما تضبط (إنانا) في احدى هذه المحطات يدور نقاش حاد بينها وبين (اسيمو) ، وخلال النقاش تتمكن (إنانا) من خطف السفينة بواسطة سفيرتها (نينشوبور) بعد أن تنصحها (إنانا) بأن لاتمس يداها سطح الماء لتتجنب قوى الماء السحرية التي بثتها فيها عفاريت المياه ، وهكذا تصل سفينة الألواح المسروقة الى شاطىء الأمان في (أوروك) سالمة .

تظهر هذه الأسطورة التنافس على الزعامة بين المدينتين (اريدو) التي كانت لها

الريادة في الأصل وأوروك التي تطمح بأخذ الريادة منها وتحصل عليها فعلا .
وهذه الأسطورة ذات أهمية بالغة حيث تعرفنا على أسماء القوى الإلهية في ألواح القـدر تفصيـلا ، واننـا لنعتقـد أن لقب (انـانـا) المتكـرر (التي ذهبت بألواح القـدر الوحشية؟) مقتبس عن هذه الأسطورة .

٢ ـ سمو إنانا :

يروي هذه الأسطـورة نص باللغتـين السومرية والأكادية ، ويوجد نسخ عنه من العصر البابلي الحديث والعصر السلوقي ، وقد اختتمت هذه النسخ بالعبارة التالية :
(اللوح الثالث من السيدة المتعالية التي هي وحدها العظيمة) .
مضمون الأسطورة :

بنـاء على طلب الآلهـة العظـام يقـوم إلـه السـماء (آن) برفـع (انانا) الى مرتبة قرينتـه (أنتـوم) المعـادلـة لمرتبتـه هو، ويجعـل منهـا نجم السماء (الزهرة ـ فينوس) ، بعد أن يزودهـا بشـارات الألـوهية المناسبة ، وفي اللوح الرابع يمنحها الإله (إنليل) من جانبه السيادة على الأرض .
وبما أننا نجهل مضمون اللوحين الأول والثاني من سلسلة الأسطورة فلا يمكن التكهن فيـما اذا كان رقي (انـانـا) قد جاء بنـاء على تحريضهـا للآلهـة ليقفوا معها في التصـويت أمـام (آن) ؛ وقـد ورد توريـة في اسطـورة (خسـوف القمـر) ، تعلل سبب صعودها الى المراتب العليا ، اذ يقول مضمون الأسطورة أن (انانا) كانت متحالفة مع إله القمر وإله الشمس ضد (آن) ثم تتخلى عنهما ، وتقف في صف (آن) ، وهي تحلم بسيادة السماء .
ويتغنى نشيـد أكـادي منذ نهاية العصر البابلي القديم بعشتار ويصفها بزوجة (آن) ، وهنـاك نشيـد آخـر مشابه من عصر (سامسوإلونا) البابلي يتغنى بالإلهة (نانايا) المساوية لـ (إنانا وعشتار) ، ويقول : إن (آن) رفع رأسها بين كل الآلهة .

٣ ـ نزول إنانا الى العالم السفلي :

أ ـ الرواية السومرية :
تغـادر (إنـانـا) معبـدها في (أوروك) مزودة بكل شارات الألوهية ، متوجهة الى

الأرض الكبيرة (كي - جال) الى العالم السفلي، وعند بوابة العالم السفلي يستوقفها الحارس (نتي)، ويسألها عن سبب زيارتها، فتتذرع بسبب مخادع لزيارة أختها (إريشكيجال) إلهة العالم السفلي.

وعندما تفاجأ هذه الأخيرة بظهور (إنانا) تستشيط غيظا، وتأمر حارسها بأن يجعل إنانا تتخلى عن شاراتها السبع (الحلي والألبسة) الواحدة تلو الأخرى عند اجتيازها سبع بوابات العالم السفلي حتى تصل الى عرشها عارية مجردة من كل شيء فاقدة القوى الالهية، فتتمكن من تسليط نظرة الموت عليها، وبعد ثلاثة أيام من اختفاء (إنانا) تتوجه سفيرتها (نينشوبور) مرتدية لباس الحداد الى (إنليل) و(إنانا) منفذة الوصايا التي زودتها بها (إنانا) قبل ولوجها العالم السفلي. إلا أن الإلهين يرفضان تقديم المساعدة، والنص لايقدم تفسيراً لهذا الرفض، ولكن يعتقد أن سبب رفضهما يعود الى أن (إنانا) تجاوزت في طموحها كل الحدود، فإلى جانب سيادتها على ملكوت السماء تطمع في احتلال مواطيء قدم لها في العالم السفلي خارج نطاق نفوذ الالهين مما يسبب لها الموت والفناء المحققين، وعندها توجهت (نينشوبور) الى إله ثالث هو الإله (إنكي) الحكيم الذي لاتعجزه الحيلة في إيجاد الوسيلة لإنقاذ الإلهة الميتة، فيخلق كائنين لاجنس لهما مذكرا أو مؤنثاً حيث لاتطبق عليهما قوانين وأنظمة عالم الأموات ويزودهما بنبات وماء الحياة، وعندها يتوجهان الى العالم السفلي ويطلبان جثة الإلهة (إنانا)، وعندما يحصلان عليها يرشانها بماء الحياة، فتعود الى الحياة، وهكذا تنجح خطة (انكي) الحكيمة، ولكن (انانا) لاتستطيع العودة الى الأرض دون أن تترك بديلا عنها في الأموات، وحتى تحصل على البديل ترافقها عفاريت العالم السفلي عبر طريقها في بلاد سومر الى مدينتها (أوروك)، ولكن انانا تمتنع عن تسليم سفيرتها (نينشوبور) والإلهة الحزينة على موتها وابنها (شارا) إله (مدينة أومّا) كرهائن، وعندما تصل حي (كولابا) في أوروك تفاجأ برؤية (دوموزي) جالسا على العرش في أبهى حلله عوضا عن أن تراه حزينا ملتاعا على فراقها، فتسلط عليه عفاريت (جالا)، ولكن (دوموزي) يستطيع ان ينجو منها بمؤازرة إله الشمس (أوتو) الذي يحوله الى غزال ويخفيه في حظيرة أخته الإلهة (بليلي).

بقية الأسطورة غير مقروءة جيدا ويصعب فهمها، ويتوقع أن (دوموزي) ينتقل الى العالم السفلي حيث أن اسمه مذكور في لوائح أسماء آلهة العالم السفلي.

ب ـ الرواية الأكادية :

مصادرها : نسخ من العصر البابلي الحديث اكتشفت في كل من اشور ونينوى.
تحتوي مقدمة الاسطورة تصويرا مرعباً لحياة الاموات في العالم السفلي ، وبعد المقدمة نرى عشتار تتوجة الى العالم السفلي (الى عالم بلا عودة) وترجو الحارس (نمتار) أن يفتح لها الباب ، وعندما تمنع من الدخول ، تهدد بخلع الباب وايقاظ الموتى ، فتخشى (إريشكيجال) على سلطتها في العالم السفلي ، فتستدعي الحارس وتزوده بتعليماتها ، وتطلب منه أن يعامل عشتار وفق أنظمة وقوانين العالم القديمة .

ويمتثل الحارس لأمرها ثم نشاهد عشتار واقفة أمام (اريشكيجال) عارية كأي انسان عادي معرض في كل لحظة للموت ، وتسلمها الى (نمتار) حارس أبواب الجحيم ، وبعد اختفاء عشتار في عالم الأموات ، تتوقف كل مظاهر الحياة والانجاب على سطح الأرض ، فيذهب سفير الآلهة (ببسوكال) مرتدياً ثوب الحداد الى الإله (سن) ويطلعه على الأمر ، إلا أن الإله يصده ويعرض عن مساعدته ، فيتوجه الى الإله (إيا) بالرجاء فيستجيب له ، ويخلق الخصي (أصوشونامير) الذي استطاع أن يحصل على صندوق ماء الحياة الجلدي بعد أن تمكن من مراوغة وخداع (اريشكيجال) ، فتلعنه (اريشكيجال) لكنها ترسل في طلب عشتار بواسطة (نمتار) وتعيدها الى الحياة برش ماء الحياة فوقها ، وتستعيد عشتار شارات الألوهية (الحلي والملابس) التي خلعتها عند دخولها العالم السفلي في طريق عودتها الى الأرض ، حيث تستردها قطعة قطعة عند كل باب من الأبواب السبعة ، ثم يسمح لها بمغادرة العالم السفلي بشرط أن تسلم بديلاً عنها ، ويكون البديل هو (دوموزي ـ تموز) الذي تندبه أخته (بليلي) .

تتميز الرواية الأكادية بالمقارنة مع الرواية السومرية بالايجاز والعرض المختصر ، ويفهم من الروايتين السومرية والأكادية أن (انانا ـ عشتار) كانت تطمح بامتلاك العالم السفلي الى جانب العالم العلوي وفي نفس الوقت تعلل السبب في اختفاء (دوموزي) واقامته في عالم الأموات ، واذا كانت الرواية السومرية تجعل من (دوموزي) مذنباً ولاتعير (إنانا) الاحترام اللائق بها ، فان الرواية الأكادية غامضة بهذا الخصوص .

وعندما يلوم جلجامش عشتار في ملحمته ويتهمها بأنها فرضت على (دوموزي) النواح سنة بعد سنة (اللوح السادس من ملحمة جلجامش) فهذا يعني أنه يتهمها بالمزاجية والجبروت .

والتفسير السابق لنزول عشتار الى العالم السفلي من أجل تحرير (دوموزي - تموز) أصبح الآن بعد الدراسات الحديثة باطلاً.

٤ - إنانا وبيلولو:

اسطورة سومرية مدونة على نسخة، وهذه النسخة غير كاملة لم يفهم مضمونها بشكل واضح.

٥ - إنانا وإبخ:

لم تدرس هذه الأسطورة السومرية بشكل كاف، ويدور محور الحديث فيها عن الحملة الانتقامية التي شنتها الإلهة (انانا) بشخصيتها القتالية ضد (إبخ) الذي يشخص جبل (حمرين)، ويرفض الخضوع لها والاستسلام مثله في ذلك مثل عفاريت (الأساكّو).

تعكس هذه الأسطورة نضال البابليين ضد الشعوب الجبلية الشمالية، وربما نشأت عقب انتصار (أوتوخنجال) حاكم (أوروك) على الشعب الغوتي الجبلي حوالي ٢٠٦٠ ق.م.

٦ - إنانا وشوكال إتودا:

عقدة هذه الأسطورة السومرية الناقصة تتلخص في أن البستاني (شوكال اتودا) يقترف إثماً كبيراً بحق الإلهة (انانا)، اذ أنه يضاجعها وهي غافية بالقرب من بستانه بعد أن عادت متعبة من رحلة طويلة قامت بها؛ وتنتقم (انانا) لنفسها بأن ترسل ثلاث مصائب متلاحقة الى بلاد سومر، الأولى تجعل آبار سومر تنبع دماً عوضاً عن الماء. والثانية تغرق سومر بالسيول والعواصف. أما الثالثة فهي غير واضحة.

ينجو البستاني بالتجائه الى أخوته ذوي الرؤوس السود (السومريين) في المدينة.

خاتمة الأسطورة، ويعتقد أن (انانا) تطلب مشورة (انكي).

آن أولجَارًا:

انظر ملحمة التكوين الفقرة السادسة.

إنبيلولو:

إلـه الميـاه والحقـول السـومري (انظر انكي ونظام العالم) له صفات (انكميدو) ومعنى اسمه غير واضح، ويعتبره الأكاديون ابنا للإله (إيا) وتسميه قائمة أسماء الآلهة الموصـوفـة (آن ـ آنوم) حدد البابلي (انظر إله الطقس)، واسمه واحد من خمسين اسما للإله مردوخ (انظر تكوين الفقرة الرابعة).

أنتوم:

هي إلهـة السـماء وقـرينـة (آن) حسب التصور الأكادي، واسمها مؤنث (آن) بإضـافـة تاء التأنيث، وفي أسطـورة (سمـو انـانـا) يرفـع (آن) مرتبة (انانا) الى سوية (أنتوم) ويتزوجها.

الانسان الثور:

انظر عفاريت.

الانسان العقرب:

انظر عفاريت.

أنشار:

يأتي ترتيب الـزوج الإلهي (أنشـار وكيشـار) في قائمة أجيال الآلهة. في ملحمة التكوين البابلي (إنوما اليش) بعد (لحمو ولحامو). وهما والدا الإله (آن). وفي العصر الآشـوري الحـديث يصبح آشور إله الدولة الآشورية القومي مساويا (لأنشار). ولفظ الاسمـين كهـا نـرى متشـابـه (أشور وأنشار)، وينافس الإله (مردوخ) على ترأس جميع الآلهـة، وفي الـروايـة الآشـوريـة لملحمـة التكوين (انوما اليش) يوضع اسم (أنشار ـ آشور) مكان اسم مردوخ.

إنكي:

ويعني في السـومـريـة سيـد الأرض أو سيـد الأسفل. ويقابله في الأكادية اسم

(إيـا)، وربـما كان يلفـظ الاسم الأكادي في الأصل (آ)، ولا نعرف مصدره أو معناه، ويعتقـد أن اسم الإلـه الحثي (آش) والاسـم اليـونـاني (آوس) مشتقـان منـه، كما أننا لانعرف فيما اذا كان الاسم (إيا) الذي يذكر في أحد أسماء الأشخاص اللاهوتية المركبة من القـرن الـرابـع والعشرين ق. م، وقد جلبه الساميون معهم الى بلاد الرافدين أم أنـهم وجدوه مستخدما في صلوات وعبادات أقوام توارثته من عصور أقدم.

ويعـرف عن الإلـه (إنكي) أنـه إلـه الحكمـة التعـويـذات وسيد (الأبزو) التي تصورها الانسان على شكل محيطات المياه العذبة في جوف الأرض، وبذا يكون الإله (إنكي) إلـه الخـير والعـذوبـة ومـانـح الخصب ومفجـر اليـنـابيع، وزوجته هي الالهة (دمجلنونا) التي يقابلها في اللغة الأكادية (دمكينا) وسفيره (اسيمو)، وهو والد (أساللوحي).

وتخضع له في مقره في المحيطات العذبة عفاريت المياه والكائنات الخرافية (انظر أبجـال ولحمـو)، ويأتي ترتيب اسمـه الثـالث في قوائم أسـماء الآلهة وأحياناً الرابع أو الخـامس،وغالباً ماتذكره النصوص السومرية ضمن مجموعة الآلهة الأربعة (آن ـ انليل ـ انكي ـ الإلهة الأم).

أهـم مراكـز عبـادتـه الـرئيسـة هو مدينة (إريدو) التي تصفها قوائم أسماء الملوك بأقدم مدن سومر، وانكي هو الذي يدير شؤ ون (القوى الإلهية مِهْ ـ ألواح القدر)، وبما أنـه مالكهـا فهـو الـذي يدير شؤ ون الكون ويحدد نظامه (انظر انكي ونظام الكون)، وبصفتـه إلـه الحكمة فهو الذي يعلم الناس طقوس التعاويذ ويسدي النصائح للآلهة في الأوقات الحرجة عندما تتعرض للمصاعب (انظر انكي وننماخ، لاحار، وأشنان)، ولا يضن بالمساعدة على أولئك الذين توجهوا بطلبها من آلهة أخرى وعادوا من لدنها خائبين (انظر نزول انانا الى العالم السفلي)، وهو على كل حال صديق للإنسان، إذ أنـه هو الـذي أفشى سر الطوفان الى (زيوسودرا السومري ـ أوتنابشتي الأكادي ـ نوح التوراتي)، وهو الذي وجه (أدابا) و(أترحاسيس) بارشاداته، وكانت النتائج دائماً حسنة.

ولم يسـ ـخـدم إنكي العنف اطـلاقـاً للوصول الى بغيته، حتى في الأوقات التي يلجأ فيها الى الغش والخداع كما في ملحمة التكوين (انظر الفقرة الرابعة) التي تصوره مقاتلاً، فهو قبل أن يقضي على (الأبزو) وينتصر عليها يخدرها ويشل قواها بتعاويذه.

يأمر (انكي) في اسطورة (إنكي وننماخ) الإلهة (نامو) بخلق الانسان الأول من الطين، وفي ملحمة التكوين (إنوما اليش) يخلق (ايا) بنفسه الانسان الأول منفذا بذلك أوامر (مردوخ)، وفي أسطورة (انكي وننخورسانجا) يوصف (انكي - ايا) بخالق الآلهة الأخرى (انظر تكوين الفقرة الثالثة)، ويوصف في المدائح الإلهية (بالذي يخلق والذي يلد).

ليس هناك فوارق واضحة بين شخصيتي (انكي) السومرية و(ايا) الأكادية حتى الآن.

انكي في الفن:

يعرض مشهد أحد الأختام الأسطوانية من العصر الأكادي القديم (انكي) جالساً على عرش داخل معبد تحت المياه؛ تتدفق المياه من بين كتفيه على شكل موجات، ويرمز له عادة بعنزة لها رأس سمكة.

انكي وننخور سانجا:

تصف هذه الأسطورة السومرية في مقدمتها حياة (انكي) كواهب للمياه العذبة مع الإلهة الأم في تيلمون (انظر تيلمون)؛ وتظهر الإلهة الأم في الأسطورة بأسماء عديدة كما سوف نرى، و(نينسيكيل) أحد ألقاب (ننخورسانجا) في الأسطورة، و(دمجلونّا) أيضا.

يحوّل (انكي) بناء على شكوى (نينسيكيل) منابع المياه المرة الى مياه عذبة؛ وعندما يضاجع نينتو (ننخورسانجا)، وتحمل منه يختصر مدة الحمل من تسعة أشهر الى تسعة أيام فتضع له الإلهة (نيمو)، فيشتهي انكي ابنته (نيمو) فيطارحها الغرام ويفلح في النهاية بمضاجعتها، فتلد له (نيكورّا) التي تنجب بدورها بعد تسعة أيام إلهة الغزل والنسيج والغسيل، (أوتّو)؛ عندها ترشد (ننخورسا نجا) الإلهة (أوتو) الى طريقة تخلص بواسطتها من ملاحقة (انكي)، وتنجو من الانجاب المستمر، إلا أن (إنكي) لاتعجزه الحيلة في ايجاد وسيلة للوصول الى (أوتّو) فيدخل بيتها كبستاني حاملا اليها الثمار ويتمكن منها، وبمساعدة (ننخورسانجا) التي تتدخل في الموضوع بحيلة، تجعل بذرته تنمو ثماني نباتات، فيطلب (انكي) من وزيره (اسيمو) أن يقتطعها ويقدمها له طبقا شهيا، فيأتي عليه كله؛ عندها تلعنه (ننخورسانجا) وتغادره.

تضج الآلهة بسبب غياب الإلهة الأم وتدب الفوضى بينها، فيعد الثعلب الإله (إنليل) أن يقنع الإلهة الأم بالعودة إذا منحه (إنليل) مكافأة مناسبة، وفعلا يتمكن الثعلب من اقناعها، وعندما تعود، تجد (انكي) أمامها وقد اعتورته ثماني عاهات نتيجة التهامه للثماني نباتات، فتلد له إلهة شفاء لكل عاهة من عاهاته حتى يشفى من مرضه، وبعدها توزع الإلهة الأم وظائف ومهام للآلهة التي ولدتها حديثاً، ومن هذه الآلهة الإله (أبّا) المختص بنمو النباتات والزرع، و(نينتولا) سيد (ماجان) منطقة ساحلية في ايران أو الجزيرة العربية) وزوجات ثلاثة آلهة أرضية، و(انزاج) سيد جزيرة (تيلمون) التي تدور حوادث الأسطورة فيها.

انكي ونماخ:

اسطورة سومرية غير كاملة ويصعب اتمامها، وقد عثر على نسخة من نص الأسطورة باللغتين الأكادية والسومرية من العهد الآشوري الحديث الا أن النسخة ناقصة أيضا.

يقول مضمون الأسطورة (البداية ناقصة) أن الإلهة (نامّو) الإلهة الأم توقظ ابنها (انكي) الراقد في معبده (انجور) تحت المياه العذبة (انظر أبزو) بناء على شكوى الآلهة، التي بدأت تتذمر من كثرة العمل، وتطلب منه مساعدتها لتخفف عنها عبء العمل، فينصحها أن تشكل بشراً من الطين فوق مياه (الأبزو)، على أن تقوم الإلهة الأم (ننماخ) وسبع آلهات أخريات بدور القابلات، وعندما تتم الولادة، على (نامو) أن تحدد مصائر البشر، ويحدث هذا فعلا، وتحمد الآلهة قرار (انكي) الحكيم، ويقيم الإلهان (انكي وننماخ) وليمة شراب احتفاء وابتهاجا بخلق البشر، وبما أن (ننماخ) تحمل في نفسها موجدة من دورها الهزيل المفروض عليها كقابلة في عملية الخلق، تريد أن تثبت ذاتها كخالقة أمام (انكي)، فتأخذ القطعة المتبقية من الطين، وتجعل منها سبع كائنات حية لتضاهي بها عملية الخلق عند (انكي)، إلا أن هذه الكائنات تخرج من بين يديها ناقصة الخلق ومشوهة، وجهازها التناسلي غير طبيعي، فيضطر (انكي) أمام هذا الأمر الواقع الى توزيع هذه الكائنات المشوهة بين البشر فكانت النتيجة وجود الأعمى والخصي والعقيم في الحياة، وكرد على تحدي (ننماخ) يخلق (انكي) كائنا يطلق عليه اسم (أوموؤول) ويعني (أيامي البعيدة)، والمقصود بهذه العبارة الرمز الى سن الشيخوخة والهرم، ويطلب من (ننماخ) أن تصنف هذا الكائن بين

البشر في الحياة، لكن (ننماخ) تظهر عجزها ويفوز (انكي) بقصب السبق في عملية التحدي.

انكي والنظام الكوني:

تتحدث أسطورة سومرية ناقصة وغير مدروسة جيدا عن (انكي) كمنظم للعالم، وكمانح البركات لبلاد سومر وأنهارها وبلاد (ماجان وملوحا) وأنهارها وربما المقصود بهذين الاسمين منطقة الساحل في الجزيرة العربية ومنطقة نهر الهندوس.

ويشرف (انكي) في هذه الأسطورة على أعمال عدد من الآلهة وأماكن نفوذها مثل إله الري (انبيلولو) وإله الطقس (اشكور) وإله الحبوب (أشنان) وإله الطوب (كبتا) وإله العمران (موشدمّا) وإله الحيوانات البرية (شاكان) وإله الحظائر ونبات البادية (دوموزي).

إنكيدو:

هو رفيق جلجامش في الملحمة السومرية والأكادية، والنصوص السومرية المتوفرة بين أيدينا لاتفصح شيئا عن أصله، أما نصوص ملحمة جلجامش الأكادية فتذكر أن الإلهة الأم (أرورو) تقوم بخلقه لتجعل منه نِدًّا لجلجامش، وتصرف أنظار الأخير عن أعمال السخرة التي كان يثقل بها على مواطنيه في مدينة أوروك.

يظهر (انكيدو) على شكل وحش مع قطعان الوحوش البرية في البادية ويشبه في أوصافه الإله (سوموقن) (انظر شاكان) فتغويه احدى عاهرات المعبد وتصطحبه الى مدينة (أوروك) (انظر ملحمة جلجامش الفقرة الأولى).

وفي حين يأخذ (انكيدو) دور الصديق والخل وأخ السلاح والند لجلجامش في النصوص الأكادية، نراه في النصوص السومرية خادما لجلجامش، وقد جرت العادة السومرية أن تصف كل من يعمل في بلاط الملك خادما.

ورغم ذلك تبقى العلاقة غير واضحة بين جلجامش وانكيدو، ويظهر انكيدو في الملاحم السومرية التالية: (جلجامش وهوواوا) حيث يغري (انكيدو) جلجامش بقتل (هوواوا) كما يظهر في (جلجامش وانكيدو والعالم السفلي).

انكيمدو :

إلـه سومـري يقوم على رعاية الري والحقول ويشبه في وظائفه الإله (انبيلولو)، وتقوم بينه وبين (دوموزي) مشادة كلامية خلال مناقشة حدلية سومرية (انظر جدل)، إذ أن كلا منهما كان يطمح في الـوصـول الى قلب (انـانا) إلا أن (انانا) تختار الراعي (دوموزي) ليكون بعلاً لها .

إنليل :

ويعني اسمـه في اللغـة السـومـريـة (السيد نسيم) ويحافظ على اسمه في اللغة الأكـاديـة بلفظـه السـومـري، وقد يلفظ (الليل) أيضاً، وانتقل الى الآداب اليونانية باسم (الليـنوس) .

عرف انليـل كإلـه رئيس في مجمـع الآلهـة السومري قبل عصر كتابات (فارا)، وورد اسمـه في نصـوص من عصـر جمدة نصر، وكان يظهر في البداية الى جانب والده (آن) ثم مالبث أن حل محله، وزوجتـه هي الإلهـة (نينليـل)، أو الإلهـة الأم التي تبرز خاصـة في نصـوص العصـر البـابلي القديم . وتعدد قوائم أسماء الآلهة عددا كبيرا من الآلهـة الأصـول سلفا له (انظر أجيال الآلهة)، واننا لنستغرب تجاهل ملحمة التكوين الأكادية ذكر اسمه حيث سردها لسلالات الآلهة (انظر تكوين الفقرة الرابعة)، ولكن هذا لايشكل قاعدة، إذ أن الملحمة الأكادية تريد أن تبرز دور (مردوخ) الهام وتفوقه على بقية الآلهة .

ومن أولاد (انليـل) (نينـورتـا وننجرسو) وكلاهما مشابه للآخر؟ وإله القمر وإله الطقس (وبعض الـروايـات تزعم أن إلـه الطقس هو ابن آن) و(نـرجال) و(نمتار ابن انلل واريشكيجال) و(نوسكو)، وهذا الأخير يظهر سفيراً أو وزيراً (لانليل) في الروايات .

يوصف (انليـل) في المـدائـح الإلهيـة السـومـريـة (كورجال) ويعني جبل كبير ويصعب علينـا فهم هذا اللقب وسببـه ومـدى صحته بالنسبة الى أصول هذا الإله، ولكن يصبح أكثر وضوحا، إذا ماسترجعنا اسم معبده الرئيس (إكور) في (نفر) والذي يعني (بيت الجبل)، ومن ألقابه أيضا (نونا منير) والذي يعني تقريباً (ذو الشأن) يلقب أيضا بسيد كل البلاد وأب الآلهة قبل العصر الصرغوني، ويهيمن إنليل على مقدرات المخلوقـات فهـو سيـد القـدر والمصـائـر وكلمته نافذة لارادة لها، وسيد اجتماع الآلهة،

وصـاحب ألـواح القـدر حسب التقـاليـد الأكادية (انظر زو)، ولايصل من الآلهة الى مصافيه يعادله في مرتبته سوى (انكي) والإلهة الأم و(انانا) و(اريشكيجال) الهة العالم السفـلي، ويـرد ترتيبـه في النصـوص السـومرية والأكادية مع مجموعة الآلهة الثلاثية أو الرباعية (آن ـ انليل ـ الإلهة الأم).

وغـالبـا مايحجم عدد كبـير من الآلهـة الى مقـره في (نفّـر) سنـويا ليتلسموا منه البركات والخير لحكام مدنهم، والخصب للحيوانات والحقول (انظر رحلات الآلهة)، حتى أن الإله (إنكي) نفسه يسافر إليه ويطلعه على بناء معبده في (إريدو)، ويدعوه الى حفل طعام مع بقية الآلهة؛ وهنا يسمى انكي (انليل) والده، إلا أن هذه التسمية مجازية عارية عن الصحة.

وفي أسطورة (المعول) يوصف انليل بمنظم الكون منذ البدء، فهو الذي فصل السـماء عن الأرض عنـدمـا كانتـا كلا واحـدا، وخلق المعـول ليكون أداة عمل في يد الناس، وهو الذي ينصب الحكام والملوك على عروشهم.

وفي أسطـورة (انليـل ونينليـل) يغتصب انليـل الإلهـة الشـابـة غضـة الاهاب (نينليـل) فتجتمـع الآلهـة لمحاكمته، وتقرر طرده من مدينة (نفر)، وفي قصة الطوفان تمنع عشتار انليل من الوصول الى الاضاحي.

هذه الأمثلة وغـيرهـا شواهـد صارخـة على أن إنليـل لم تكن لديـه الحصـانـة المطلقة، ويمكن النيل منه، والحط من قدره في كل وقت، ونحن نعرف أن إنليل كان يعمـل بإمـرة (آن) في الروايات السومرية.

وبصفتـه الإلـه الأعلى في الروايات الأكادية فقد اشتق من اسمه اسم النسب الشمولي العام (إنليلوتو) أي الإنليلية مثل (الماركسية نسبة الى ماركس والناصرية الى ناصر (المعرب).

ويعلن حمورابي في مقـدمـة شريعتـه أن (آن ومـردوخ) زوداه بالإنليلية ليسوس البشـر بها، وتجـري الأمـور متشابهة في الدولة الآشورية حيث يلقب إله الدولة القومي بـ (إنليـل الآشـوري) مثـل مـردوخ في الـدولـة البابلية، ويلقب الاثنان في دولتيهما (بإنليل الآلهة).

وإذا كان اسم (إنليل) يعني في السومرية الهواء والريح، ويرمز له مثل إله الطقس بالثـور ا' ـبر ي أو بالصـاعقة فهذا يعني أنه كان في الأصل يجسد قوى الطبيعة التي تجد

أفضـل تعبـير لها في شكـل الرياح والعواصف؛ وبفضل صفاته هذه كان يصب جام غضبـه على شكـل صواعق على أعـداء الـدولة البابلية، وحتى المدن البابلية نفسها ليست في منجى من سخطه ولؤمه، فالإلهة (نينجال) تحمله مع (آن) مسؤولية تدمير مدينتها (أور) في (مرثية دمار أور) السومرية.

وعـادة يرمي (إنليـل)) أعـداءه بشبكـة صيـد ثم يصـرعهم بسـلاحـه داخـل الشبكـة. وغـالبـاً ماتصـوره النصـوص الأكادية إلها معاديا للبشر مثل (آن) فهو سبب الطوفان في ملحمـة التكوين، والمصائب في اسطورة (أترحاسيس) وهو الذي يلاحق (جلجامش وانكيدو) بالنكبات لقتلهما حارس غابات الأرز (هوواوا) في اللوح السابع من ملحمة جلجامش.

وعلى العكس من ذلـك يصـوره نشيد الآلهة السومري صديقاً ومحباً للانسان.

يرد ذكر انليل في الأساطير التالية:

لاحار وأشنان

أترحاسيس

لابّـز

زو

خسوف القمر

انمر كار:

انظر جلجامش الفقرة السادسة.

إنمهْ شرّا:

إلـه من آلهـة العـالم السفـلي، ويعني اسمه في السومرية سيد كل القوى الإلهية (انظـر مِهْ)، ويعتـبر مع زوجتـه (نينـه شرّا) أسـلاف الإله (آن) والإله (انليل) (انظر أجيال الآلهة) ويوصف في إحدى تعويذات العصر الآشوري الحديث (بالذي منح آن وانليـل الصـولجـان والسيـادة)، وربما كان المقصود من هذا اللقب الإشارة الى تنازل (آن) عن السلطة لصالح خلفه (انليل) دون صراع بينهما.

إلا أن هذه الإشـارة وإشـارات أخـرى ترد هنـا وهنـاك في نصـوص مختلفـة لاتسـاعـدنـا على تكـوين فكرة واضحة عن طبيعة الإله (إنه شراً)، ولهذا الإله سبعة

أولاد (قارن سيبتو).

إنوما إليش :

انظر تكوين الفقرة الرابعة.

أَنونّا :

يعني هذا الاسم في السومرية (بذور الحياة الأميرية)، وإذ يصعب تحديد مجال استخدام هذا الاسم في اللغة السومرية المحكية في القديم، نراه يستخدم في عصر النهضة السومرية للإشارة إلى جموع الآلهة في السماء والأرض، وقد يشير الى مجموعة آلهة محلية فقط مثل (أنونّا لجش) و(٥٠ أنونّا من إريدو) إلا أن الاستعمال الآخر للاسم اختفى في العصر البابلي القديم.

احتفظ الأكاديون بالاسم، وكان ينطق (أناناكو) أو (أنونّاكي) ويطلقونه على آلهة العالم السفلي المقابل لـ (إجيجي) آلهة السماء، إذ يذكر اللوح السادس من ملحمة التكوين (انظر تكوين الفقرة الرابعة) أن مردوخ عين ٣٠٠ إله سماوي من آلهة الأنونّا و٣٠٠ إله سفلي فيكون مجموعهم ٦٠٠ إله، كما يرد في نص آخر مدون باللغتين السومرية والأكادية ذكر ٣٠٠ (أنونّا) في السماء و ٦٠٠ (أنونّا) على الأرض في خاتمة الحديث عن الآلهة السبعة التي تحدد مصائر البشر وعلى كل حال لم يزل معنى هذا الاسم والأرقام المرتبطة به غامضا ويحتاج الى مزيد من الدراسة المتأنية.

أنونيتو:

اسم إلهة أكادية خلال عصر السلالة الأكادية (٢٣٥٠ ـ ٢١٥٠ ق.م) تأخذ بعض الصفات الحربية من الإلهة عشتار (انظر إنانا).

أماكن عبادتها :

أكاد وزيبّار، وتسمى أحياناً باسم معبدها (أولماش) أو (أولماشيتو).

أوس :

انظر (إنكي ، إيا).

أو أنّس :

يعتقد أن هذا الاسم تصغير لاسم أحد الآلهة السومرية أو الأكادية. وربما كان لفظه في الأكادية في الأصل (أومّانو) ويعني المعلم وينادى به الإله (إنكي؟).

يحدثنا (بروسوس) أن البشر كانوا يعيشون كالحيوانات حتى صعد كائن من بحر بلاد بابل نصفه بشر ونصفه الآخر سمكة، وعلّم الانسانية أسس الحضارة، الكتابة والفنون والعلوم وبناء المدن والمعابد والشريعة والزراعة وقياس الأرض. والاعتقاد بأن الحضارة انطلقت من البحر في بلاد بابل اعتقاد قديم جدا (انظر إنانا وإنكي)، ولكن لم نعثر على أية أسطورة بابلية تؤكد أو تنفي صحة خبر (بروسوس)، وربما اعتمد بروسوس في كتاباته عن الموضوع القصيدة التعليمية (إنكي ونظام الكون) أو على التقاليد المتوارثة حول الحكماء السبعة (انظر أبجال).

أوتنابشتي :

بطل الطوفان في الرواية الأكادية ويعادله (زيوسودرا) في الرواية السومرية، ويعني اسمه تقريبا (وجدت حياتي)، وغالبا مايلفظ الاسم (اوتابشتيم)، وهو الشخص الذي كان يبحث عنه جلجامش بعد عبوره نهر العالم السفلي ليعرف منه سر الحياة الأبدية التي وهبتها له الآلهة (انظر ملحمة جلجامش، اللوحين العاشر والحادي عشر).

أوتو:

انظر إله الشمس.

أوتّو:

انظر إنكي وننخورسانجا

أوراش :

إله مدينة (ديلبات) في بلاد بابل، ويصبح مساوياً لـ (آن ونينورتا) في عصور لاحقة، ويعني اسمه في اللغة السومرية (أرض) والأرض كانت زوجة الإله (آن) وأم إلهة الشفاء (نينسينا).

أورشنابي :

ربـان قارب نهر العـالم السفـلي في ملحمـة جلجامش الأكادية ، ويتحول اسمه الى (سورسونابو) في نسخ الملحمة باللغة الآشورية ، ويبقى مشكوكاً فيه ، فيما اذا كان (أورشنابي) هو نفسه الذي اختارته الإلهة (ناتش) ؛ بعلا لها من بين البشر الفانين .

إيا :

انظر إنكي .

آيا :

زوجـة إلـه الشمس الأكـادي واسمها معروف في أسماء الأشخاص قبل العصر الصرغوني ، وتعتبر من أقدم الآلهة السامية في بلاد مابين النهرين ، ونعرف من زوجات إله الشمس السومري زوجته (سودنجا) ويعني اسمها المشرقة ، و(شنيردا) .

وكان يطلق اسم (سودنجا) لقبا على إلهة النور وكذلك على الإلهة (إنانا) .

ب

بابا :

إلهـة مدينـة (لجش) السـومرية لم يثبت بعد كيفية اللفظ الصحيح لهذا الاسم ـ وهي ابنة الإله (آن) وزوجة (نينجرسو) ـ وأم لسبع بنات .

كانت تدعى غالبا بالإلهة الأم ، ويعتقد أنها كانت في الأصل إلهة أمومة محلية ، وربـما كانت إحـدى آلهـات الشفـاء حيث أن إحـدى الأغنيـات السومرية المعروفة في العصـر البـابلي القـديم كانت تلقبها باسم (نينسينا ـ طبيبة الرؤ وس السود) ، وتعادل مرتبتها مرتبة (جولا ـ نينسينا) منذ العصر البابلي القديم ، وتتلقب بألقاب الإلهة (انانا) .

وصلت شعبيـــة الإلهـة (بـابـا) خارج حدود مدينتهـا (لجش) رغم أن (لجش) فقدت مركزها القيادي السياسي والديني في العصر البابلي القديم .

بيسوكال :

إله سومري يعني سفير أو حارس البوابة ، ورغم أن الاسم سومري غير أنه لم يذكر إلا في الكتابات الأكادية المعروفة لدينا حتى الآن ، وكان يقوم بمهمة السفير للإله (آن) وللإلهة (عشتار) وللآلهة بشكل عام .

ببيل سانج :

إله سومري كان اسمه مذكورا في قوائم أسماء الآلهة المكتشفة في فارا ، ولم يثبت بعد فيما إذا كان اسمه هو نفس اسم إله مدينة (لاراك) قبل الطوفان كما جاء في الرواية السـومـريـة ، وعلى كل حال هو ابن الإلـه (إنليـل) وزوج إلهة الشفاء (نينسينا) التي كانت تلقب أحياناً بسيدة (لاراك) ، ومن غير المعروف متى نشأت العلاقة بينها وبين مدينة (لاراك) .

بجبارتي :

(انظر آلهة أوراتو) .

برصو :

(انظر مِهْ) .

بزوزو :

(انظر عفاريت) .

بسيكيل :

انظر آلهة الحبوب .

بل :

ويعني هذا الاسم سيد ومؤنثه (بلت) ويقابلهما في سورية بعل وبعلة وهما من أسماء الآلهة التي تركب مع أسماء أخرى، وغالبا مايرتبط اسمهما بأسماء المدن مثل (بل حران) و(بلت نفر) وهي زوجة الإله (نينورتا) و(بلت ابي) سيدة الآلهة ويستخدم هذا الاسم في وصف الإلهة الأم .

ومنذ العصر الكشي المتأخر أصبح يطلق اسم (بل) غالبا على الإله (مردوخ)، وكان مردوخ نفسه معروفا عند اليونانيين باسم (بلوس)، ويعادل بل (إين أو لوجال) في اللغة السومرية ويعني سيد أو ملك ومؤنثه (نين) .

بيات سري :

يعني هذا الاسم في اللغة الأكادية سيدة البادية . وهي زوجة إله البدو (مارتو)، ومن وظائفها التي اشتهرت بها قيمة على الكتب وكاتبة العالم السفلي، ويطلق على العالم السفلي اسم البادية، وتعادل مرتبتها مرتبة الإلهة (جشتينانّا) .

بيسير :

انظر آلهة كنعانية .

بورياش :

انظر آلهة كشية .

ت

تأليه الملوك :

أ ـ بعد موتهم :

تذكـر قوائم أسـماء الآلهـة المكتشفـة في فارا اسم الملكـين (لـوكـال بنـدا) و(جلجامش) من أوروك بين أسماء الآلهة التي كانت تعبد في مدينة (شورورباك)، وفي نصـوص سحـريـة أحدث عهدا وخاصة من العصر الأكادي يظهر اسمهما كإلهين من آلهـة العـالم السفـلي، وبما أننا نفتقر إلى وثائق دامغة تؤيد ماذكر نرجح الظن بأنهما كانا بطلين في حياتهما ثم تألها بعد موتهما.

ويأتي التأليـه عادة بإضـافـة الـرمز السماوي الى اسم الملك في الوثائق الكتابية المعاصرة له أو تذكر هذه الوثائق صراحة أنه إله.

ب ـ تأليه الملوك في حياتهم :

جرت العـادة عامـة أن يسمي الملوك أنفسهم (أولاد الآلهـة)، فكـان ميـزيليم يدعي بأنـه الابن الحبيب للإلهـة الأم (نينخـورسـانجـا) وقلده الملوك والحكـام الذين جاؤوا بعده حتى العصر البابلي الحديث، وكانوا ينسبون بنوتهم إما الى إحدى آلهات الأمـومـة أو الى إلهـة العـاصمـة الـرئيسـة أو الى إحدى آلهات المدن التي كان يعبدها السلف في العائلة المالكة.

وكـان أول من ادعى الألـوهيـة في حيـاتـه هو الملك (نارام سن) حوالي ٢٢٧٠ ق.م وأشـار الى اسمـه في الكتـابات بالرمز المسماري الذي يعني الألوهية، وادعى أنه الإله الحامي للدولة الأكادية.

وليس لدينا مايثبت أن (نارام سن) قد اعتمد في تأليه نفسه على تقاليد قديمة، إذ أن تصـور السـومـريـين عن الحـاكم كان يتقصر بأنه ممثل الآلهة ومدبر شؤونها على الأرض دون أن يتبع ذلك تأليهه.

كما أننا نجهل عراقة التقاليد المتعلقة بطقوس الزواج الإلهي المقدس وأسباب نشوئها، وكل مانعرف من عصر (جوديا) وبعد (بداية عصر حكم السلالة الثالثة في أور) أن الملك كان يقوم بدور الإله في عملية الزواج الإلهي المقدس، وقد فسر الباحثون هذا الدور بأنه تقمص لشخصية (دموزي)، ويزداد الأمر صعوبة في معرفة ماهو أرضي وماهو إلهي في شخصية (دموزي)، ولذا يصعب علينا من هذا المنطلق أن ننسب عادة تأليه الملوك من خلال طقوس الزواج الإلهي المقدس الى عصور أقدم.

ونحب أن نؤكد أن نزعة تأليه الملوك لدى الساميين ليست أصيلة في وجدانهم الديني، إذ استطاع الملوك الأكاديون أن يسموا بأنفسهم الى مراتب الآلهة فإن هذا مؤشر واضح الى اتساع السلطة السياسية المهيمنة للدولة الأكادية على كافة أنحاء العالم القديم المعروف آنذاك.

ان اتساع رقعة السلطة بشكل لامثيل له في السابق بالاضافة الى عادة الربط بين الإله والحاكم لدى السومريين أدت عمليا الى التأليه الفعلي للملك.

وبلغت عادة عبادة الملوك القمة في عصر ملوك السلالة الثالثة في أور حتى أن الملك (شولجي) كان يعبد في معبد خاص به، وورد اسمه في قوائم الأضاحي كإله مدينة (أوما) وإله (سومر) كما سمي باسمه شهر من شهور الأعياد السنوية؛ وبقيت عادة تأليه الملوك متبعة لدى حكام دولة (إيسن) الذين أعقبوا حكم السلالة الثالثة في أور ثم تبعهم حكام الأسرة البابلية الأولى وعلى رأسهم حمورابي وبعض الحكام الكشيين، ويبقى تأليه هؤلاء الحكام اسميا يفتقر إلى قوة الاعتقاد الفعلي لدى الشعب.

ومن أسماء البشر العاديين الذين ارتقى بهم الإله (إنليل) الى مصافي الآلهة نعرف بطل الطوفان السومري (زيوسودرا) وبطل الطوفان الأكادي (اوتنابشتي) فقط.

ج ـ تأليه الأشياء:

كانت تؤله بعض الأدوات التي كان يستخدمها الملك في حياته في عصر أور الثالث مثل العرش والتاج وعربة القتال، وكان يسبق ذكرها في النصوص الرمز المسماري الذي يشير الى ألوهيتها، كما كانت تؤله أحياناً أنصاب وشعارات الملك المؤله في العصر البابلي القديم.

تكوين :

لا يوجد في الآداب السومرية المعروفة حتى اليوم اسطورة واحدة تتحدث عن نشوء العالم والخلق كموضوع مستقل، وإنما تتضمن بعض مقدمات الأساطير تصورات غير واضحة عن نشوء الكون وخلق البشر، والقصيدة الشعرية الأكادية (انوما اليش ـ انظر الفقرة الرابعة)، وهي قصيدة تعليمية تتضمن بعض التصورات الاسطورية لم يعثر عليها كنصوص مستقلة في الآداب الأكادية وليس لها أصل سومري سابق.

١ ـ يرد في مقدمة اسطورة جلجامش وانكيدو والعالم السفلي، أن السماء والأرض كانتا في البدء كلا واحداً تباعدتا عن بعضهما فيما بعد فاختص الإله (آن) بحكم السماء و(إنليل) بحكم الأرض، وتلقت (اريشكيجال) العالم السفلي هدية.

وفي القصيدة السومرية التعليمية (المعول) يقوم الإله (إنليل) نفسه بفصل السماء عن الأرض.

٢ ـ كما أنه لا توجد روايات موحدة المضمون عن نشوء الكون كذلك لا توجد روايات واحدة عن خلق البشر، فاسطورة (إنكي ونينماخ) تتحدث عن خلق البشر من الطين فوق مياه (الأبزو) بواسطة الإلهة الأم (نامو)، وفي تصور روايات أخرى نبت البشر مثل العشب من الأرض بعد أن فتح (إنليل) ثقباً في الأرض بواسطة المعول فاندفع البشر نحوه.

وهذه الأسطورة تشبه في مضمونها مقدمة (نشيد أريدو). وفي كلا الحالتين لا يجري الحديث عن خلق البشر تحت الأرض فوق مياه (الأبزو)، لذا يجب الاحتراس في فهمنا لمضامين أساطير الخلق وعدم دمجها لاستخلاص الحقيقة.

٣ ـ هناك عدة أساطير تتحدث عن خلق الآلهة المختلفة مثل أسطورة (إنليل ونينليل) وولادة إله القمر (نانا) وأساطير الآلهة الأرضية؛ كما يوجد نص تعويذات لتجديد أحد المعابد يتضمن مقدمة اسطورية تروي أن (آن) قام برفع السماء و(نوديمود ـ إنكي) بخلق (الأبزو)، الى جانب العديد من الآلهة الصغيرة وآلهة

الحرف من بينها إله الطوب .

٤ ـ تتحدث القصيدة التعليمية الأكادية المؤلفة من سبعة ألواح والمعنونة بكلمات السطر الأول (إنوما اليش) عن خلق أجيال الآلهة ونشوء الكون بواسطة الإله مردوخ، ويعني عنوانها «عندما كان في الأعالي . . . عندما لم يكن للسماء اسم» .

وعلى الرغم من أن أقدم نص من نصوص القصيدة التي تم العثور عليها يعود تأريخه الى القرن العاشر ق . م إلا أن الاعتقاد السائد هو أن زمن نشوء القصيدة أقدم بكثير من هذا التاريخ، ويعود الى عصر الازدهار الحضاري البابلي الأول .

ويبدو أن الهدف من القصيدة هو تمجيد الإله (مردوخ) ورفع شأنه بين كل الآلهة بعد أن أصبح الرب القومي للدولة البابلية الناهضة ؛ ويستبدل اسم مردوخ باسم إله الدولة الآشورية (آشور) في النسخة الآشورية، وكانت القصيدة تتلى سنوياً خلال الاحتفالات بأعياد رأس السنة الجديدة .

اللوح الأول :

في البدء كان (أبزو) إله المحيطات العذبة و (تيامات) إلهة البحار المالحة فامتزجت مياههما ببعض، ومن هذا المزيج ولد (لحمو) و(لحامو) وتبعهما (أنشار) و (كيشار)، وأنجب (أنشار) الإله (آنو) و (آنو) أنجب (نوديمود) وهو لقب من ألقاب الإله (إنكي) فانزعج الإله (أبزو) من ضجيج الآلهة الشابة، فقرر بموءازرة وزيره (ممو) النضال ضد (تيامات) والقضاء على الآلهة الشابة، إلا أن (إيا ـ إنكي) بادره في شن المعركة ضده وتمكن من صرعه، ولكن بعد أن قام بتخديره وسلب إرادته بواسطة التعاويذ السحرية كما اعتقل وزيره (ممّو) وأطفأ شعاعه البهي .

وإثر ذلك شيّد (إنكي) مقراً لسكناه في مكان (أبزو) وأطلق عليه اسم الإله الصريع، وهناك تم انجاب الابن (مردوخ) .

أعدت (تيامات) حملة انتقامية ضد الآلهة، وقامت لهذا الغرض بخلق أحد عشر كائناً ضخماً(انظر عفاريت) ونصبت ابنها (كينجو) سيداً على كل الآلهة وسلمته ألواح القدر .

اللوح الثاني:

يظهر الإلهان (إيا) و(آنو) عجزهما عن اتخاذ أي اجراء حازم ضد (تيامات) ويقفان مكتوفي الأيدي حيال الأمر الواقع فيطلب (أنشار) من (مردوخ) أن يتهيأ هو لمواجهتها والقضاء عليها، فيقبل مردوخ العرض على شرط أن يخوله أمام جميع الآلهة بحق تقرير مصير البشر، وبذا يكون مردوخ قد اعتلى المنصب الرئيس في مجمع الآلهة.

اللوح الثالث:

يتضمن اللوح تكراراً وإعادة لنص الدعوة التي وجهها الإله (أنشار) الى الآلهة للاجتماع عنده على مائدة شراب.

اللوح الرابع:

تجتمع الآلهة وتقدم مراسيم الطاعة والولاء للإله (مردوخ)، وخلال ذلك يستعرض مردوخ قدرته على الخلق أمام الآلهة فيجعل (رداء؟) يظهر ويختفي بكلمة منه، ثم يجهز حملة عسكرية ضد (تيامات) قوامها رياح السماء من الجهات الأربعة وسبعة رياح أخرى وهي تعادل في مجموعها الكائنات الضخمة الإحدى عشرة للإلهة (تيامات)، ويبرز مردوخ أمامها مدججاً بالقوس والصولجان وشبكة الصيد.

يتمكن مردوخ من تسليط الريح الشريرة إلى داخل جسم (تيامات) حيث يبقى حلق الإلهة فاغراً فيصوب مردوخ نحوه سهماً يصيب فيه أحشاءها فتخر الإلهة صريعة ثم يكبل الكائنات الضخمة الإحدى عشرة بالقيود، وينتزع ألواح القدر من (كينجو) ويرسله إلى المنفى، أما (تيامات) فيقسم جسمها إلى نصفين يجعل من نصفها العلوي قبة السماء ومن نصفها السفلي الأرض.

اللوح الخامس:

يوزع (مردوخ) على الآلهة (آن) و(انليل) و(إيا) أماكن عملهم، ويحدد مسار النجوم والكواكب (تتمة النص في اللوح ناقصة).

اللوح السادس:

بعد أن تم إنجاز خلق العالم يقوم الإله (إيا) بموجب المخطط الذي صممه (مردوخ) على خلق الانسان (لولّو) من دم (كينجو)، وذلك لتأمين راحة الآلهة على حساب البشر الذين سوف يقومون بالعمل عنها؛ ثم يأمر (مردوخ) بتوزيع آلهة (الأنونّا) الستمائة (٣٠٠) إله علوي (في السماء) و(٣٠٠) إله سفلي (على الأرض).

تنجز الآلهة بناء مدينة بابل ومعبد الإله (مردوخ) المسمى (إيزانجيلا)، وفي الختام تسبح الآلهة (مردوخ) بأسمائه الخمسين الحسنى (حتى نهاية اللوحين السادس والسابع)، وكان اسمه الخمسين (سيد البلاد) في الأصل للإله (انليل).

٥ ـ تعتمد كتب أخبار الخلق اليونانية على النص البابلي (إنوما اليش) وذلك عند كل من (بروسوس) حوالي القرن الثالث ق. م، و(دمسكيوس) الذي عاش في بداية القرن السادس ميلادي، ويمكن التعرف على أصل أسماء الآلهة البابلية المحورة في اللغة اليونانية بسهولة؛ ويطابق تسلسل أسمائها تماماً الأصل البابلي.

وملخص قصة الخلق عند (بروسوس) أن الإلهة الكلدانية أوموركا (تيامات) كانت تتحكم بعالم الظلمة والماء التي كانت تعشعش فيهما كائنات خرافية (تشبه في أوصافها العفاريت البابلية).

يقوم الإله (بل) بقتلها وتشكيل السماء والأرض من جسمها، ثم ينظم أمور الكون ويأمر أحد الآلهة بفصل رأس الإلهة عن جسدها ليخلق من دماء الرأس البشر والحيوانات.

٦ ـ عثر على نص من العصر الآشوري الحديث مدون باللغتين السومرية والأكادية يتحدث عن خلق أول انسانين (أن ـ أولجرّا) و(أنجرّا) من دماء إلهين مقتولين من آلهة (لمجا) وتحديد مصيرهما من قبل الإلهة الأم (أرورو)، وكان الهدف من خلقهما انجاب البشر لتقوم على خدمة الآلهة.

٧ ـ وتتحدث مقدمة اسطورة (أترحاسيس) عن خلق البشر من الطين ودم إله مقتول من قبل الإلهة الأم (مامي ـ نينتو ـ نينخورسانجا).

٨ ـ كما تتحدث مقدمة تعويذة من العصر البابلي الحديث مدونة باللغتين السومرية والأكادية عن تكوين العالم وخلق البشر بواسطة الإله (مردوخ) ومساعدة الإلهة الأم (أرورو).

تيامات:

يعني هذا الاسم في اللغة الأكادية (اليم)، وكانت تشكل هذه الإلهة مع زوجها (أبزو) حسب الروايات الأكادية مياه المحيط الأولي قبل خلق العالم ونشوء الكون. وقد امتزجت مياههما في المحيط. وبعد أن نشأت الآلهة وتعاقبت أجيالها يقوم الإله (إيا) بقتل (أبزو) عندما علم (إيا) بالتدبير الذي أعده (أبزو) لقتله.

فتعد (تيامات) العدة للأخذ بثأر زوجها الصريع من الآلهة الشابة إلا أن (مردوخ) يتمكن من الإجهاز عليها (انظر إنوما اليش الفقرة الرابعة)

صفاتها :

رغم أن صفات الإلهة (تيامات) لا تتضح من خلال سرد اسطورة الخلق إلا أن بعض الباحثين يعتقدون أنها مصورة على مشاهد الأختام الاسطوانية على شكل تنين في صراع اسطوري مع أحد الآلهة (مردوخ) أو (آشور) كما يعتقد بعض الدارسين أن الإله الذي يظهر في صراع مع شخصية (هيدرا) ذات الرؤوس السبع أقدم من زمن نشوء اسطورة التكوين (إنوما اليش) ومع ذلك ليس من المستبعد أن يتأثر موضوع جديد بموضوع قديم ويكتسب معاني ومضامين مستجدة.

تيشباك :

إله من أصل غير معروف دخل مجمع الآلهة الأكادية (قد يكون اسمه محرفاً عن العيلامية من أصل حوري)؛ ورد ذكره في النصوص إلهاً لمدينة (إشنونا) في منطقة ديالى، وحل محل (نينازو) في العصر البابلي القديم.

ولم يعرف بعد مكان انتشار عبادته بالضبط؛ ومن ألقابه الأكادية (سيد الجيوش)، ولكن هذا لا يستوجب الافتراض بأنه كان إله الحرب، ورغم أن بعض صفاته تتشابه مع إله الطقس.

تيلمون :

المقصود بهذا الاسم هو جزيرة البحرين بما في ذلك الأراضي البعيدة الممتدة خلف شواطئها؛ وتذكر في الكتابات اليونانية باسم (تيلوس)، وكانت ذات أهمية تجارية بالغة بالنسبة للبابليين، ومرتعا خصباً لكثير من الأساطير فعلى أرضها دارت أحداث اسطورة (إنكي ونينخورسانجا) وإليها التجأ (زيوسودرا) بعد الطوفان؛ وكانت إلهة الشفاء (نينسينا) ترتبط بعلاقات معها، وكان يدعى معبدها في أور باسم (بيت تيلمون)؛ ومن أهم آلهة تيلمون: (إنزاك) الذي كان يدعى (نابو تيلمون) و (مسكيلاك) و الإلهة (لحمون).

ث

ثور السماء :

ويكتب في اللغة السومرية (جو ـ أن ـ نا) وفي اللغة الأكادية (ألو) ، وهو الثور الذي خلقه الإله (آن) إرضاء لابنته (إنانا) لتنتقم به من جلجامش وتشفي غليلها منه ، فيدمر مدينة (أوروك) ويذرع الذعر بين أهلها ؛ إلا أن جلجامش يتمكن منه ويجهز عليه بمساعدة صديقه (إنكيدو) .

وكان يوصف إله الطقس (إشكور ـ أدد) بالثور أو الثور الكبير أو ثور السماء ، لأنه يجسد قوى الطبيعة والخصب .

ج

جتومدو:

إلهة سومرية محلية لمدينة (لجش)، ورد اسمها في قوائم أسماء الآلهة المكتشفة في (فارا)، وهي ابنة الإله (آن)، وكان يطلق عليها في عهد (جوديا) لقب (أم لجش)؛ وفي مرثية دمار (أور) تظهر تحت اسم (مزب) وتلقب (بعجوز لجش)، وذلك عند أفول نجم السلالة الثالثة في أور؛ ولم يكن لهذه الإلهة أي دور يذكر خارج حدود (لجش).

جبيل:

إله النار السومري ويقابله في اللغة الأكادية (جيرّا) أو (جيرّو)، وقد ذكر (جبيل) في قوائم أسماء الآلهة المكتشفة في (فارا)، وبصفته إلها للنار فيمكن أن يكون مصدر خير أو شر للناس وفق التأثير الذي تحدثه النار نفسها، إذ بامكان الإله أن يقدم الضوء والدفء بواسطة النار أو يسبب الحرائق والمصائب. وبما أنه ابن الإله (إنكي) الإله الحكيم فهو إله التعويذات أيضاً التي تقضي على المشعوذين والسحرة.

وفي أسطورة (إرّا) يتوجه (مردوخ) إلى إله النار ليطهر أركان حكمه التي دنست.

ويذكر أحد نصوص التعاويذ من سلسلة (عفاريت أوتكّو الشريرة) خبراً أسطورياً مدوناً باللغتين السومرية والأكادية مفاده أن الإله (إيا/إنكي) يصعد إلى السماء برفقة (جبيل) ليستكشفا سر العفاريت الشريرة السبعة (سبيتو). وبما أن هذه المخلوقات هي مخلوقات الإله (آن) فقد تم خلقهم دون معرفة (إيا/إنكي)، وعندما يطلع الاثنان (جبيل وإيا) على عمل وأصل (العفاريت السبعة) يرسل (إيا) جبيل إلى (أساللوجي) مردوخ البابلي الذي يقوم بدوره بتزويد المعلومات التي حصل عليها من جبيل إلى والده (إيا)، (وهذا الطريق المتشعب والطويل هو من مستلزمات صنع التعاويذ ليكون تأثيرها أقوى) وعندها يتلقى (جبيل) الارشادات المناسبة ليقوم بطقوس التعاويذ الضرورية.

ويساعد جبيل في (مرثية دمار أور) والده (إنليل) المعروف بعدائه للبشر في تدمير مدينة (أور)، (قارن اسطورة طير العاصفة زو).

جدل :

نوع من الحكم الأدبية السومرية انتقلت فيما بعد الى الآداب الأكادية، ويدور محور موضوعاتها حول نقاش بين متنافسين أو متخاصمين من البشر أو الآلهة أو مشخصات لمفاهيم تجريدية، يعدد كل من المتنافسين فضائله وحسناته ونسبه، ويقلل من قيمة الخصم، وذلك في البحث عن عيوبه وتضخيمها للانتقاص منه؛ ويفصل بينهما أحياناً الإله (إنليل) كحكم. وأشهر النصوص المعروفة حول هذا الموضوع ما يلي:

١ ـ دوموزي وإنكيمدو: بين الراعي وابن المدينة.
٢ ـ لحار وأشنان: بين الرعي والزراعة.
٣ ـ إمش وإنتن: بين الصيف والشتاء.
٤ ـ كورو أو رودو: بين المعادن الثمينة والنحاس.
٥ ـ الخشب والقصب.
٦ ـ المعول والمحراث.
٧ ـ السمك والطير.
٨ ـ تمرحنه وشجر النخيل.
٩ ـ الثور والحصان.

جشتينانّا :

يعني هذا الاسم في اللغة السومرية (كرمة السماء)، وهي إلهة سومرية، ولم يتضح بعد معنى الاسم وارتباطه بوظائفها، وقد تكون هي المعنية بالاسم (أما جشتين) أم الكرمة الذي ظهر في عهد الملك (أوروك أجينا) ملك مدينة (لجش) حوالي ٢٤٠٠ ق.م.

وهي أخت (دوموزي) إلى جانب (بليلي) في المراجع الكثيرة التي تتحدث عن (دموزي) وتقطن مثل أختها (بليلي) في حظيرة قطعان الماشية.

وتظهر في محيط آلهة (لجش) زوجة الإله (نينجيزيدا) وتشابه مع (أزيموا) زوجة الإلـه نفسـه . ويمكن أن نستنتج من أسطورة (جلجامش وانكيدووالعالم السفلي) أنها واحـدة من آلهـات العـالم السفـلي ، إذ أنها هي التي تجعل أدوات السخرة (بوكّومكّو) تسقط إلى العالم السفلي لتحرر سكان (أوروك) من أعمال السخرة المضنية .
وتساوي في المراجع الأكادية مرتبة إلهة الكتابة في العالم السفلي(بلت صري) .

جلجامش :

ملك سومـري حكم في مدينـة أوروك ، وهـوبطـل القصـائـد السومرية وبطل ملحمة جلجامش الأكادية ، ويعد بعد تأليهه واحداً من آلهة العالم السفلي .
تسمي قائمة الملوك السومرية العفريت (ليلو) أباه ، وما عدا ذلك يعتبر (لوكال بندا) ـ وهو ملك متأله أيضاً ـ والإلهة نينسون والدي جلجامش في المراجع الأخرى .
ويفـترض أن يكـون جلجامش قد عاش كشخصية تاريخية حقيقية بين القرنين الثـامن والعشـرين والسـابـع والعشـرين قبل الميلاد ، أما قائمة أسماء الآلهة من (فارا) فتورد اسمه مع (لوكال بندا) كآلهة فقط .
يعتقـد أن أصـل الاسم السومري كان (بيلجا ـ مس) ويعني تقريباً (العجوز لم يزل شاباً) ، أما ملحمة جلجامش الأكادية فلا تحوي اسماً سومرياً مركباً سابقاً لشكله المعتمد في الملحمة ، والاسم في هذه الحال هو إبداع بابلي محض .
لا يوجد في اللغة السومرية ملحمة متكاملة عن جلجامش بل نصوص متفرقة تدور في فلك هذا المـوضـوع ، وهـذه النصـوص لم تستكمل دراستها بعد إما لصعوبة فهمها أو لسوء وضعها ، والنصوص المعروفة هي :
١ ـ جلجامش وهو واوا .
٢ ـ جلجامش وثور السماء .
٣ ـ جلجامش وإنكيدو والعالم السفلي .
٥ ـ نص ليس له قيمة اسطورية بعنوان (جلجامش وأكّا) .

كما أن اللوح الحادي عشر في ملحمة جلجامش الأكادية حول الطوفان معروف كنص مستقل في اللغة السومرية ولكن ليس له ارتباط بمضمون الملحمـة (انظر الطوفان) .

١ ـ جلجامش وهوواوا :

المصادر:

كسر عديدة يناقض بعضها الآخر عثر عليها في كل من (نفر) و(كيش) و (أوروك) وهناك كسر مجهولة المصدر غامضة المعنى .

مضمون الأسطورة:

يخطط جلجامش وقد أرقت فكرة الموت مضجعه رحلة يعتزم القيام بها إلى بلد الأحياء (حرفياً: البلد الذي يبقي الانسان حياً) ويجعل لنفسه فيها اسماً، وهذا يعني أن يخلد ذكراه بعمل عظيم ؛ وقبل أن يتوجه في رحلته هذه يضمن مؤازرة إلهه الحامي إله الشمس (أوتو) ثم يشق طريقه مع خمسين مقاتلاً من رجاله مصطحباً (إنكيدو). وبعد أن يعبروا سبعة جبال يصلون بلاد الأرز الجبلية، وهناك ينصح إنكيدو (جلجامش) بالعودة، لأن (انكيدو) يعرف الخصم جيداً حارس غابة الأرز (هوواوا) إلا أن جلجامش لا يأخذ بنصيحة صاحبه ويتابع طريقه؛ وهناك يقوم رجاله باقتطاع شجر الأرز، وعندما يتصدى (هوواوا) لهم ينبري له جلجامش ويتمكن من صرعه، وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة يرجو جلجامش بالإبقاء على حياته، ولكن انكيدو يدفعه إلى القضاء عليه. وهنا يتدخل (إنليل) الذي ساءه قتل حارس غابة الأرز.

نهاية النص غير واضحة وغير مفهومة، وغير مفهوم أيضاً القصد من العبارة (بلاد الأحياء أو البلد الذي يبقي الانسان حياً) حيث لا يرد في النص السومري أية إشارة إلى بحث جلجامش عن الخلود كما هو الحال في النص الأكادي . كما أن اسطورة (جلجامش وهوواوا) السومرية وجدت طريقها إلى ملحمة جلجامش الأكادية في اللوحين الرابع والخامس.

٢ ـ جلجامش وثور السماء :

وجدت هذه الاسطورة السومرية طريقها إلى ملحمة جلجامش الأكادية أيضاً، وهي مدونة على اللوح السادس إلا أن النص السومري الأصل مشوه وغير كامل، مما يجعل فهم الاسطورة بلغتها الأصلية عسيراً بل غير ممكن.

٣ ـ جلجامش وانكيدو والعالم السفلي :

المصادر :

القسم الأول من الأسطورة معروف فقط بالأصل السومري أما البقية فيمكن تكملتها من اللوح الثاني عشر من ملحمة جلجامش الأكادية ، وهذا اللوح أضيف إلى الملحمة كملحق ، وهو ترجمة حرفية للنص السومري على عكس بقية النصوص الشعرية في الملحمة .

مضمون الأسطورة :

تتحدث الأسطورة بعد مقدمة فكرية عن نشوء الكون (انظر تكوين الفقرة الأولى) عن شجرة تدعى (حلوبّو) على ضفاف نهر الفرات تقتلعها العاصفة وتجرفها فيضانات النهر حتى تعثر عليها إحدى السيدات فتنتشلها من المياه وتزرعها في حديقة الإلهة (إنانا) ، وعندما تنمو الشجرة وتكبر ترغب (انانا) في أن تصنع من خشبها عرشاً وسريراً لها إلا أنها لا تتمكن من تنفيذ رغبتها لأن أفعى لا تنفع ضدها التعويذات قد عشعشت في جذورها مع فراخها ، وفتاة الريح سكنت في جذعها وطائر الامدوكود اتخذ قمتها وكراً له ؛ فتلجأ (إنانا) بالشكوى إلى أخيها (أوتو) إله الشمس ، فينصحها بالالتجاء إلى (جلجامش) ، ويقوم جلجامش بقطع الشجرة بعد أن يهرب محتلوها من أمامه ، وتحصل (إنانا) من جذع الشجرة على العرش والسرير، في حين يصطنع (جلجامش) لنفسه من جذورها أداة (البوكّو) (معنى الاسم غير مفهوم) ، ومن أغصانها أداة (المكّو) المعنى غير مفهوم أيضاً ـ وعندما تقوم الإلهة (جشتينانّا) بإسقاط هاتين الأداتين إلى العالم السفلي يعرض (إنكيدو) نفسه على (جلجامش) لإعادتهما إليه من العالم السفلي ، وبما أن (أنكيدو) لا يأبه للنصائح التي أسداها له جلجامش خلال نزوله إلى العالم السفلي ، فإنه يقع فريسة الموت ، وبعد محاولات عدة يفلح جلجامش في رؤية صديقه في العالم السفلي بمؤازرة الإله (إنكي) الذي يأمر إله الموت (نرجال) باحضار روح (إنكيدو) ليتمكن جلجامش من محادثة صاحبه ، ويقص هذا الأخير على جلجامش حياة الأموات في العالم السفلي التي لا تبهج النفس اطلاقاً .

٤ ـ جلجامش في العالم السفلي :

ضم الاستاذ كريمر عدداً من كسر ألواح مسمارية كثيرة إلى مجموعة واحدة أطلق عليها اسم (موت جلجامش) رغم أن نصوص هذه الكسر ذات مضامين متباينة

ولا يمكن نسبهـا إلى قصيـدة سومـرية واحدة تتعلق بموت جلجامش، ونظراً لكـون هذه الكسـر غير كاملة المضمـون فإننـا لا نستطيـع أن نستخلص فكـرة واضحـة عن تسلسـل أحـداث جلجـامش في عالم الأمـوات، ويذكر أحد النصوص أن جلجامش حمل هدايـا إلى إلهـة العـالم السفـلي (إريشكيجـال) وإلى الآلهـة الـذين يعيشـون في بلاطها، ويسمي النص هذه الآلهة كما يلي:

نمتـار وزوجتـه، والحـارس نتي ونينجيـزيـدا ودوموزي وأسلاف الإله (إنليل) والإلهة الأم (نينخورساحا).

٥ ـ ملحمة جلجامش:

المصادر:

تحولت قصـائـد جلجـامش السـومـريـة الكثـيرة والمتبـانية إلى ملحمة شعرية متكاملة ومنسجمة بصياغة أكادية مبدعة؛ وقد عثر على أجزاء منها كانت قد صيغت في العصر البابلي القديم، ولكن ليس معروفاً إذا كانت الملحمة قد استكلمت شكلها في العصر البابلي القديم كما عرفت في عصور لاحقة في ألواحها الأحد عشر لوحاً، وقد عثر على القسم الأعظم من ألواح الملحمة في مكتبة (آشور بانيبال) في نينوى كما عثر على كسر منها باللغتين الحثية والحورية في كافة أنحاء الشرق القديم.

ومهما يكن من أمر يمكن القول أن الملحمة كانت تتألف من أحد عشر لوحاً منذ نهاية الألف الثاني ق.م، ثم أضيف إليها اللوح الثاني عشر كملحق.

مضمون الألواح:

اللوح الأول:

يصف اللوح الأول جلجـامش بأن ثلثيـه إلـه والثلث الأخـير بشـر، وبصفتـه حاكم أوروك كان يرهق مواطنيـه بأعـمال السخـرة مما دعى الإلهـة الأم (أورورو) إلى خلق (انكيدو) ليكون ندا ومنافساً لجلجامش ويشغله عن مواطني أوروك الذين كانوا يئنـون تحت وطأة جبروتـه، وعنـدمـا يظهـر (إنكيـدو) كإنسان متوحش في البادية يثير اهتـمام جلجـامش، فيرسل إليه إحدى بغايا المعبد ليستأنس بها، وتتمكن الباغية من ترويضـه بعـد أن يقضي معهـا وقتاً ممتعاً يكتشف خلاله ضعفه الانساني، ويتوجه مع

البغي إلى جلجامش في مدينة أوروك.

اللوح الثاني:

يحلم جلجامش حلماً مثيراً وتقوم أمه الإلهة (نينسون) بتفسير الحلم وتبشره بقدوم (إنكيدو) الذي سوف يكون صديقاً له، ومساعداً بعد خصام، ويعترف (إنكيدو) بعد وصوله إلى (أوروك) بجلجامش ملكاً متوجاً من قبل الإله (إنليل)، وتتوثق عرى الصداقة بينهما.

اللوح الثالث:

يعتزم جلجامش القيام برحلة مغامرات إلى غابة الأرز البعيدة (لبنان) وقتل حارس الغابة (هوواوا) الذي عينه الإله (انليل) حارساً على الغابة، ورغم اعتراض (انكيدو) ينفذ جلجامش ما اعتزم عليه بعد أن يضمن مساعدة إلهه الحامي، إله الشمس (شاماش)، ويقتل حارس الغابة فعلاً دون أن يأبه لرجاءه في الابقاء على حياته.

اللوح الرابع:

وهو في حالة سيئة جداً ويتضمن وصف طريق الرحلة إلى غابة الأرز.

اللوح الخامس:

يحلم جلجامش أحلاماً مزعجة إلا أن (أنكيدو) يفسرها تفسيراً حسناً لصالحه؛ يقوم جلجامش برحلته إلى غابة الأرز، ويقطع رأس حارسها (هوواوا) دون أن يلتفت إلى رجائه في الابقاء على حياته.

اللوح السادس:

تقع عشتار في غرام جلجامش، وتعرض عليه فكرة الزواج منها، إلا أن جلجامش يصدها عنه، ويعرض عن غرامها مكيلاً لها شتى الاتهامات والشتائم معيّراً إياها بعدم ثباتها على عشيق واحد معدداً أسماء من أوقعت بهم في حبائلها ثم تخلت عنهم وهم: دوموزي والطير المبرقش والأسد والراعي و(إشولانو) حارس بستان أبيها (آن)، عندها تغتاظ عشتار من جلجامش وتطلب من أبيها (آن) أن يرسل ثور السماء إلى الأرض لينتقم لها ممن أساء إليها؛ ومن صفات هذا الثور أنه يستطيع بخطمه أن يقتل البشر ويعيث فساداً في الحقول والأراضي المزروعة ويعب المياه عن آخرها.

غير أن الصديقين جلجامش وانكيدو يتمكنان منه ويصرعانه، ويقدمان قلبه

هدية إلى الإله (شاماش).

اللوح السابع:

يحلم انكيدو في المنام أن الإله (آن) والإله (انليل) يخططان له مكيدة تودي بحياته غير آبهين باعتراض الإله (شاماش)، وذلك انتقاماً لموت (هوواوا) واقتطاع أشجار غابة الأرز المقدسة وقتل ثور السماء.

وفعلاً يتوفى (انكيدو) بعد مرض عضال ويرى وجه عالم الأموات قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة.

اللوح الثامن:

وهو في وضعية سيئة جداً، ولكن يمكن أن نستخلص منه أنه يحوي ندب جلجامش لفقدان صديقه (انكيدو).

اللوح التاسع:

ينطلق جلجامش، وقد ارتعدت فرائصه خوفاً من المصير المحتوم الذي أصاب صديقه (إنكيدو) باحثاً عن سر الحياة لدى (اوتنابشتي) الانسان الفاني الوحيد الذي استطاع أن ينجو من الموت ـ مصير كل كائن حي ـ وبعد أن يقطع جلجامش البوادي والقفار يصل إلى جبل (ماشو) الذي يحرسه أناس لهم شكل العقارب (انظر كائنات مركبة الفقرة الأولى)، عند مدخل ومخرج إله الشمس نهاراً وليلاً، ويتمكن جلجامش الإفلات منهم حيث يتغلغل إلى عالم الظلمة.

اللوح العاشر:

وبعد أن يجتاز جلجامش مسافة تقدر باثني عشر ساعة مزدوجة يخرج من عالم الظلمة، وتطأ قدماه حديقة مرصعة بالأحجار الكريمة، ويقابل هناك ساقية الحانة (سيدوري) التي توضح له أن مسعاه خائب، وعوضاً عن أن يكبد نفسه مشاق لا طائل تحتها عليه أن يعود أدراجه إلى (أوروك)، ويتمتع بمباهج الحياة الدنيوية فهي في متناول يده. إلا أن جلجامش يلقي بنصائحها عرض الحائط، ويطلب منها أن تدله على الطريق فتفعل. فيذهب إلى ربّان قارب نهر العالم السفلي (أورشنابي) الذي يمكنه من عبور تيار الموت والوصول به إلى (أوتنابشتي).

اللوح الحادي عشر:

ومنه يستطلع سر نجاته وأخبار الطوفان (انظر طوفان الفقرة الثالثة) وتأليهه،

وبعد تردد طويل يطلعه (أوتنابشتي) على سر نبتة الحياة التي تعيد الشباب إلى كل كهل يتذوقها، فيحضرها جلجامش من أعماق البحر ويقفل عائداً إلى وطنه بمساعدة الربان (أورشنابي)، وفي طريق العودة وخلال استجمام جلجامش في فترة راحة عند أحد ينابيع المياه تسرق الحية النبتة وتفترسها، وبذلك يتحقق تحذير الساقية (سودوري) له من أن الآلهة هي وحدها القادرة على الخلود أما الانسان فمصيره الموت مهما كابر، وفي نهاية الملحمة يعود جلجامش إلى أوروك ويشيد أسوارها التي طال الحديث عنها في المقدمة.

٦ ـ روايات جلجامش من مصادر غير مسمارية :

يذكر إليان حوالي القرن الثالث ميلادي في كتابه (قصص الحيوانات) في المجلد الثاني عشر الفصل الحادي والعشرين قصة خرافية عن مولد جلجامش.

تقول القصة أن الملك (أويشوروس) الذي هو (إنمركار) ملك أوروك وسلف (لوكال بندا) حسب ما جاء في قوائم أسماء الملوك قد نبىء بأن ابنته سوف تلد له حفيداً ينتزع السلطة منه، وخشية أن يحدث ما جاء في النبوءة يحبس ابنته داخل حصن مكين، وتلد الابنة صبياً يرميه الحراس من فوق أسوار الحصن فيتلقفه نسر كان محلقاً في حينه فوق جناحيه ويحط به في أحد البساتين فيقوم صاحب البستان بتربيته وتنشئته ويسميه جلجامش، وهكذا تتحقق النبوءة إلا أننا لا نعثر على أصل هذه الخرافة في الأساطير البابلية، وان كانت قصة مولد صرغون ـ ملك أكاد ـ مشابهة في موضوعها إلا أنها تختلف عنها في التفاصيل (انظر صرغون).

وتدعي المدارس اللاهوتية السريانية أن جلجامش كان معاصراً لابراهيم؛ ونقل الاسم إلى السريانية يأخذ أشكالاً وألفاظاً مختلفة.

خ

خسوف القمر:

اسطـورة مدونـة في مقـدمـة سلسلة تعـويذات ضد عفاريت (أوتوكّو) الشريرة باللغتين السومرية والأكادية، وقد ثبتت روايتها في العصر الآشوري الحديث أيضاً.

تتحـدث الأسطـورة عن تحالف بين (سن) إلـه القمر و (شاماش) إله الشمس و(عشتار) بتحريض من الإله (إنليل) لمقاسمة الإله (آن) في حكم العالم.

يتصـدى (آن) لهم ويـرسـل الآلهـة (سبيتـو) لقتـل إلـه القمر (سن) مما يسبب خسـوف القمـر، تتخلى عشتـار عن حلفـائهـا وتنضم إلى صف الإله (آن)، وتنجح بمكـرهـا ودهـائهـا في احتـلال مقعد (آن) المقـدس يحدوهـا الأمل في حكم السماء بمفردها (انظر سمو انانا).

يرسـل (إنليـل) رسـولـه (نـوسكـو) إلى الإله الحكيم (إيا) لينقذ إله القمر من مأزقه، فيطلع (إيا) ابنه (أساللوحي - مردوخ) على جلية الأمر.

بقية النص الذي يتضمن نهاية الأسطورة ناقص، ولكن يعتقد أنه كان يتضمن تدخل الإله (إيا) لتحرير إله القمر.

د

دامو:

ابن إلهة الشفاء نينسينا، وفي إحدى المدائح الإلهية السومرية تمنح (نينسينا) ابنها دامو قوى الطب الإلهية (انظر مهْ)، ومما يؤكد أن دامو كان إله شفاء وورد اسمه في الأسماء البابلية المركبة والتي تعني غالباً (داموطبيب)، ويلقب مثل أمه في المدائح الإلهية بكاهن التعويذات الكبير، وبذا يجمع في شخصه خصائص الشعوذة والسحر إلى جانب المداواة الطبية، وكان مركز عبادته الرئيس في مدينة (ايسن) منذ عصر أور الثالث.

ولم يتضح بعد فيما إذا كان (داه ـو) يشارك في طقوس (دوموزي) أو أن الاسم (دوموزيـ) يعني (يا ولدي دامو) بالنسبة لأمه (نينسينا)، وقد ورد في ترجمة إحدى قصائد المديح بحق والدته من العصر الأكادي أنه ابن (نينسينا) ولكن هذا ليس سبباً في أن نرى (دامو) مخنثاً كما يقترح بعض الباحثين فالاستثناء لا يشكل قاعدة.

دجن:

إله ليس من أصل بابلي، وقد ثبت تقديسه في العصر الأكادي في منطقة الفرات الأوسط (ماري وترقا)، ثم ما لبثت هذه المنطقة حتى أصبحت مركز عبادته الرئيس في بلاد الرافدين، وظهر اسم (دجن) في وثائق عصر أور الثالث في موقع قريب من مدينة (نفّر) يدعى (بوزريش دجن) ويعني في حماية دجن، ويعتقد أن عبادته هناك تأسست على يد مجموعة من القبائل الكنعانية السامية، ثم انتشر تقديسه بشكل واسع في العصر البابلي القديم تحت ظل حكم سلالة ايسن التي هاجرت من ماري، كما ثبت تقديسه في بلاد آشور خلال العصر الآشوري القديم.

وز نته هي (شالا) ذات الأصل الحوري وزوجة إله الطقس الأكادي، وتذكر إحدى كسر الألواح الكتابية المكتشفة في شمال بلاد الرافدين أن (دجن) هو والد إله

الطقس، ويتكـرر هذا النسب في نصـوص (أوغاريت)، ويرد ذكره في نصوص ماري مع إله الطقس (إتورمير).

«وفي اللغـة العـربيـة يعني هذا الاسم (دُجْن ودِجَـان ودُجون: الغيم المطبق٧ المطر الكثير) (المعرب)».

ويلقب (دجن) في منطقة الفرات الأوسط بملك البلاد، إلا أن الوثائق المتوفرة عنـه لا تفي لتحـديـد صفاته وأماكن نفوذه، وهو من وجهة نظر سورية إله الحبوب كما ورد في أحد النصوص الأوغاريتية إلا أن صفته هذه غير معروفة في بلاد الرافدين. وهو على كل حال قيد الدراسة والبحث إذ أن علاقته مع بقية الآلهة الرافدية وخاصة (آن) و (إنليل) كما تذكرها قوائم اسماء الآلهة غير متجانسة، يخالف بعضها بعضاً.

دمجلونّا:

يعني اسم هذه الإلهـة في اللغـة السـومرية الزوجة الكبيرة للإله إنكي المتعالي، واستخـدم هذا الاسم في اللغـة الأكـادية بلفظ (دمكينا) وفي اليونانية يلفظ (دواكه)، ويظهـر اسمهـا مختـزلاً على شكـل (دمجل) في اسماء الأشخاص اللاهوتية المركبة منذ عصـر كتـابـات (فـارا)، وهي زوجـة الإلـه (انكي / إيا) وأم الإله (مردوخ)، ويختلط اسمهـا مع اسم الإلهـة الأم (ننخـورسـانجـا) في الأسـاطـير السـومـريـة (إنكي وننخـورسـانجـا) و (المعـول) وربـما يعـود السبب في هذا الاختلاط إلى أنهما كانتا في الأصل متشابهتين في طبيعة عملهما، إلا أن كلاً منهما كانت تستقل بشخصيتها وذلك منذ العصر البابلي القديم.

دوكو:

ويعني هذا الاسم في اللغة السومرية (تل مقدس) والمقصود بذلك مكان تجمع الآلهـة في المنطقـة الجبلية الشرقية المجاورة لبلاد الرافدين (انظر لاحار وأشنان)، وكان يقصـد بالاسم (دوكـو) في نصـوص العصر البابلي الحديث المكان الذي كان يقيم فيه الإله مردوخ في معبده الرئيس في بابل ليقرر من هناك مصائر البشر.

دوموزي :

يعني الاسم السومري (ابن شرعي) وانتقل إلى اللغة الأكادية بلفظ (تموز)، كما عرف بهذا الاسم في الروايات الآرامية وأسفار العهد القديم ولا علاقة للإلهة (دوموزي أبزو) به كما كان يعتقد سابقاً لا من قريب ولا من بعيد.

ويظهر اسم (دوموزي) أول ما يظهر في أسماء الأشخاص من عصر كتابات (فارا) كما تذكر لائحة من قوائم أسماء الآلهة في فارا اسم إله يدعى (أما أوشومجال) الذي تعرفنا على اسمه كاملاً في عصور أحدث (أما أوشومجال ـ أنّا) كلقب لـ (دوموزي) ويعني هذا اللقب (الذي أمه هي تنين السماء)، ولا أحد يعرف ماذا يكمن وراء هذا الاسم من معان اسطورية.

تسمي قائمة أسماء الملوك السومرية ملكين بهذا الاسم، الأول دوموزي من (بدتبيرا) الذي عاش قبل الطوفان وتصفه بالراعي، والثاني دوموزي من (أوروك) وتصفه بالصياد من مدينة (كوارا)، وعلى عكس سلالة ملوك أوروك (أنمركار ـ لوكال بندا ـ جلجامش) لا يتمتع (دوموزي) بتقاليد أدبية شعرية متوارثة والنصوص الأدبية غير واضحة فيما يتعلق بشخصيتي (دوموزي) المتباينتين، وهناك نص اقتصادي من عصر أور الثالث يتحدث عن شخصيتين باسم (دوموزي)، ولكن لا يعطي تعليلاً واضحاً لسبب وجود هذين الاسمين.

يمكن أن نستخلص ثلاث صفات كان يتحلى بها دوموزي من خلال المراجع الكثيرة التي تدور حول شخصه :

١ ـ عشيق وزوج الإلهة إنانا.

٢ ـ الزوج المخذول والمنفي إلى العالم السفلي والإله المأسوف على شبابه بسبب اختفائه من سطح الأرض.

٣ ـ الإله الذي يجسد خصب البادية في الربيع وإله الخصب عامة.

ولا يمكن فصل الصفة الأولى عن الثانية نظراً لتشابكهما وترابطهما ببعض لأنهما منبثقتان عن موضوع واحد.

وخلال الجدل الحاد الذي يدور بين دوموزي وإنكيمدو عندما يتنافس الاثنان على كسب ود وقلب (إنانا) يميل قلب (إنانا) في البداية نحو (انكيمدو) إلا أنها تفضل الراعي (دوموزي) في الأخير وتختاره عريساً بتأثير أخيها إله الشمس (أوتو)، ويصور نص سومري ناقص وصول (دوموزي) إلى بيت (إنانا) واستعداد (إنانا) لاستقبال

عريسها بأبهى حللها وزينتها، ويصطحب (دوموزي) عروسه إلى بيت أهله، وفي الطريق يلقن دوموزي (إنانا) أداب السلوك وكيف عليها أن تتصرف تجاه والديه، فتتأثر (إنانا) بحديثه، وتشعر أن زوجها قد حط من شأنها وقلل من أهميتها، إلا أننا نجهل رد فعل الإلهة لعدم اكتمال النص.

وفي اسطورة نزول إنانا إلى العالم السفلي نرى عفاريت (الجالا) تبحث عن (دوموزي) لتأخذه بديلاً عن (إنانا)، وكانت (إريشكيجال) إلهة العالم السفلي قد أرسلت هذه العفاريت مع (إنانا) لتضمن حقها في الحصول على البديل، وكان السبب في دفع (إنانا) الى التخلي عن زوجها واستعدادها لتسليمه رهينة عنها إلى العالم السفلي، هو أن (دوموزي) لم يعر اختفاء (إنانا) رفيقة دربه الاهتمام اللائق بل كان على النقيض من ذلك مبتهجاً بغيابها مرتدياً أفخر الملابس، سعيداً باعتلائه العرش بمفرده، إلا أن دوموزي يستطيع أن يتخلص من ملاحقة العفاريت له بمساعدة ابن حميه (الإله أوتو أخو الإلهة إنانا) إذ يحوله هذا الأخير إلى غزال، ومن ثم إلى أفعى، غير أن العفاريت تتمكن منه في النهاية، حيث نراه في نصوص أخرى إلهاً من آلهة العالم السفلي إلى جانب جلجامش وأورنامو ملك (أور).

وقد نشأت المراثي الحزينة على فقدان (دوموزي) واحتجازه في العالم السفلي، ورغم أهمية هذه المراثي وغناها بالمضمون الفكري إلا أنها لم تدرس الدراسة التي تستحقها، ونستخلص من هذه المراثي الحزن والأسى على فقدان (دوموزي) الذي كان يجسد قوى الخصب في الطبيعة التي تتوقف عن النمو الانبات، ولعل جفاف البادية في فصل الصيف يعزى إلى احتجازه في عالم الأموات.

وفي حين نرى أن الأسطورة السومرية تعطي (إنانا) سبباً في معاقبة (دوموزي)، لا نرى أي مبرر لعشتار (شخصية انانا الأكادية) في معاقبتها له في النص الأكادي لملحمة جلجامش حيث تقضي بالنواح عليه سنة بعد سنة كما جاء في اللوح السادس من الملحمة.

ويشرح الاستاذ (فالكن شتاين) السبب في توتر العلاقات بين دوموزي وإنانا في أن دوموزي لم يكن في الأصل إلهاً وإنما رقي إلى مرتبة الألوهية، وكان من قبل إنساناً عادياً كغيره من البشر الفانين، ولهذا لا يمكن أن يتساوى وإنانا في مرتبة الألوهية أو أن يكون لها صنواً.

ويصور أحد الأناشيد الشعبية من العصر البابلي القديم (دوموزي) بلقبه الذي

مر معنـا (أمـا ـ أوشـوجـال ـ أنّـا) زوجاً للإلهة (إنانا) ومعادلاً لها بشخصيتها القتالية، وبطـلاً من الأبطـال العظـام ينـاضل ضد أعداء البلاد، وإلهاً سماوياً مثل إله الشمس (شاماش) يشرق من خلف الجبال.

ويـرد ذكـر (دومـوزي) و(جيـزّايـدا) كحارسين للإله (آن) عند بوابة السماء في أسطـورة (أدابـا) الأكـاديـة فقـط، وعنـدمـا يدور الحـديث في الأسطـورة عن إلهـين مفقودين، فإننا نستغرب وجود هذين الإلهين في السماء!! وهما كما نعرف من آلهة العالم السفلي، وهذا التناقض يصعب علينا فهمه.

والجـديـر بالـذكـر أن طقـوس الـزواج الإلهي المقدس التي نشأت في أوروك قد انتقلت إلى (أور) و(إيسن) خلال حكم السلالة الثالثة في أور وحكم سلالة (إيسن) التي أعقبتها.

ويعود نسب هاتين السلالتين إلى (أوروك) ويجسد ملوكهما الإله (دوموزي) في عملية الزواج الإلهي المقدس حيث يتحد الملك المؤله جسدياً بالإلهة (إنانا).

دوموزي أبزو:

يعني هذا الاسم في اللغة السومرية (ولد أبزو الشرعي) ولكن المقصود بالاسم إلهة من آلهة محيط مدينة (لجش) وإلهة مدينة (كنيرشا)، وهذه الإلهة التي اتضح تأنيثها لا علاقـة لها البتـة مع الإلـه (دومـوزي) على عكس ما كان يعتقـد سابقاً، وكما يشير الاسم فهي ترتبـط بآلهـة المحيطـات العذبة (أبزو)، وقد ورد اسمها في هذا السياق في قوائم أسـماء الآلهـة، وقد فقدت أهميتها بعد العصر البابلي القديم لتضاؤ ل دور مدينة (لجش) السياسي.

رحلات الآلهة :

كانت حركـة المـلاحـة نشطـة جداً في جنوب بلاد الرافدين بسبب وجود الأنهار والقنوات، ولم تكن تستخدم طرق الملاحة لأغراض تجارية فقط بل كانت تسهل أيضاً نقـل تماثيـل الآلهـة من بلد إلى آخـر مما جعـل نشوء الأساطير المتعلقة برحلات الآلهة بواسطـة القـوارب والزوارق ممكناً، فالآلهة كانت تحج مثل البشر إلى الأماكن المقدسة في المـدن المجـاورة، وخـاصة إلى نفر (نيبور) حيث يوجد المعبد المركزي الرئيس لبلاد سومر، وكان الإله (إنليل) يقوم سنوياً برحلة إلى (نفر) ليمنحها بركاته.

وأهم رحلات الآلهة التي تعرفنا عنيها من خلال النصوص المدونة هي كما يلي :

١ ـ رحلة إله القمر (نانا) إلى نفر:

يتـوجـه إلـه القمـر (نانا) من مدينته (أور) إلى (نفر)، ويتوقف خلال سفره في خمس مدن للاستراحة، وعندما يصل (نفر) تقع مشادة كلامية بينه وبين حارس بوابة المـدينـة، ثم يسمـح له الحـارس بالـدخـول بأمر من الإله (إنليل)، وهناك يقيم الإله (إنليـل) مأدبـة غداء فخمـة على شرفه، وخلال المأدبة يتقدم (نانا) بعدة طلبات إلى (إنليـل)، فيستجيب (إنليـل) لتضـرعـاتـه ويفصح عن المصير الذي قرره تجاه مدينة (نفر) وهو:

نمو وازدهار الحياة الزراعية والحيوانية والعمر المديد للقصر.

تعكس هذه القصيـدة صدى العـلاقـات الاجتـماعيـة والـدينيـة في ظل حكم السـلالـة الثـالثة في (أور) حيث يعترف بمدينة (نفر) كمدينة مقدسة لعبادة إله القمر ولها أهميتها إلى جانب عاصمة الدولة (أور).

وتـذكـر إحـدى القصـائد الملكية أن الملك (شولجي) أقام حفلاً في مدينة (أور) وحفلاً آخر في نفس اليوم في مدينة (نفر) عندما كان متوجهاً على فرسه بزيارة خاطفة لمدينة (نفر).

٢ ـ رحلة إنكي إلى نفر:

بعد أن ينهي (إنكي) بناء معبده (إنجورا) في (إريدو) يقوم بزيارة ودية إلى الإله (إنليـل) في نفـر، وهناك يستقبله (إنليل) ويحتفي به احتفاء لائقاً، ويمتدح بناء المعبد ويثني عليه خلال وليمة الطعام.

٣ ـ تقوم إلهة الشفاء وإلهة مدينة (ايسن) برحلة ودية إلى نفر لزيارة الإله (إنليل).

٤ ـ رحلة الإلـه (نينجـرسـو) إلـه مدينة (لجش) إلى (إريدو) بعد أن أنجز بناء معبده المسمى (إنينو)، وقد ذكرت هذه الرحلة في نشيد (جوديا).

٥ ـ رحلة نينورتا من (نفر) إلى (اريدو).

٦ ـ رحلة (إنانا) إلى (إريدو) لمقابلة الإله (إنكي) وسرقة ألواح القدر منه (انظر إنانا وإنكي).

رحلات الآلهة في الفن:

نشاهد على طبعات الأختام الاسطوانية آلهة متربعة على عرش داخل قارب، ويـرتكـز العـرش على ظهـر حيـوان، وأحيـانـاً تكـون الآلهـة ملتحمة مع الأشرعة أو المجاذيف وكأنها قطعة واحدة تدفع بالقارب نحو الأمام.

رسل الآلهة:

كان لكـل الآلهـة الكبـيرة رسـلاً أووزراء يقفـون إلى جانبها ويشدون أزرها، وينفذون أوامرها ويؤدون المهام المكلفين بها، وكان سفراء الآلهة الذكور ذكوراً وسفراء الآلهة الإناث إناثاً وأهم الرسل كما ورد ذكرهم في المراجع ما يلي:

١ ـ بونته : رسول إله الشمس (أوتو/شاماش).
٢ ـ ايسيمو أو أوسمو : رسول الإله (إنكي / إيا).
٣ ـ إشوم : رسول الإله (إرّا).
٤ ـ ممو : رسول الإله (أبزو)
٥ ـ نمتار : رسول الإله (إريشكيجال).
٦ ـ نينشوبور : رسول الإلهة (إنانا) والإله (آن).

٧ ـ نوسكو : رسول الإله (إنليل).
٨ ـ ببسوكال : رسول الإله (آن) والإله (زبابا).
ونادراً ما يكون السفير نفسه إلهاً مثل (نوسكو).

رؤية العالم السفلي:

قصيدة من العصر الآشوري الحديث عثر على نسخة واحدة منها فقط، والقسم الأول من القصيدة مشوه وفي حالة سيئة.

مضمون القصيدة:

يقوم ولي عهد آشور بانيبال باسمه المستعار (كومّا) بتحضير الأرواح، فيظهر له وجه ليلي يمكنه من رؤية العالم السفلي، وهناك نشاهد خمسة عشر إلهاً وعفريتاً من بينهم:

١ ـ وزير العالم السفلي (نمتار) وهو ممسك بشعر أحد الناس، مستل سيفه في وجهه.
٢ ـ موتو (الموت) له رأس تنين.
٣ ـ العفريت الشرير (أوتوكو)، له رأس أسد وأطراف الطائر الخرافي (زو).
٤ ـ ربان العالم السفلي (حموط ـ تبل) الذي يعني اسمه (خذه بعيداً بسرعة).
٥ ـ الإلهة (مميتو) وهي إحدى زوجات الإله (نرجال)، لها رأس عنزة.
٦ ـ البواب (ندو).

يستشيط الإله (نرجال) غيظاً ويهدد (كومّا) بالقتل لأنه سخر من زوجته (إريشكيجال) وتمكن من رؤية العالم السفلي فارتكب بذلك إثماً لا يغتفر، لكن إشوم يتشفع له، ويتمكن من اطلاق سراحه.

رياح:

يتحكم بالرياح والأعاصير عدد كبير من الآلهة والعفاريت بالإضافة إلى وجود رياح غير مشخصة مثل رياح الجهات الأربع ورياح متفرقة يصعب تحديد هويتها.

نستخلص من معنى اسم الإله إنليل (سيد نسيم) أنه كان في الأصل أحد آلهة الرياح ثم أصبح إله الهواء عموماً، فهو يهيمن على الأعاصير التي يطلقها من عقالها،

ويسلطها على المدن التي يرغب في تأديبها كما حدث في مدينة (أور) «نستخلص ذلك من قصيدة رثاء أور السومرية ـ مرثية دمار أور».

ومن صفـات إلـه الطقس أنه يتمتع بالقدرة على تسيير الرياح على شكل سحاب وتسخيرها لصالح البشر بما تحويه في طياتها من مياه الأمطار الخيرة، وبنفس الوقت يعصف بالمحاصيل والحقول بما يسببه من فيضانات تأتي على المزروعات ومنتوجات الأرض، ويعرف عن (نينجرسو/نينورتا) ابن الإله (إنليل) أنه كان إله العاصفة، وكان شعاره طير العاصفة (امدوكود ـ زو)، ولم تتضح بعد العلاقة التي كانت تربطهما ببعض في الأصل، ففي حلم (جوديا) يظهر (نينجرسو) على شكل الطائر (امدوكود) في قسمه العلوي (ذراعيه)، وعلى شكل زوبعة في قسمه السفلي؛ ولا نعرف وصفاً مشخصاً للرياح العاتية (زوابع) كما جاء في رؤيا (جوديا) في مراجع أخرى.

ويشبّه إله البدو (مارتو) بالعاصفة الهوجاء المدمرة التي تأتي على كل شيء في طريقها.

والريح الجنوبية التي تذكرها أسطورة (أدابا) هي إحدى الرياح السماوية الأربع التي يكسر جناحيها (أدابا)، ويستدعى على إثرها إلى الإله (آن) لمقاضاته على ما اقترفت يداه من إثم، ويعتقد أن الريح الجنوبية هي الريح الرطبة الساخنة التي تهب من الخليج العربي إلى داخل المدن، وتظهر الريح الجنوبية في أسطورة (طير العاصفة ـ زو) مساعدة للإله (نينورتا).

وكان بين رياح الإحدى عشرة التي رافقت الإله (مردوخ) في حملته ضد (تيامات) بالإضافة إلى الرياح السماوية الأربع، الزوابع والأعاصير؛ والريح الشريرة التي تعادل أربع وسبع رياح (هكذا جاء العدد في النص الأصلي)، وربما كان المقصود بها العواصف الرملية المعروفة في العراق.

والطوفان الذي سببه (إنليل) تم بواسطة العواصف؛ وكان أحد آلهة (سيبتو) الشريرة السبع يصور على شكل عفريت العواصف.

ز

زبابا:

يرد ذكر هذا الإله في المراجع السومرية والأكادية حوالي ٢٥٠٠ سنة ق.م، على أنه إله محلي لمدينة (كيش)، ويوصف بإله الحرب وزوجته هي الإلهة (إنانا/عشتار) بشخصيتها الحربية المقاتلة، وتعادل مرتبته في العصر البابلي القديم مرتبة الإله (نينجرسو) والإله (نينورتا)، ويوصف في قوائم أسماء الآلهة بمردوخ المعارك.

زو:

هو طير العاصفة الخرافي في المصادر الأكادية، ويصور على شكل نسر برأس أسد (انظر امدوكود).

أسطورة (زو) الأكادية معروفة في العصر البابلي القديم، وفي نصوص العصر الآشوري الحديث إلا ان بداية الأسطورة ونهايتها تعتورهما نواقص كثيرة.

تمتدح مقدمة الأسطورة الإله (نينجرسو) الذي استطاع أن يقهر ويصرع (زو).

المضمون:

عندما كان الإله (إنليل) مشغولاً بخلع ملابسه استعداداً للاستحمام يتسلل (زو) إلى بيته، ويسرق ألواح القدر حتى يتمكن بواسطتها من الوصول إلى سدة العرش الإلهي الرئيس في مجمع الآلهة.

يتوجه (زو) بالألواح المسروقة إلى الجبال ويتوارى عن الأنظار، وباختفاء ألواح القدر يختل النظام الإلهي وتدب الفوضى في الكون.

يبحث الإله (آن) والحال هذه عن مطارد يكون بإمكانه أن يعيد الألواح المسروقة، إلا أن بحثه يضيع سدى، إذ أن إله الطقس (أدد)، وإله النار (جبيل) و (شارا) ابن الإلهة (إنانا) يعربون عن عجزهم وعدم مقدرتهم على تنفيذ هذه المهمة الصعبة، وعندها تتدخل الإلهة الأم (دينجر ماخ) بناء على نصيحة الإله الحكيم

(إنكي / إيا) وتطلب من ابنها (نينجرسو) «نينورتا في النص الآشوري» أن يعد العدة ويجهز نفسه لملاقاة السارق، وتزوده بسبع رياح لترافقه خلال رحلته الاستكشافية.

وعندما يعثر (نينجرسو) على (زو) يصوب نحوه سهماً إلا أن السهم يطيش في الفضاء لأن (زو) صده بتعويذة بواسطة ألواح القدر التي بحوزته.

وكان نينجرسو قد أُسقط في يده يرسل الإله (أدد) إلى الإله (إيا) ليطلعه على جلية الأمر ويأخذ مشورته، فينصح (إيا) نينجرسو بأن يعيد الكرة ضد (زو) لأن الريح الجنوبية شلت مقدرته على النطق، وبذا لم يعد بمقدوره رد السهام الموجهة إليه بواسطة التعويذات؛ نهاية النص ناقصة ولكن يعتقد أن (نينجرسو) ينجح في القضاء عليه خلال هجومه الثاني أو (الثالث؟).

يصف أحد النصوص الأكادية الإله (نينورتا) بأنه وضع قدمه فوق جسم الطائر الخرافي (زو) شارة النصر، ويصفّ نص تراتيل الصلوات للملك آشور بانيبال الإله (مردوخ) بأنه هو الذي هشم رأس (زو)، وبذا يكون مردوخ قد أخذ دور الإله (نينجرسو) في الآداب الآشورية، وعلى كل حال لا يمكن أن نتصور أسطورة (زو) دون أصل سومري مع بعض التعديل الأكادي الذي لحق بها في الشكل والمضمون.

اسطورة زو في الفن:

يظهر على أحد مشاهد الأختام الأسطوانية من العصر الأكادي القديم إله يصوب سهماً على نسر، ويقف خلف الإله أربعة آلهة أخرى يتميز رابعهم بموجات المياه المتدفقة منه، وهي رمز الإله (إنكي) إلا أن موضوع المشهد لم تثبت علاقته بأسطورة (زو) بعد.

وهناك مشهد آخر يعرض صفاً من الآلهة تخطو باتجاه الإله (إنكي)، يحمل أحدهم عصا على كتفه يتدلى منها نحو الأسفل رجل برأس طائر، ومن غير المؤكد أن لهذا الرجل علاقة ما باسطورة (زو).

زيو سودرا:

بطل الطوفان السومري (انظر طوفان) الذي استحق الخلود دون البشر في جزيرة (تيلمون) لأنه استطاع أن ينقذ ذرية البشر من كارثة الطوفان بواسطة السفينة التي ابتناها وفق نصيحة الإله الحكيم (إنكي) ويعادله في الرواية الأكادية (أوتنابشتي)، ويذكره بروسوس في الرواية اليونانية باسم (اكزيستروس).

س

ساتران :

إله غير معروف الأصل، يعتقد أنه (عيلامي؟) وقد وردت تسميته في المصادر إشتاران أيضاً، وكان مركز عبادته في مدينة دير (الاسم الحديث بدرة) على حدود الدولة العيلامية، وامتدت عبادته إلى داخل بلاد بابل.

يظهر ساتران في أسماء الأشخاص اللاهوتية المركبة من عصر فارا كما ذكره الملك ميزيليم حوالي ٢٢٥٠ ق.م واصفاً إياه بإله القضاء الذي يحكم بالعدل في المنازعات الحدودية التي تنشأ بين دولتي (أومّا) و(لجش) وجاء ذكره بهذا الوصف كإله للقضاء في مقطع من نصوص جوديا حاكم (لجش).

وقد ورد معنى اسم ساتران في الأسماء الشخصية (ساتران طبيب)، مما يوحي بأنه كان واحداً من آلهة الشفاء في العصر البابلي القديم، ويؤكد هذا الافتراض أن رسوله كان الإله الثعبان (نيراح).

وكان يكتب اسمه في وثائق أوغاريت من القرن الرابع عشر ق.م. على شكل (شاترانا)، وليس لدينا الدليل القاطع فيما إذا كان هذا الإله إلهاً أجنبياً لاحدى المستعمرات في أوغاريت أو أنه تسرب إلى صلب الديانة الأوغاريتية.

سبّتو:

يعني هذا الاسم في الأكادية «السبعة»، والمقصود بالرقم هذا مجموعتان من العفاريت بعضها شرير وبعضها الآخر صالح، إلا أن صفة الشر تغلب عليها، وتشكل المجموعتان كلاً واحداً يعامل معاملة المفرد في التركيب اللغوي، وتظهر العفاريت السبعة الصالحة في نصوص التعاويذ على أنها أبناء إله العالم السفلى (إنمه شراً) المعروفون بالحكماء السبعة (انظر أبجال)، وقد اكتسب الرقم سبعة معنى رمزياً واسعاً في شتى مجالات الحياة وفي مختلف الحضارات.

العفاريت السبعة الشريرة:

وهي أبناء الإله (آن)، أنجبهم من الأرض (إرصتو) حسب ما جاء في أسطورة (إرا)، وقدر لكل منهم مصيره ثم سلمهم إلى (إرّا) ليكونوا له مساعدين.

وتتحدث عنهم قصيدة سومرية بعنوان (لوكال بندا وحورّوم) وتنسبهم إلى أبيهم (آن) إله السماء وإلى أمهم (أوراش) إلهة الأرض.

ويدفع فضول الإله (إنكي) في معرفة أصلهم إلى البحث عن سرهم بمساعدة إله النار (جبيل) ليتمكن من صنع تعويذات تقي الناس شرهم؛ وفي أسطورة (خسوف القمر) يرسل الإله (آن) عفاريت (السبتو) في حملة ضد إله القمر ليصرعوه مما يسبب خسوفه، ويعتقد أنهم المقصودون بـ (عفاريت الأوتوكو الشريرة) في سلسلة التعويذات المعروفة بهذا الاسم.

ولم يثبت بعد إذا كان أبناء الإله (اشخارا) السبعة من العفاريت الشريرة أم الصالحة.

العفاريت السبعة الصالحة:

وهي العفاريت المعروفة باسم (أبجال) والتي يرد ذكرها في نصوص التعاويذ مع الأخت الطيبة (نرودو) التي تكافح دون هوادة ضد العفاريت الشريرة، كما تذكرها قوائم أسماء الآلهة على أنها عفاريت عيلام الصالحة إلى جانب (ناروندي/ نرودو).

سيدوري:

انظر ملحمة جلجامش اللوح العاشر.

سن:

انظر إله القمر.

ش

شارا :

إله مدينة (أومّا) الواقعة في جنوب الرافدين، لم يعرف بعد مجال عمله ولا طبيعة مهامه وصفاته، ولكن يعتقد أنه كان إله حرب بدليل وصفه في المدائح الإلهية على أنه بطل الإله (آن)، وهو ابن الإلهة (إنانا) في أسطورة (لوكال بندا)، وفي نص تدشين أحد المعابد في عصر (شوسن) أحد ملوك السلالة الثالثة الحاكمة في (أور)، وشارا هو أحد الآلهة الثلاثة التي كانت بانتظار عودة (إنانا) من العالم السفلي في الرواية السومرية.

وفي أُسطورة (زو) الأكادية يظهر (شارا) واحداً من جملة الآلهة التي تجهز في حملة ضد الطائر الخرافي (زو) ثم تنسحب قبل أداء المهمة.

شاكان :

إله البادية والحيوانات البرية، وهو أحد آلهة العالم الأرضي، ويسمى في الأكادي (سوموكان) يقابله جلجامش في العالم السفلي (انظر جلجامش الفقرة الرابعة)، ويظهر في رؤية لإنكيدو مع (إتانا) عند إلهة العالم السفلي (إريشكيجال) «انظر جلجامش اللوح السابع».

ويعتقد أن ربط البادية مع العالم السفلي في تصورات البابليين كان السبب في اكتساب (شاكان) صفة إله من آلهة العالم الأرضي.

شالا :

إلهة غريبة يعتقد أنها من أصل حوري، وهي زوجة إله الطقس الأكادي (أدد) والإله (دجن) وأم إله النار (جبيل) في نصوص التعويذات المعروفة بعنوان (مقلو).

شولباه :

يعني هذا الاسم في اللغة السومرية (الشاب البهي الطلعة)، ويرد ذكره في قوائم أسماء الآلهة المكتشفة في (فارا)، واسمه معروف في أسماء الأشخاص المركبة في العصر السومري القديم، ومنذ العصر السومري الحديث عرف (شولباه) في النصوص الاقتصادية والأدبية على أنه زوج الإلهة الأم (ننخورسا نجا) في (نفر)، ورغم أن اسمه يعني شاب إلا أنه على غير مسماه وفق ترتيب أجيال الآلهة.

وعلى عكس التصور السومري يظهر (انكي) في أسطورة (إنكي وننخورسانجا و إنكي ونينماخ) زوجاً للإلهة الأم عوضاً عن (شولباه)، ولم تتضح بعد العلاقات بين هذين التصورين.

لم تذكر النصوص اسم والدي الإله (شولباه)، ولكنها تسمي ثلاثاً من أبنائه الذكور الذين أنجبهم من الإلهة الأم (ننخورسانجا).

يبرز (شولباه) في المصادر الأدبية وخاصة في أحد الأناشيد السومرية متعدد الصفات والأشكال ولكن دون أن يعرف مجال محدد لنشاطه في الأصل، إذ يوصف في المدائح الإلهة بإله الحرب والقتال إلى جانب إله الخصب والنمو، وحامي حمى الحيوانات البرية، كما يصور أحياناً على شكل عفريت مما يشير إلى احتمال كونه عفريتاً في الأصل قبل أن تطرأ عليه تغيرات بدلت وظائفه الأصلية، ومنذ العصر البابلي القديم يصبح أحد آلهة السماء متجسداً في نجم (جوبتر). ورغم الهالة الضخمة التي تحيط به في النشيد السومري السالف الذكر إلا أنه في الواقع أحد آلهة الدنيا ولم يرق إلى مصاف الآلهة الكبيرة، وهويعادل بصفته زوج الإلهة الأم المبجلة، والمعتبرة في عالم الآلهة العظيمة الاله ببيل سانج.

ص

صرغون :

يظهر هذا الاسم بهذا اللفظ في أسفار العهد القديم ، أما لفظه في لغته الأصلية (الأكادية) فهو (شارّو - كين) ، وهو مؤسس السلالة الحاكمة في أكاد حوالي ٢٣٥٠ ق . م .

تتحدث خرافة مدونة باللغة الأكادية ومنسوخة في العصرين الآشوري والبابلي الحديثين عن مولده وصباه ، حيث تقول الخرافة أن أمه وضعته في قفة من القصب مقواة بالقير بعد ولادته ثم تركته لرحمة تيار مياه نهر الفرات (قارن بين هذه الخرافة وقصة مولد موسى في سفر الخروج الفصل الثاني) ، حتى انتشله الساقي (آكي) من أحضان النهر فعطف عليه وضمه إلى آل بيته حيث شب الصبي وترعرع ، وامتهن مهنة البستنة في ريعان الصبا ، فأعجبت به الإلهة عشتار ومنحته حبها ونصبته ملكاً (قارن التشابه في الموضوع . مع قصة البستاني إشلّانو في ملحمة جلجامش اللوح السادس) .

صربنيتو:

يعني هذا الاسم في اللغة الأكادية «الفضة اللامعة» ، وهو اسم زوجة الإله البابلي (مردوخ) ، وإلهة بابل الرئيسة المختصة بشؤون الحمل والولادة ، وتعرف باللقب (إروى) ، وفسر هذا اللقب فيما بعد في اللغة البابلية (ذربنيتو) بانية الذرية أي خالقة النسل .

ويقابل (إروى) لدى الآشوريين (شرويا) زوجة الإله (آشور) .

ط

الطوفان :

ان تصور طوفان عام شامل غطى سطح الأرض هو تصور موجود ليس فقط في الأساطير الرافدية بل في أساطير حضارات كل الشعوب.

- **رواية الطوفان السومرية :**

خبر الطوفان السومري السابق لأوتنابشتي (بطل الطوفان الأكادي) الوارد في ملحمة جلجامش في اللوح الحادي عشر مدون على لوح مهشم، وهو النسخة الوحيدة التي تنبئنا بخبر الطوفان بصياغته السومرية، ولذا يصعب علينا فهم مضمون الأسطورة بشكل واضح.

تتحدث مقدمة الأسطورة عن الإلهة الأم (نينتو)، وعن تأسيس الملكية في خمس مدن سومرية من قبل الآلهة، وقد ذكرت هذه المدن الخمس في قوائم أسماء الملوك؛ ثم تحدث عن الإله (إنكي) الذي يطلع الملك (زيوسودرا) سراً على قرار الآلهة الذي سوف يتم بمقتضاه اغراق العالم بالطوفان، ويستطيع (زيوسودرا) أن ينجو بمن معه من كارثة الطوفان الذي دام سبعة أيام وسبع ليال بواسطة السفينة، عندها تمنحه الآلهة الحياة الأبدية كمنقذ للبشرية حيث يستطيع أن يعيش كإله ويتنفس أنسام الحياة الخالدة، ومن ثم يرتحل (زيوسودرا) باتجاه مشرق الشمس نحو (تيلمون).

أما الأسباب التي دعت الآلهة إلى اتخاذ مثل هذا القرار المجحف بحق البشرية فلا يمكن استطلاعه بسبب رداءة النص المدون.

- **قوائم أسماء الملوك :**

تميز قوائم أسماء الملوك بين ملوك حكموا قبل الطوفان وملوك حكموا بعد الطوفان، والمدن الخمسة التي كانت تحكمها سلالات قبل الطوفان يرد ذكرها أيضاً في أسطورة الطوفان وهي :

إريدو - بدتبيرا - لَرَكْ - زيبار - شوروباك.

وبعد الطوفان هبط الحكم مجدداً من السماء على الأرض بأمر إلهي.

ـ **رواية الطوفان الأكادية :**

وهي مضمـــون اللوح الحـــادي عشـر في ملحمـة جلجـامش ، وملخصهـا أن جلجـامش كان يبحث عن أوتنـابشتي ليستطلع منـه سر حصوله على الحياة الخالدة ، وبعد أن يلقاه يقص عليه خبر الطوفان فيقول : أن الإله (إيا / إنكي) يفشي سر مخطط الآلهة القاضي باغراق العالم بواسطة الطوفان إلى (أوتنابشتي) رجل (شوروباك) وابن (أوبـرتـوتـو) فيقوم هذا الرجل بناء على إرشادات الإله الحكيم (إيا) ببناء سفينة ذات مقـاسـات محددة ويحملهـا ذرية الكائنات الحية ، وعندما يقترب موعد الطوفان يصعد (أوتنـــابشتي) السفينـة فيظهـر إلـه الطقس (حـدد) على شكـل غيمـة سوداء تسبقـه مسـاعـدتـاه الكـاهنة (شولات) والكاهنة (حانيش) ثم تعصف الريح الجنوبية مسببة الطوفان بواسطة الأمطار الغزيرة فتهرب الآلهة إلى علياء السماء إلى سماء الإله (آن) ، وعندما تهدأ العاصفة تستقر السفينة فوق جبل نصير .

فيرسـل أوتنـابشتي على التتـابـع حمامـة ثم سنـونـو وأخيراً غراباً ، وعندما يجد الغـراب اليـابسـة يذهب بعيـداً ولايعود الى السفينة فيعلم أوتنابشتي أن الطوفان قد انتهى ، فيقـدم الأضـاحي للآلهـة ، وعنـدما تشتم الآلهة رائحة الطعام الزكية تترامى عليه كالذباب .

وخـلال ذلـك تقع مشادة كلامية بين (عشتار) و (إنليل) ، وتريد عشتار أن تمنع (إنليل) من الاقتراب من الطعام لأنه هو الذي سبب الطوفان ، ويتهم (إنليل) بدوره الإلـه (إيـا) بأنـه أفسـد عليـه خططـه في القضاء على البشرية فيرد عليه (إيا) مقرعاً وموبخاً ، إذ أن انليل كان بمقدوره أن يختار عقوبة أخف وطأة على البشر كأن يرسل أسـوداً أو ذئـابـاً أو يسبب مجاعة أو طاعوناً . وبعد أن يهدأ روع (إنليل) ويطيب خاطره يرفـع أوتنـابشتي وزوجـه إلى مراتب الألـوهيـة ، فيرتحـل (أوتنابشتي) على الفور إلى مصب الأنهار حيث يستقر هناك (تيلمون) .

تتشـابـه هذه الأسطورة السومرية الأكادية في كثير من نقاطها مع قصة الطوفان في التوراة (انظر سفر التكوين ٦ ـ ٨) مثل :

آ ـ التحذير الذي يسبق عملية الطوفان .

ب ـ بناء السفينة

ج ـ تحميل السفينة زوجاً من كل كائن حي .

د ـ استقرار السفينة فوق جبل بعد الطوفان .

هـ - إرسال طيور للاستطلاع عن حالة الأرض بالتتابع .

و- تقديم الأضاحي وتلقي البركات .

- رواية الطوفان اليونانية :

نقل رواية الطوفان إلى اليونانية المؤرخ البابلي (بروسوس)، وهي لا تختلف عن الأصل السومري الأكادي إلا في تغيير الأسماء، والجديد في الرواية اليونانية أن (كرونوس) الذي يعادل (إنكي / إيا) يطلب من (اكويسوتروس) بطل الطوفان في الرواية اليونانية أن يسجل أسماء الأشياء كلها ويحفظها في مدينة (زيبار) حتى لا تمحى من ذاكرة الأجيال بعد الطوفان .

٤

عالم الأموات أو العالم السفلي:

١ ـ أسماؤه:

آ ـ في اللغة السومرية:

كور: وطن جبلي ويعني وطن أجنبي.

كي ـ جال: مكان واسع ـ كبير.

إدن: بادية (تلفظ في اللغات السامية عدن وقد تطور مفهومها وأصبحت تعني الجنة «المعرب»).

ب ـ في اللغة الأكادية:

إرصتو: أرض

صرو: بادية

وهناك أسماء استعيرت من اللغة السومرية مثل (كور ـ نو ـ جي)وتعني(وطن بلا عودة) ويستخدم اسم مدينة الإله (نرجال) المقدسة (كوثا) للإشارة إلى العالم السفلي أيضاً.

٢ ـ موقع العالم السفلي الجغرافي:

لا يوجد تصور واحد ثابت في كل العصور عن موقع العالم السفلي، وللوصول إليه يحتاج المرء إلى ٣٦٠٠ ساعة زمنية مزدوجة، والانسان يهبط إليه أو يصعد منه، وهذه التعابير مألوفة في النصوص التي تتحدث عن العالم السفلي، فالأداتان اللتان استخدمهما جلجامش في إجبار شعبه على أعمال السخرة (بوكّو) و (مكّو) هبطتا إلى العالم السفلي (انظر جلجامش وإنكيدو والعالم السفلي)، والروح التي يستحضرها (إنكيدو) من العالم السفلي تصعد إليه عبر ثقب في الأرض (انظر ملحمة جلجامش اللوح الثاني عشر)، ويقوم إله الشمس (شاماش) برحلة ليلية إلى العالم السفلي عبر بواباته، ومدخل ومخرج إله الشمس في العالم السفلي هو الجبل الأسطوري (مشوم). «انظر جلجامش اللوح العاشر».

وللعالم السفلي نهر يشكل حدوده؛ وعلى الآلهة أن تعبر سبع بوابات للوصول إلى العالم السفلي (انظر رحلة إنانا إلى العالم السفلي).

٣ ـ تصور العالم السفلي (العالم الآخر):

إن الإقامة في العالم السفلي إقامة جبرية لا مفر منها حتى أن الآلهة نفسها لا تستطيع مغادرته إلا بعد أن تضمن البديل عنها (انظر رحلة إنانا إلى العالم السفلي وإنليل ونينليل)، وكل فان لا بد واردها، أما جنة الصالحين والأتقياء فهي غير معروفة أصلاً، حتى العظماء والأبطال من الحكام الأرضيين الذين ارتقوا إلى مصافي الآلهة يتحولون إلى آلهة من آلهة العالم السفلي مثل (جلجامش ولوكال بندا وإتانا).

وحياة الأموات في العالم الآخر حياة قاتمة مظلمة غير مبهجة إطلاقاً خبزهم علقم وشرابهم أجاج، ويسود العالم السفلي الظلام والعجاج، ويرتدي سكانه أثواباً على شكل أجنحة (انظر جلجامش اللوح السابع ورحلة إنانا إلى العالم السفلي في الرواية الأكادية).

يحمل إله الشمس الضوء والطعام والشراب خلال رحلته الليلية ليخفف عنهم ضنك العيش.

ولم يثبت بعد فيما إذا كان هناك تصور ليوم الحساب حيث يقف الانسان أمام بارئه ليكشف عن حسناته وسيئاته في حياته الدنيا، وكل ما لدينا من وثائق يشير إلى أن القضاة الجالسين في حضرة إلهة العالم السفلي (إريشكيجال) كانوا يلفظون حكم الموت على كل من كان يقف أمامهم، وهذا الحكم لا راد له، وتسجل كاتبة العالم السفلي أسماء الموتى على لوح خاص شبيه بنصوص الألواح الادارية على الأرض.

ويشير اللوح الثاني عشر الناقص والمعروف في ملحمة جلجامش إلى أن وضع الميت واستقراره في العالم الآخر رهن بما يقدم أقرباؤه الأحياء من أضاح للآلهة، وتحوم روح المتوفى الذي لم يدفن في قبر هائمه مسببة الضرر والازعاج للأحياء من البشر حتى يجد جسد الميت مأوى له في حفرة داخل الأرض.

٤ ـ آلهة العالم السفلي وحاشيتها:

إريشكيجال هي إلهة العالم السفلي وزوجها هو الإله (نرجال ـ إرّا) وابنها ووزيرها الإله (نمتار) وحارس بوابتها (نتي)، وفي الرواية الأكادية (ندو) وأمينة سرها وكاتبتها هي الإلهة (جشتينانا) زوجة الإله (نينجيزيدا) في الرواية السومرية و(بلت صري) في الرواية الأكادية.

ويوصف (نينجيزيدا) في المدائح الإلهية بخادم بيت الأرض الواسعة.

وفي إحدى قصائد مدح الملك (أورنامو) ملك (أور) في عهد حكم السلالة الثالثة يرد ذكر أسماء الآلهة والحكام المتألهين الذين يستقبلون الأضاحي والهبات في العالم السفلي وهم:

(نرجال ـ جلجامش ـ إريشكيجال ـ دوموزي ـ نمتار وزوجته حوش بيشا ـ نينجيزيدا ـ وأزيموا).

العرس الالهي:

انظر دوموزي وإنانا.

عفاريت:

لم تدرس العفاريت السومرية والأكادية دراسة كافية، ولذا سوف نستعرضها استعراضاً خاطفاً، ونأتي على بعض من ملامحها، ولا يوجد إلا القليل منها الذي يسمح بتحديد هويته ومجال عمله بوضوح تام.

وتجسد العفاريت الشريرة كوارث الطبيعة وظواهرها المؤذية في الليل، وتشخص أمراض الجسد وأمراض النفس، وتعني كلمة مريض في اللغة السومرية (الشخص الذي دخله عفريت).

وتمثل التعويذات أهم مصدر من مصادر معارفنا بالعفاريت، وخاصة التعويذات من العصر البابلي القديم ذات النفس الأدبي، وكثيراً ما تصور التعويذات العفاريت على شكل مخالف للاعتقاد الشعبي.

أما العفاريت الصالحة فتستدعى برقيّات لحماية الانسان من الأذى والسوء، وبعض آلهة (السبتو) السبعة صالح وبضعها الآخر طالح.

بالإضافة إلى ما سوف نستعرضه من نماذج العفاريت يمكن للقارىء أن يعود إلى نصوص القاموس التي تأتي على ذكر العفاريت مثل (نمتار ـ ماميتو ـ العالم السفلي ـ رؤية العالم السفلي).

١ ـ العفاريت الشريرة (سوف نختار النماذج الأكثر شيوعاً).

آ ـ أودو (ج):

اسم عفريت باللغة السومرية ويقابله في اللغة الأكادية (أوتوكّو)، وهو عفريت

غير واضح السمات يظهر غالباً في الرقيات التي يراد بها الشر للآخرين، وقد ضمت النصوص المتعلقة به بعد العصر البابلي القديم إلى مجموعة واحدة أطلق عليها اسم (مجموعة عفاريت أوتوكّو الشريرة).

وقد تذوب عفاريت (الأوتوكّو) أحياناً في عفاريت (السبتو) الشريرة، ونادراً ما يستغاث بعفريت (الأوتوكّو) للحماية ودرء الأذى، وفي حالات نادرة جداً تستحضر روحه للاستشارة كما فعل إنكيدو (انظر جلجامش وإنكيدو والعالم السفلي).

ب ـ جديم:

عفريت سومري تسرب إلى الديانة الأكادية باسم (إطمو) ويعني روح الميت. عندما يوافي الانسان أجله، ولا يواريه أهله الثرى أولا يقدموا من أجله القرابين الضرورية تظل روحه هائمة فوق الأرض تعيث فساداً بين أهليها متخذة شكل العفريت الشرير (انظر كوبو).

وغالباً ما تستدعى روح المتوفى شأنها في ذلك شأن بقية العفاريت ليطلب منها العودة إلى مقرها في العالم السفلي.

ج ـ جالا:

عفريت سومري من عفاريت العالم السفلي تسرب إلى اللغة الأكادية بلفظ (جالّو)، وهو العفريت الذي يصطحب إنانا عند خروجها من العالم السفلي، ويرافقها في البحث عن دوموزي في بلاد سومر ليأخذه بديلاً عنها، ولا يمكن اعتبار عفريت الجالا السومري من العفاريت الشريرة لأن أحد ألقابه (إجليما) يذكر ضمن أسماء آلهة مدينة لجش.

د ـ دمّه:

عفريته سومرية تقابلها عفريته (لامشتو) في اللغة الأكادية، وهي عفريتة حمى الأطفال وأمراض الرضع، وتعرف غالباً على أنها ابنة الإله (آن)، وقد ضمت تعويذاتها أيضاً إلى مجموعة واحدة على شكل سلسلة معروفة بتعويذات (لامشتو) في العصر البابلي الآشوري القديم.

تظهر لامشتو) في المنحوتات الحجرية على شكل امرأة عارية الصدر، ترضع من ثدييها كلباً وخنزيراً، وتحمل في يديها مشطاً ومغزلاً مما يشير إلى أنوثتها.

هـ ـ لوليلاّ:

الاسم سومري ويعني رجل الريح، ومؤنثه (كيسكيل ـ ليلاّ) ويعني فتاة

الريح، ويقابلهما في اللغة الأكادية (ليلو) و(ليلتو) أو (أردت ليلي) وهما من عفاريت الليل.

وكيسكيل ليلاّ هي العفريتة التي تتخذ من شجرة (الحالبّو) مسكناً لها قبل أن يقتطعها جلجامش للإلهة (إنانا) «انظر جلجامش وإنكيدو والعالم السفلي».

وتسمي قائمة أسماء الملوك العفريت (ليلّا) أبا لجلجامش، ومن المحتمل جداً أن مقطع الكلمة السومرية (ليل) الذي يشبه كلمة (ليلو) الأكادية فسره الأكاديون بلفظه المطابق لها بمعنى الليل. ولا يخفى أن هذا الاسم عاش طويلاً في الآداب العبرية والسريانية بلفظ (ليليت).

و ـ أساج:

عفريت سومري يعني اسمه (الذي يضرب الذراع) وتحول هذا الاسم إلى (أساكّو) في اللغة الأكادية، وكان في الأصل عفريت الأوبئة والأمراض ثم أصبح عفريت ـ أعداء سومر ـ القاطن في الجبال، وكانت (إنانا) تشن حملات ضده في الجبال (إنظر إنانا وإبخ) وكذلك الإله (نينورتا).

وكان (أساكّو) يأخذ شكل (تابو) للإله والملك ويبعث الآلام في جسم كل من يتجرأ على تدنيس قدسيته من البشر.

ز ـ بزوزو:

عفريت له أربع أجنحة ووجه ممزق وقرون طويلة ومخالب أسد وطائر جارح وشوكة عقرب، لم يعرف بعد مجال عمله.

ح ـ سمانه:

ذكر اسم هذا العفريت في التعويذات السومرية.

٢ ـ العفاريت الصالحة:

آ ـ ألاد:

عفريت سومري مذكر يقابله في الديانة الأكادية (شدو)، وهو شخصية حيادية يغلب عليها طابع الخير ثم أصبحت حامية للإنسان في العصر الذي تلى العصر البابلي القديم.

ب ـ لاما:

عفريتة ورد ذكرها في قوائم أسماء الآلهة المكتشفة في مدينة (فارا) يقابلها في الديانة الأكادية (لاماسو)، وهي عفريتة طيبة تعمل لصالح الانسان وتؤمن حمايته من

الأذى والعدوان .

جـ شدو ولا ماسو:

كان هذان العفريتان يصوران على شكل (الانسان الثور المجنح) في المنحوتات الآشورية الحديثة وينصبان أمام مداخل القصور لحمايتها وحراستها من الأرواح الشريرة .

د ـ أوتوكّو:

يظهر هذا العفريت أحياناً عفريتاً صالحاً في خدمة الانسان .

عمو:

انظر الآلهة الكنعانية .

ق

قائمة أسماء الملوك :

وهي عمل سومري محض يتضمن أسماء الملوك منذ الزمن الأول عندما نزلت الملكية من السماء إلى الأرض حتى نهاية عصر السلالة الحاكمة في (إيسن) حوالي ١٧٣٠ ق . م ، وتذكر القائمة أسماء خمس مدن حكمت فيها سلالات ملكية قبل الطوفان وهي :

إريدو ـ بدتيبرا ـ لارك ـ زيبار ـ شوروباك .

والجدير بالذكر أن (إريدو) مدينة الإله (إنكي) تأتي على رأس المدن الخمس ، وتعتبر مهد الحضارة الانسانية (انظر إنانا وإنكي) .

وبعد الطوفان نزلت الملكية ثانية من السماء الى مدينة (كيش ؛ ، وكان من حكام سلالتها الملك الأسطوري (إتانا) ، كما تذكر القائمة أسماء بعض الملوك الذين أُلهوا بعد موتهم مثل (لوكال بندا) و(جلجامش) اللذين حكما في (أوروك) ، واسم آخر ملك حكم قبل الطوفان ، وهو (أوبرتوتو) والد بطل الطوفان (أوتنابشتي) .

كما يرد في القائمة ذكر (دوموزي) مرتين ، في المرة الأولى حاكم مدينة (بدتيبيرا) ، وفي المرة الثانية حاكم مدينة (أوروك) .

وكانت مدة الحكم المدونة للملوك الأوائل قبل الطوفان خيالية تتراوح بين ١٨٦٠٠ و٣٦٠٠٠ سنة ، وقد ذكر أن الملك (لوكال بندا) حكم ١٢٠٠ سنة و(جلجامش) ١٢٦ سنة .

«نلاحظ أن فترات الحكم تقرب من الواقع كلما اقتربنا من العصور التاريخية وتكون خيالية اسطورية كلما ابتعدنا عنها (المعرب)» .

قارب السماء :

هو القارب الذي تنتقل فيه (انانا) خلال رحلاتها ، وتصعد اليه أثناء مواكب الاحتفالات السنوية ، والقارب الذي تشحن فيه البضائع السماوية للإله (نانا / سن)

إله القمر، ويظهر على صفحة السماء على شكل هلال في طول البلاد وعرضها.

قوائم الآلهة:

إن أقدم قوائم الآلهة المعروفة هي القوائم المكتشفة في مدينة فارا (مدينة شوروباك القديمة)، ويعود تأريخها الى ٢٦٠٠ ق.م تقريبا؛ وتبدأ بتعداد كبار الآلهة (آن - إنليل - إنكي - نانا - أوتو)، إلا أنها لاتذكر إله الطقس والإلهة الأم، ثم أضيف أسماهما فيما بعد، كما تذكر هذه القوائم اسماء الملوك المتألهين مثل (لوكال بندا) و(جلجامش).

وقد عثر على قائمة في (نفر) من العصر البابلي القديم تذكر الآلهة: آن - إنليل - الإلهة الأم - نانا - إنكي - إشكور - أوتو - نينورتا - إنانا.

وهناك قائمة أخرى مجهولة المصدر من عصر أحدث قليلاً تعدد الآلهة الأصول مع زوجاتهم وهم خمسة عشر زوجا (انظر أجيال الآلهة) بالاضافة الى الآلهة التالية أسماؤ هم:

آن - إنليل - إنكي - نينخور سانجا - إله القمر(سوإين) - إله الشمس (أوتو) - إله الطقس (إشكور) - إنانا، وآلهة أخرى مع الأولاد والحاشية والسفراء، وقد صنفت هذه الآلهة كل حسب مجال عمله.

كما عثر على قائمة بأسماء الآلهة من العصر الكشي تتألف من عامودين. يذكر اسم الإله في العامود الأول، وصنوه في اللغة الأكادية في العامود الثاني مع بعض الشروح، وقد جاء وصف الآلهة فيها مفصلا مع أسماء أفراد العائلة والحاشية والألقاب وأسماء الآلهة الأجنبية مع مايقابلها في بلاد الرافدين.

قوى الآلهة:

انظر مِهْ.

ك

كائنات خرافية مطعمة :

يرد في الأساطير أسماء كائنات خرافية مطعمة بأعضاء من أجسام حيوانات مختلفة، كما نرى هذه الكائنات مصورة على المنحوتات الحجرية والنقوش والرسوم، وهي تتألف من أعضاء بشرية وحيوانية أومن أعضاء حيوانات متباينة، وأهم النماذج التي نعرفها هي :

أ ـ الإنسان العقرب :

ويسمى في اللغة السومرية (جير تبلولو)، وانتقل المصطلح كما هو الى اللغة الأكادية، والمقصود به كائن نصفه العلوي مؤلف من جسم بشري ونصفه السفلي من جسم عقرب مع الذيل الذي يحمل إبرة اللدغ.

ويحرس (الإنسان العقرب) سواء كان امرأة أورجلاً بوابة جبل (ماشو) الأسطوري التي يدخل منها إله الشمس صباحاً ويغادرها مساء (انظر ملحمة جلجامش اللوح التاسع).

وكان الإنسان العقرب من جملة الكائنات العملاقة التي خلقتها (تيامات) لتجهيزها في حملة هجومية ضد الآلهة (انظر تكوين الفقرة الرابعة).

وقد عثر على أقدم تصوير للإنسان العقرب داخل القبور الملكية في أور، كما كان مصوراً على منحوتات أحجار الحدود من العصر البابلي الوسيط وهو يشد قوساً بنبلة.

ب ـ الانسان السمكة :

ويسمى في اللغة السومرية والأكادية (كولولو)، وهوكائن مؤلف نصفه العلوي من جسم إنسان ونصفه السفلي من جسم سمكة، وذيل على شكل حراشف السمكة، وهو من الكائنات المائية التي تخضع لحكم الإله (إنكي / إيا).

وكان كهنة الإله (إريا) في العصر الآشوري الحديث يرتدون معاطف على

شكل جلد السمك مما يجعلهم يبدون وكأنهم سمك.

ج ـ التيس السمكة:

ويسمى في اللغة السومرية (سوخور ـ مش) وهو كائن في قسمه العلوي وقائمتاه الأماميتان على شكل جسم تيس، وأما قسمه السفلي مع الذيل فهو على شكل جسم سمكة، وهو مثل الإنسان السمكة من الكائنات المائية التي تخضع لحكم الإله (إنكي / إيا)، ويحمل (إنكي) نفسه لقب (تيس جبال الأبزو).

وكان يصور على مشاهد الأختام الاسطوانية من العصر البابلي القديم وعلى أحجار الحدود من العصر البابلي الوسيط، وهو هنا رمز للإله (نابو).

د ـ موشخوشو:

أصل التسمية سومري (موش ـ خوش) وتعني التنين الأحمر الناري، وهو كائن له رأس أفعى بقرنين وجسم مغطى بحراشف أفعى وقائمتان أماميتان على شكل مخالب أسد وقائمتان خلفيتان على شكل مخالب نسر، وذيل عقرب، وهو من الكائنات التي أوجدتها (تيامات) ضمن المخلوقات العملاقة لتجهز بها حملتها ضد الآلهة، وهو شعار الإله (مردوخ)، وقد اتخذه شعارا بعد أن استطاع ان يقهره ويتغلب عليه.

هـ ـ الإنسان الثور:

وهو عبارة عن رجل عارله أظلاف وذيل ثور، كان يصور كثيراً على مشاهد الاختام الاسطوانية منذ عصر فجر السلالات السومرية وكذلك على المنحوتات الكبيرة، إلا أن العلماء لم يتمكنوا بعد من تحديد هويته الشخصية في التدوينات الكتابية والمصادر الأدبية.

و ـ الانسان الكلب المجنح:

هو شعار الإلهة (جولا) انظر آلهة الطب الفقرة الثانية ب.

ز ـ الانسان الطير:

لم تذكر النصوص الكتابية المدونة شيئاً عن هذا الكائن المركب، وان كان يطالعنا كثيرا في فنون النحت الكثيرة منذ أقدم العصور حتى العصر الأكادي.

ح ـ الانسان القارب:

وهو كائن مركب من قارب وجسم بشري، ويبدوان وكأنهما جسم واحد، وهذا الكائن المزيج معروف فقط على مشاهد الأختام الاسطوانية في عصر فجر السلالات السومرية والعصر الأكادي، وقد يستبدل أحياناً الجسم البشري بجسم التنين.

ل

لاحار وأشنان:

إلهتـان سومـريتـان، وقـد يعني اسم الأولى نعجـة (واللفـظ لاحار غير مؤكد) وتجسد قطعان الماشية، أما الثانية (أشنان) فهي إلهة الحبوب.

تتحـدث الأسطـورة عن مشادة كلامية تقع بين الأثنتين تفاخر كل منهما بما لديها من صفات وميزات تفوق صنوها، وتبدأ الأسطورة بالكلمات التالية:

«عندما خلق آن في مقره الكائن فوق جبل السماء والأرض (انظر دوكو) آلهة الأنونّا.....».

ومن سيـاق الـرواية الأسطورية نعرف أن الإلهتين كانتا تعيشان منذ البدء (بعد خلقهـما) مع الآلهـة في (دوكـو) شرق، جبال بلاد بابل الحدودية، وتمدان الآلهة بأسباب العيش (المنتجـات الحيـوانية والزراعية)، إلا أن المنتوجات ما كانت لتكفي سد غائلة جوع الآلهـة، فأمـر الإلـه (إنليل) باحضارهما الى بابل، عندها قام البشر الذين كانوا يعيشون حياة حيوانية محدودة بتزويد الآلهة بفائض المنتوجات الزراعية والحيوانية الذي عم البلاد بفضل بركات هاتين الإلهتين.

لبّو:

أسطـورة أكـاديـة غير مكتملة كانت معـروفـة في العصـر الآشوري الحديث، وملخصهـا أن وحشـا اسمـه (لبّـو) كان يعيث فسادا في الأرض، فرسم الإله (إنليل) صورتـه للآلهـة المـذعـورة على صفحة السماء (هل المقصود درب المجرة، التبانة؟)، فتتـوجـه الآلهـة المذعورة بالرجاء الى إله القمر (سن) لينقذها منه، فيكلف إله القمر الإله (تيشباك) بقتل وحش اللبو (النص هنا مشوه) ويفهم من السطور المتبقية أن إلهاً مجهولاً يستدعي سحباً تغطي عنان السماء ويترك خطمه يسقط فوق وحش اللبو فيهشمه.

لحاما ولحمو:

مجموعة من عفاريت المياه في الديانة السومرية خاضعة للإله (إنكي)، يرد في النشيد التعليمي (إنكي ونظام الكون) أن عددها خمسون عفريتا وعندما تتمكن (إنانا) في غفوة من الإله إنكي سرقة ألواح القدر والابتعاد بها نحو مدينتها (أوروك) يرسل (إنكي) خمسة من عفاريت اللحاما ليقتفوا أثرها، ويعودوا بالألواح المسروقة (انظر إنانا وإنكي).

وفي ملحمة التكوين الأكادي يرد ذكر لحمو ولحاما على أنهما أبناء مياه المحيطات العذبة (أبزو) و(تيامات) ووالدا الإلهين (أنشار) و(كيشار) (انظر أجيال الآلهة).

لوكال بندا:

ملك سومري في (أوروك) أُله بعد موته، وتذكره قائمة أسماء الملوك على أنه ابن (إنمركار) والسلف الثاني لجلجامش، ويرد في قصائد جلجامش أن الإلهة (نينسون) أمه وأن (لوكال بندا) أبوه، كما تذكره قوائم أسماء الآلهة المكتشفة في مدينة (فارا)، على أنه وجلجامش من آلهة العالم السفلي.

وهناك أسطورة سومرية غير مكتملة عثر على أجزاء منها في الترجمات الأكادية تتحدث عن الطائر الخرافي (إمدوكود) و(لوكال بندا)، حيث يتوجه الطائر الخرافي إليه شاكياً اختطاف صغاره من عشهم، كما يرد في هذا السياق ذكر أبيه (انمركار).

ويوجد أسطورة أخرى بعنوان (لوكال بندا وبلاد حوروم الجبلية)، وهي ناقصة وغير مفهومة، ومهما يكن من أمر فإن الدراسات حول هذا الموضوع لم تنشر بعد.

لوكال جيرّا:

يذكر اسم هذا الإله غالبا مع شقيقه التوأم (مسلتثيا) على أنهما إلهين من آلهة القتال في العالم السفلي.

م

مارتو:

هو الاسم السومري لإله البدو القاطن في الصحراء، ويقابله في اللغة الأكادية (عمورو)، وأول ذكر لهذا الإله كان في الأسماء المركبة من عصر أور الثالث، وكان يعتبر واحدا من أبناء الإله (آن)، وله زوجات عدة نعرف منهن (بلت صري) سيدة البادية، وأشراتو (ربما كان يلفظ اسمها في سوريا أثيرات).

صفاته:

يتمتع مارتو بصفات إله الطقس الذي يعصف في المدن والأرياف مسبباً الخراب والدمار، وقد اعتاد السومريون على تشبيه هجوم البدو الساحق على أرض الحضارة في بلاد بابل بالصاعقة، وهناك أسطورة سومرية تتحدث عن تعلق الإله العازب (مارتو) بإحدى بنات إله مدينة (كازالّو) الواقعة في أواسط بلاد بابل، وتدعى (نوموشدا)، وتقبل الفتاة الزواج منه رغم التحذيرات العديدة، فهورجل بدوي فظ ذو عادات خشنة، ويلتهم اللحم نيئا، ولا يقطن طيلة عمره في بيت ثابت.

مغزى الاسطورة:

يعتقد أن القصد من الأسطورة في الأصل إيجاد مكان للإله (مارتو) داخل مجمع الآلهة، البابلية، وفي نفس الوقت تعكس الأسطورة محاولة البدو إيجاد موطىء قدم لهم داخل المدن، وتخلصهم من حياة البادية على أطراف مدن الحضارة البابلية.

ماميتو:

إلهة أكادية من آلهات العالم السفلي وإحدى زوجات الإله (نرجال)، وتجسد في الأصل القسم، واسمها نفسه يشير الى هذا المعنى، وعندما يحلف المتهم قسما كاذبا يرتد أثره عليه كما جاء في نص فأل مكتوب على كبد فخاري من العصر البابلي القديم.

وتقوم (ماميتو) بعمل القاضية في العالم السفلي، وتقرر مصير البشر المحتوم بالموت مع آلهة (الأنون) «انظر ملحمة جلجامش اللوح العاشر»، وقد ورد في إحدى الصلوات أن الإله (آن) خلق ماميتو مع ابنته لامشتو في وقت واحد (انظر لامشتو في عفاريت).

وتتشابه أسماء زوجتي الإله (نرجال / إرّا) وهما مامي ومامه مع ماميتو، وقد يكون اسماهما مختصر اسمها، ولا علاقة لهما مع الإلهة الأم (ماما).

وتظهر ماميتو في رؤى العالم السفلي برأس عنزة.

مردوخ:

كان اسمه في الأصل السومري (أمار ـ أوتوك)، ويعني عجل إله الشمس الفتي ثم شاع اسمه المعروف (مردوخ)، ويفسر اسمه (مار ـ دوكو) من قبل علماء اللغات على أنه ابن الإله (دوكو) وأقدم ذكر له ورد في نص تدشين وحيد من عصر الملك ميزيليم حوالي ٢٦٠٠ ق.م، وعرف كإله لمدينة بابل في عصر أور الثالث.

ولانعرف في أي زمن تمت مساواته مع الإله (أساللوحي) ابن ومساعد الإله (إنكي) في شؤون التعويذات، كما لاتوجد معلومات قديمة عن مجال عمله في الأصل، ويستخلص من اسمه أنه كان قريبا من إله الشمس.

وتذكر مقدمة حمورابي مردوخ على أنه ابن الإله (إنكى)، وهى أقدم وثيقة أدبية معروفة تتحدث عنه، وتقول أن الإله (آن) والإله (إنليل) حملاه الإنليلية (نسبة الى إنليل) ليحكم بواسطتها البشر (انظر أجيال الآلهة).

وقرينته التي تشاطره السكن في معبد (إزانجيلا) الرئيس في بابل هي (نانايا) التي تساوي أحياناً الإلهة (صربنيتو). وابنه هو الإله (نابو) إله مدينة (بورسيبا) المجاورة لمدينة بابل، ويعتقد أنه أصبح ابنه بعد العصر البابلي القديم.

يعود السبب في صعود الإله (مردوخ) الى قمة الهرم الإلهي في مجمع الآلهة البابلية الى أسباب سياسية محضة، فبعد أن كان إلهاً هامشياً يكاد لايذكر أصبح الإله القومي للشعب البابلي الذي استطاع ان يمد أطراف الدولة البابلية في عهد حمورابي منذ نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن السابع عشر إلى اقاصي حدود عالم الشرق القديم، وأصبحت بابل عاصمة الدولة الفتية، ومركز إشعاعها الحضاري، ونجد

التبرير اللاهوتي المقنع في القصيدة التعليمية (إنوما اليش) (انظر تكوين الفقرة الرابعة) حيث تصور القصيدة أمجاد مردوخ وانتصاره على (تيامات) التي كانت تهدد أجيال الآلهة الشابة بالفناء، وتذكر القصيدة أسماءه الحسنى الخمسين.

ومنذ القرن الرابع عشر ق. م استطاع مردوخ أن ينشر مراكز عبادته داخل الدولة الآشورية الى جانب منافسه الخطير (آشور) إلا أنه لم يستطع أن يستميل عواطف العابدين له كما استطاع ابنه (نابو).

وبما أن الإله مردوخ استطاع ان يتحول من إله محلي صغير الى إله قومي ذائع الصيت فقد انتزع صفات معظم الآلهة الكبيرة شأنه في ذلك شأن (آشور) في الدولة الآشورية، ولهذا يصعب علينا أن نحصر مجال عمله في نشاطات محددة، فمن ألقابه المذكورة في المدائح الإلهية نستخلص أنه سطى على مجال عمل أبيه (إيا) والإله (أسا للوحي) في الحكمة والتعويذات ومهنة الطب والشفاء بالاضافة الى السقاية وانبات الأرض.

وكونه إله القضاء ومانح النور فهو قريب جدا من إله الشمس، ويوصف أحياناً بأنه أخوه، ومن جملة ألقابه (سيد الآلهة) و(أبو الآلهة) مما يجعله إلها رئيساً فوق كل الآلهة.

أساطيره:

عندما اعتلى مردوخ عرش الآلهة وأصبح كبيرها كانت الأساطير قد استكملت تقريباً، ولم يعد هناك مجال لنشوء أساطير أخرى، ولهذا يندر أن يطالعنا مردوخ في نصوص أساطير ذلك العصر. فبغض النظر عن قصيدة التكوين يلعب مردوخ دوراً غير مشرف في اسطورة (إرّا) حيث يتخلى عن حكم العالم لإله الطاعون (إرّا) عندما يتجه الى العالم السفلي لينظف شعارات الألوهية التي دنسها إله النار.

ويعتقد أن النص المدون في عصر سنحاريب (٧٠٤ ـ ٦٨١ ق. م)، والذي هو عبارة عن قصيدة شعرية سياسية لايمت الى الأسطورة بصلة، والقصيدة ذات غرض دعائي موجه ضد البابليين، إذ يتحدث مضمونها عن اخضاع الإله (مردوخ) لحكم مياه النهر (عادة بابلية قديمة تقضي بأن يقذف المتهم الى النهر، فإن ابتلعته مياهه كان مذنباً وان أعادته سالما كان بريئاً «المعرب»). وقد فسر الباحثون في السابق مضمون القصيدة على أنه دليل موت وبعث الإله مردوخ.

مردوخ في الفن :

يصور مردوخ غالبا على المنحوتات مع الكائن الخرافي (موشخوشو) الذي يرمز إليه، والذي اتخذه شعاراً له بعد أن تغلب عليه في احدى المعارك.

وقد يصور الشعار بمفرده على أحجار الحدود مع شعارات آلهة أخرى في العصرين البابلي الوسيط والحديث حاملاً فوق ظهره هيكل معبد مصغر.

مسلمتئيا :

يعني هذا الاسم في اللغة السومرية (الذي يبرز من معبد مسلم)، وهو لقب لإحدى ظواهر إله العالم السفلي (نرجال) ويقع معبده الرئيس (مسلم) في مدينة (كوثا). وقد ورد اسم (لوكال ـ مسلم) الذي يعني (ملك مسلم) في قائمتين من قوائم أسماء الآلهة المكتشفة في مدينة (فارا)؛ ومسلمتئيا هو الشقيق التوأم للإله (لوكال ـ جيرّا) وكلاهما إله حرب وقتال.

المعول :

قصيدة سومرية تعليمية تتحدث عن خلق أداة الحفر (المعول) الذي لاغنى عنه في أعمال البناء وحفر الأرض، وعن حسناته وبركاته، وتبدأ القصيدة بمقدمة فكرية عن نشوء الكون.

عندما فصل (إنليل) السماء عن الأرض، قام بخلق المعول، فوجده حسنا، فحفر به الأرض، فصعدت اليه البشر من الثقب الذي أحدثه فيها، فباركته الآلهة، وقدمت له شعائر الطاعة والولاء، ثم قامت بتسليم المعول الى البشر ليقوموا بالأعمال عنها، وعندما ولدت الإلهة الأم (نينمنا) المُلْك (اشارة الى تأسيس الملكية بأمر إلهي) سلّم (إنليل) البشر الى الآلهة ليقوموا على خدمتها.

مِــهْ :

كلمة سومرية غير واضحة المعنى في الأصل، وربما تعني الوجود، وهي من أصعب المصطلحات اللاهوتية المحيرة في الديانة السومرية، وقد اتفق بعض العلماء على اصطلاح قريب من معناها وهو (القوى الإلهية) وتشمل في هذا المعنى كل مؤسسات الوجود ونظام الكون الدنيوي والسماوي الذي تسيره قوى الآلهة خيراً أو شراً.

ومهْ حسب تعريف الاستاذجاكبسون هي :

جملة الوظائف المرتبطة بالطقوس او العادات والأعراف. وفي رأي فان ديك : هي الوجود الإلهي في الهيولى الميتة أو الحية بشكل أزلي، وهي غير مشخصة بجسد، ولكن بواسطتها تتحكم الآلهة بأمور العالم.

ولـ (مِـهْ) في العالم السفلي قوانينها الخاصة الثابتة التي لاتسمح بأي تبديل أو تغيير في مضمونها لصالح أي شيء يقع ضمن اطار نفوذها. وهي قريبة من هذا المعنى نسبيا من كلمة (برصو) الأكادية، فكلاهما يؤديان نفس المهمة في رؤية (رحلة إنانا الى العالم السفلي).

وللمدن والمعابد قوانين (مِهْ) الخيرة والصالحة، ولكن قد تتحول الى قدر عاثر نكد معاد، فيما لو أصابت كارثة ما احدى المدن كما يتضح ذلك من مرثية دمار مدينة أور.

وقد تندب إلهةٌ ما حظها لفقدانها (مِهْ) كما جاء على لسان (نينجال) إحدى آلهات المدن.

وانطلاقا من هذا المعنى السلبي لكلمة (مِهْ) فبمدورنا الآن أن نفهم معنى بعض الكلمات مثل (عدائي) و(كاذب) و(بلد العدو) التي تندرج ضمن اطار مفهوم (مِهْ) الواسع.

وأسطورة (إنانا وإنكي) هي من الأهمية بمكان حيث أن مضمونها يعطينا فكرة ما عن طبيعة (مِهْ)، فعندما يمنح (إنكي) إنانا ألواح (مِهْ)، وهو في حالة غياب عن الوعي بسبب سكره الشديد، تحمل إنانا (مِهْ) على سفينتها، وتنطلق بها نحو مدينتها (أوروك)، ومن هذا السياق نفهم أن (مِـهْ) شيء مادي يمكن نقله من مكان إلى آخر، ويفوق عدد (مـهْ) المئة (يبدو أن القائمة التي تحوي مِهْ لم تكتمل بعد)، كما أن تدوينها على الألواح كان يعتمد تقاليد وعادات متعارف عليها منذ القديم، وتضم (مِهْ) وظائف الكهنة والملوك مع شعائرهم بالاضافة الى مصطلحات أخلاقية ونقائضها مثل (العدل والظلم)، ومصطلحات من الحياة الجنسية والفنية والمهنية والأسطورية، ومن المصطلحات الأسطورية النزول الى العالم السفلي أو الصعود منه، وأداة العمل الممتازة (المعول) وغير ذلك كثير.

والقائمة التي تضم مهام ووظائف (مِهْ) وحيدة لا سابق ولا لاحق لها ولا يوجد نسخ منها، ولذا يصعب علينا اعتمادها كمصدر وحيد من مصادر معارفنا عن اللاهوت

السومري، كما يجب علينا ألا نفهم مضمونها اللاهوتي خطأ، ونذهب بعيدا في تفسيراتنا.

والمهم في الأمر أن ندرك أن قائمة (مِهْ) شأنها شأن القواميس والقوائم التي تدون مفردات لغوية، وكل كلمة تستدعي أخرى بطريقة تداعي الأفكار دون أن يكون هناك ترابط عضوي في النص يشكل وحدة منسجمة في الأفكار وفي الأسلوب.

موشخوشو:

انظر كائنات مركبة الفقرة د.

مومو:

١ ـ وزير الإله الموغل في القدم (أبزو) ويعني اسمه (نظام الكون العاقل).

٢ ـ وهو من ألقاب الإله (إيا ـ إنكي) بمعنى الإله الخالق (المعنى غير واضح تماماً في الأصل)، وقد انتزع الإله (إيا) منه بريقه ولمعانه عندما تغلب عليه وصرعه فانتقلت بذلك صفاته إليه أيضا.

ومومو صفة من صفات الإله مردوخ عندما يقوم بعمليه الخلق.

ن

نابو:

إلـه أكـادي ظهـر في وثـائق عصر أور الثالث والعصر البابلي القديم على شكل (نبيوم) ثم تحول الى نابو في عصر أحدث وعرف في التوراة وفي اللغة اليونانية باسم (نبو).

ونابو هو ابن الإله (مردوخ) والإلهة (صربنيتو)، وكان يشارك زوجته (تشمتو) في معبـد واحـد في مدينـة (بـورسيبـا)، المـدينـة المجاورة لمدينة بابل، وفي مقدمة شريعة حمورابي يتضرع حمورابي إلى إله (بورسيبا) باسم (توتو)، ولا ندري بالضبط فيما إذا كان (توتو) لقبا من ألقاب (مردوخ) أو (نابو)، ومهما يكن من أمر فإن علاقة الأبوة بين مردوخ والابن (نـابـو) هي علاقـة ثانـويـة نشأت بحكم جوار المـدينتـين وقـربهـما من بعضهـما، وعندما انتشرت عبادة (نابو) في أرجاء الدولة الآشورية منذ القرن الخامس عشر ق. م شيدت معابد له في كل من (نينوى) و(كلخو).

ومن صفـات نابـو أنـه كان إله الكتابة وحامي حمى الأدباء والمدافع عنهم وبهذا يكـون قد اكتسب صفـة الحكمـة التي كانت تتمتع بها الإلهة (نيسابا)، وعندما ارتقى من إله محلي صغير إلى إله كوني بقيت عبادته منتشرة حتى العصر السلوقي، وانتشرت عبادته في تدمر ايضا.

وبصفته كاتباً، فقد كان يحتفظ بألواح القدر، وهذا يعني أنه كان يتحكم كإله رئيس بمقـدرات الكـون فانتزع بذلك أسماء مردوخ الحسنى في المدائح الإلهية، وكان يوصف في أحـد أنـاشيـد العصـر الآشـوري الحـديث بمفجر الينابيع ومانح الخصب والنمـو للمـزروعـات، وهـذه صفـات من صفـات الإلـه (إنكي) إلـه الحكمة والمياه العـذبـة، وربـما كان نابو يجسد اتجاها جديا في تكوين ديانة توحيدية منذ القرن الثامن ق. م حيث تذكر كتابة مدونة على أحد التماثيل في نهايتها مايلي:

«أثق بنابو ولا أثق بغيره من الآلهة».

وبلغت قدسية نابو أقصى مداها لدى الملوك الكلدانيين في العصر البابلي الحديث إلا أن المحاولة في تنصيبه إلهاً فوق كل الآلهة لم تنجح كلّيا.

ولذا لا نرى له اسما يذكر في الأساطير يعكس التطور الديني الذي شهدته بلاد الرافدين خلال المسيرة الحضارية، بغض النظر عن بعض مقدمات التعاويذ الأسطورية الآشورية التي تجعل منه ابنا للإله (إيا) عوضا عن (أساللوحي) و(مردوخ).

رمزه:

يرمز الى الإله نابو بالقلم وهو نفس رمز الإلهة (نيسابا)، ويصور غالبا على المنحوتات الحجرية فوق هيكل أحد المعابد المحمول على ظهر الكائن الخرافي المركب (موشخوشو) أو على ظهر سمكة برأس عنزة.

نانشة:

إلهة سومرية محلية في مدينة (لجش) وهي ابنة الإله (إنكي) وأخت (نينجرسو) و(نيسابا)؛ وكزوجة (أورشنابي) كانت تقوم بطقوس رؤية الطالع وتفسير الأحلام، وتظهر في أحد الأناشيد السومرية رسولة الإرادة الإلهية والنظام الأخلاقي، وكان يستعان بها مع (نمو) أم (إنكي) ضد العفاريت (عفاريت أوتوكو الشريرة)، ومكان عبادتها الرئيس هو منطقة مدينة (لجش).

نانايا:

إلهة ورد ذكرها في وثائق عصر أور الثالث، وهي قريبة جداً من صفات الإلهة (عشتار) إذ أن لها نفس وظائفها المتعلقة بالحياة الجنسية والمعارك والحروب، ولم يعرف بعد فيما إذا كانت في الأصل إلهة أكادية أم أنها تسربت الى الديانة الأكادية من ديانات شعوب أخرى، وعلى كل حال تمجد في إحدى القصائد مثل (إنانا) فأبوها (آن) رفع رأسها بين كل الآلهة، وليس من المستبعد ان تكون (نانايا) ظاهرة أخرى من ظواهر الإلهة (إنانا / عشتار) حيث يرد اسمها مع (إنانا / عشتار) في نصوص العصر البابلي القديم وفي نصوص أحدث، ومهما يكن من أمر لاتتوفر لدينا خاصة عنها، وتظهر في نصوص الألف الأول ق. م مساوية لـ (تشمتو) زوجة الإله (نابو).

وانتشرت عبادتها في العصر الهليني خارج حدود الرافدين في سوريا وايران

(العصر الساساني). ويذكر سترابو مدينة (بورسيبا) في كتاباته على أنها مدينة أرتميس وأبولو المعادلين لـ (نانايا / تشمتو) و(نابو).

نرجال:

إلـه سومـري تسـرب الى الديانة الأكادية بنفس الاسم، وهو إله من آلهة العالم السفـلي وزوج الإلهـة (إريشكيجـال) ولـه ظواهر وأسماء عديدة: (مسلمتئيا) و(لوكال جيرا) و(لوكال جودوا) و(لوكال أبياك) وملك كوتا وبالاحرى أبياك وهما مدينتا عبادته الرئيستان.

وفي الـروايـات السـومـرية يُذكر كإله للطب والعالم السفلي الى جانب (نينازو) وابن الإله (إنليل) والإلهة (نينليل) وفي الرواية الأكادية ابن الإلهة (بلت إيلي).

ومن زوجـاتـه غير (إريشكيجـال) الإلهـة الأكـاديـة (لا ـ أصـو) ويعني اسمها (لامفر) وربـما تشـير هذه التسمية الى وظيفتها في العالم السفلي، وماميتو التي تظهر في روايات أخرى زوجة الإله (إرّا) واحيانا نينشوبور في بعض الروايات السومرية. وتشير الأسطورة الأكادية (نرجال واريشكيجال) الى وظيفته في الأصل كإله في العالم السفلي إلا أنها ليست وظيفته الوحيدة، فهو يجسد وظائف في الأصل كإله في العالم السفلي إلا أنهـا ليست وظيفتـه الـوحيـدة، فهو يجسد وظائف إله علوي أيضا، وتنسب إليه قسوة حرارة الشمس المحـرقـة التي لم تكن يومـاً من اختصـاص الـه الشمس الرؤوف، وهو الـذي يسبب حرائق المحـاصيـل الـزراعيـة والحمى والأوبئـة التي تصيب البشر والحيوانات. ويشبه في صفاته هذه إله الطاعون (إرّا) وإله الحروب والقتال نينورتا).

يظهر نرجال في مشهد أحد الأختام الاسطوانية من العصر البابلي القديم حاملاً منجلاً وصولجاناً لهما رأس أسد يطأ بقدميه جثة أحد الأعداء فوق جبل.

نرجال واريشكيجال:

أسطـورة أكـاديـة ناقصـة. عثـر على نسخ منها في نصوص تل العمارنة (القرن الرابع عشر ق.م)، ونص من العصر الآشوري الحديث في موقع (سلطان تبه)

مضمون الأسطورة:

عندما كانت الآلهة تتهيأ لإقامة وليمة طعام ترسل سفيرها (جاجا) الى أختهم (إريشكيجـال) في العـالم السفلي لترسل رسولاً يحضر لها حصتها من الوليمة، فترسل

سفيرها (نمتار)، ويبدو أن نرجال لايستقبل السفير استقبالا لائقا مما يسبب الاهانة لها، فتأمر (نمتار) في البحث عنه، وتخصص مكافأة لمن يعثر عليه، ولكن لا أحد يشي بمخبئه، ويظهر من سياق النص أن إريشكيجال تشتهي (نرجال) زوجاً لها فقد سئمت من معاشرة زوجها (إرّا)، وعندما تفشل المساعي في إحضار (نرجال) تهدد ببعث الموتى الى الأرض، عندها يخرج (نرجال) من مخبئه وينزل الى العالم السفلي مزوداً بنصائح الإله الحكيم (إيا / إنكي) ويتغلب عليها ثم يتزوجها ويصبح إلها من آلهة العالم السفلي.

بما أن روايات الأسطورة القديمة منها والحديثة ناقصة فلا يمكننا مقارنتها ببعض لمعرفة التعديلات التي لحقت بها، كما أن النص الآشوري لم يدرس بعد.

نمتار:

اسم سومري يعني (الشيء الذي يقتطع) ويعني أيضا (القدر ـ النصيب)، وصاحب هذا الاسم هو الإله الذي يجسد قدر الانسان ونصيبه في الحياة، ويقوم بدور سفير إله الموت (إريشكيجال) «انظر نزول إنانا الى العالم السفلي وفق الرواية الأكادية» وهو وفق نصوص تعاويذ عفاريت أوتوكو الشريرة ابن الإله (إنليل) والإلهة (إريشكيجال) وزوجته هي (خوش بيشا) في الرواية السومرية و(نمتارتو) في الرواية الأكادية (مؤنث نمتار).

ونمتار في كلا التصورين السومري والأكادي إله غير محبوب يجثم فوق رقاب البشر منتظرا إشارة إلهة الموت لانتزاع أرواحهم وإخماد أنفاسهم، ويظهر في أسطورة رؤيه العالم السفلي عفريتا مستلا سيفه بيد وقابضا شعر رأس أحد ضحاياه باليد الأخرى.

نمّو:

إلهة سومرية من آلهات الأمومة الأصول التي ولدت السماء والأرض وكل الآلهة، وربما تجسد في شخصها المياه الجوفية العذبة (أبزو)، والاشارة المسمارية التي تسبق اسمها هي نفسها التي تسبق اسم (إنجور) الذي قد يكون اسما مستعارا لـ (أبزو)، وتظهر في محيط آلهة مدينة (اريدو) أما للإلهة (إنكي)، وفي أسطورة (إنكي وننماخ) خالقة البشر يساعدها عدد كبير من الآلهات الى جانب الإلهة الأم (ننماخ)، ولكنها

لاتقوم بدور بارز في النصوص الأكادية.

نهر العالم السفلي:

هو النهر الذي يفصل عالم الأحياء عن عالم الأموات حسب التصور السومري، ويكتب في اللغة السومرية بالمقاطع التالية: (إي ـ لو ـ رو ـ جو) ويعني (النهر الذي يسير عكس اتجاه الانسان)، وهو اسم النهر الذي يقرر براءة أو إدانة المتهمين (من يخرج منه حياً بعد أن يلقى فيه مكبلا تثبت براءته) «المعرب» واسمه في الروايات الأكادية (خوبور).

وفي ملحمة جلجامش الرواية الأكادية اللوح العاشر يقوم (أورشنابي) ربان قارب العالم السفلي بقطع هذا النهر من ضفة إلى أخرى، ويقوم بهذا الدور العفريت (حوموط ـ تبل) في اسطورة رؤية العالم السفلي.

وقد عثر على عدد كبير من نماذج قوارب طينية في المقابر الملكية في مدينة (أور) كان الغرض منها مرافقة الأموات الى العالم السفلي لتسهل لهم عملية عبور النهر، كما كانت تستخدم هذه النماذج الطينية لأغراض الشعوذة في العصر الأكادي لإعادة العفاريت الى مقرها في العالم السفلي.

نوسكو:

إله سومري تسرب إلى الديانة الأكادية بنفس الاسم، وهو معروف على أنه ابن ووزير الإله (إنليل)، ويظهر في النصوص الأكادية إلها للضوء والنار، وكان يستدعى في التعاويذ التي نشأت بعد العصر البابلي القديم لحرق السحرة والمشعوذين (سلسلة تعاويذ مقلو).

وارتفعت مرتبته الإلهية في مدينة (حران) في العصر الآشوري الحديث، وأصبح معروفاً بابن إله المدينة الرئيس (سن) إله القمر، وصار يمجد في الصلوات كإله كبير بعد أن كان غير ذي شأن.

رمزه:

كان يرمز له بالسراج على منحوتات أحجار الحدود في العصر البابلي الوسيط، وقد يشترك في هذا الرمز إله النار أيضا (جبيل ـ جيرا).

نوموشدا :

إلـه سومـري ورد ذكـره في قوائم أسـماء الآلهة المكتشفة في (فارا)، وهوإله محلي لمدينة (كازالّو) في أواسط بلاد بابل وابن إله القمر؛ مجال عمله غير معروف .

نيسابا :

إلهة سومرية كانت في الأصل إلهة الحبوب ، وكان يكتب اسمها بالرمز المسماري على شكل سنبلة قمح ثم أصبحت إلهة الكتابة والحساب والعلوم والعمران والفلك ، وهي ابنـة الإله (آن) وفي مجمع آلهة (لجش) أخت (نينجرسو) وابنة (إنليل) وزوجها (حيـا) منـذ عصر النهضة السومرية والعصر البابلي القديم ، وكان يقرأ سابقا (حاني) ،

ويصبـح زوجهـا الإلـه (نـابو) منذ الألف الأول ق . م ، وهي مثل (إنكي) تمنح الناس الحكمة وتفتح آذانهم (تهبهم المعرفة) ، ورمزها القلم الذي يشاركها فيه الإله (نابو) ، ومركز عبادتها في مدينة (أوما) و(إريش) .

نينازو :

إلـه من آلهـة العالم السفلي ، ويعني اسمه في اللغة السومرية (السيد الطبيب) ، وهو ابن الإلهة (إريشكيجال) وأب الإله (نينجيزيدا) .

وفي حين كان (نـرجـال) إلـه العـالم السفلي حسب الروايات الأكادية الأحدث عهـدا ، تغلب عليـه الصفـات السيئـة المـرعبة مثل إله الموت والأوبئة وأشعة الشمس الكـاويـة ، كان (نينـازو) يوصف بصفـات حميـدة مثل إله الشفاء والاغتسال في العالم السفلي ، ونادرا ما يأخذ دور الإله المقاتل مثل أخي (نينورتا) ، وكانت عبادته منتشرة في منطقة (ديالى) حتى عصر أور الثالث ، وحل محله فيها بعد الإله (تيشباك) .

نينجال :

إلهـة سومـريـة يعني اسمهـا «السيدة الكبيرة» ، وهي زوجة إله القمر السومري (نانا) والأكادي (سن) وأم إله الشمس ؛ انتقلت عبادتها الى سورية منذ نهاية الألف الثالث ق . م وأصبحت تعرف باسم (نيكّال) .

نينجرسو:

يعني اسم هذا الإله في اللغة السومرية (سيد جرسو)، ويذكر ضمن أسماء آلهة مقاطعة (لجش) في قوائم أسماء الآلهة المكتشفة في (فارا)، وزوجته هي الإلهة (بابا)، وأختاه (نانشة)، و(نيسابا)، وأبوه (إنليل)، ويحمل لقب بطل إنليل الجبار.

يعتقد أن (نينجرسو) كان مشابها في وظائفه للإله (نينورتا) منذ القديم، وعرف في مركز عبادته في لجش باللقب (سيد جرسو)، والإلهان لايتشابهان في سلسلة أنسابهما فقط بل في ظواهرهما أيضا، وتذكرهما قوائم أسماء الآلهة معا، ويشارك نينجرسو الإله (نينورتا) في ظاهرتين أساسيتين، فهو أولا إله الخصب والنمو ويلقب بسيد الحقول ومزارع حقول (إنليل) الذي يسهر على أمن واستقرار النظام في الحقل والقناة، وثانيا هو إله المعارك والقتال.

وأهم مصدر من مصادر معارفنا عنه قصيدة تقريظ في تجديد بناء معبد (إنينو) في لجش حوالي ٢١٠٠ ق. م، التي تصفه بكاهن (آن) للاغتسالات المقدسة وتشبهه في عدله بالإله (ساتران)؛ ويظهر في حلم جوديا بجناحي الطائر (إمدوكود) على شكل زوبعة، ويرمز إليه بـ (امدوكود) الذي هو على شكل نسر برأس أسد.

وتشير قصيدة (جوديا) السالفة الذكر بطرف خفي الى أسطورة يقتل فيها (إمدوكود) عددا كبيرا من الكائنات الخرافية مثل الكبش البري ذي الرؤوس الستة والأسد ذي الرؤوس السبعة والتنين الصالح والأسد مرعب الآلهة... الخ.

ويقوم الإله (نينورتا) بنفس الدور في رواية أسطورية أخرى، ولكن هذه الرواية تضيف الطائر الخرافي (إمدوكود) الى جملة الكائنات الأخرى التي يقضي عليها الإله. وتشير بعض النصوص الى حفل زواج (نينجرسو) بالإلهة (بابا) وتتحدث نصوص أخرى عن رحلته الى مدينة (إريدو)، ويقوم (ننجرسو) بقتل طائر العاصفة (زو) الخرافي في الرواية الأكادية في حين تذكر نصوص الأسطورة في عهد أحدث الإله (نينورتا) على أنه هو البطل الذي استطاع أن يقضي عليه.

ننجيزيدا:

معنى الاسم السومري غير واضح (سيد شجرة العدل) ربما كان المقصود (شجرة الحياة؟) وهو اسم إله سومري من آلهة العالم السفلي ويلقب في المدائح الإلهية بخادم الأرض الواسعة (حرفيا: محرك كرسي الأرض الواسعة)، المقصود بالأرض

الواسعة العالم السفلي، يلتقي جلجامش به مع آلهة أخرى في العالم السفلي (انظر جلجامش الفقرة الرابعة) ومن بينهم (دوموزي)، وتذكره قصيدة أورناموعلى أنه زوج الإلهة (أزيموا) إحدى آلهات مقاطعة (لجش)، وتصفه التعاويذ الأكادية بحارس العفاريت الشريرة المنفية الى العالم السفلي.

وفي أسطورة (أدابا) نراه مع دوموزي حارسا لبوابة سماء الإله (آن) وبذا يكون مكوثه في العالم الأسفل مكوثاً مؤقتاً شأنه في ذلك شأن (دوموزي)، ويرد ذكره كثيراً في مراثي (دوموزي)

ويرمز الثعبان ذو القرون إليه، وبما أن شعاره هو الثعبان لذا يعتقد أنه كان إلها من آلهة الشفاء وخاصة أن اسم والده يعني (السيد الطبيب ـ نينازو) ويصور في السماء على شكل ثعبان بسبعة رؤوس.

نينسونا:

زوجة الملك المتأله (لوكال بندا) وأم جلجامش، ويعني اسمها السومري (سيدة البقرة الوحشية)، وتقوم في ملحمة جلجامش بدور الناصحة والمرشدة لجلجامش ومفسرة أحلامه.

نينشوبور:

١ ـ إلهة سومرية، سفيرة ومرافقة الإلهة (إنانا) «انظر نزول إنانا الى العالم الأسفل وإنانا وإنكي ورسل الآلهة».

تسميها إحدى قصائد العصر البابلي القديم زوجة الإله (نرجال) ولا ترد هذه التسمية في موضع آخر، فالمعروف أن (نرجال) هو زوج إلهة العالم السفلي (إريشكيجال).

٢ ـ سفير وكبير وزراء الإله (آن) في صيغته المذكرة، ولا يختلف في وظائفه عن صيغته المؤنثة ويقابل اسمه في اللغة الأكادية (إلبرات)، ويعادل في مرتبته في عصور أحدث سفير الآلهة (ببسوكال).

نينليل:

إلهة سومرية اسمها (سيدة النسيم) وهو الصيغة المؤنثة لاسم الإله (إنليل)،

وهي على كل حال قرينته، وربما كانت تجسد في الأصل شكلا من أشكال آلهات الأمومة ثم تأخذ دورها المستقل في العصر البابلي القديم، وباتساع رقعة نفوذها تقوم بدور الشفيع والوسيط لدى الإله (إنليل) وتوصف بالإلهة الرحيمة التي تحمل كل صفات الأمومة.

وفي عصر نهوض الدولة الآشورية وبروز إله آشور كإله قومي للدولة الفتية تحتل مقعدها الى جانبه مثل عشتار كزوجة.

وفي اسطورة (إنليل ونينليل) السومرية يقوم الإله (إنليل) باغتصابها وتكون ثمرة اللقاء الجنسي العنيف ولادة إله القمر وثلاثة آلهة أرضية أخرى.

نينورتا:

إله سومري يعني اسمه (سيِّد الأرض) تسرب الى الديانة الأكادية وحافظ على شكل اسمه السومري، وهو ابن الإله إنليل وشاركه في أماكن عبادته في (نفر)، وزوجته هي إلهة الشفاء (جولا) أو مساويتها في المرتبة الإلهة (بابا) زوجة الإله (نينجرسو).

والإلهان (نينورتا) و(ونجرسو) ظاهرتان تجسدان مفهوم إله واحد في الأصل فكلاهما من شجرة نسب واحدة ويقومان بعمل واحد فكل منهما هو إله خصب وإله قتال.

ويجسد نينورتا الخصوبة في أقدم مظاهره حيث تمتدحه القصائد السومرية بأنه جعل زرائب قطعان الماشية خصبة ومنح الحقول وأحواض السمك بركاته وهو فلاح أبيه (إنليل) وفي المراجع الأدبية المتعلقة بشؤون الحكمة يعظ نينورتا ابنه الفلاح، ويعلمه اسلوب زراعة الحقول المختلفة وطريقة تعامله معها، مما تقدم نستنتج أن نينورتا كان في الأصل إله خصوبة وجني المحصولات، أما شخصيته القتالية فقد اكتسبها في وقت لاحق، عندما بدأت شعوب جبلية بتهديد أمن واستقرار الدولة البابلية، وفي شخصيته الحربية القتالية هذه لايستخدم نفوذه إطلاقا ضد شعبه مثل أبيه (إنليل)، وإنما يصب جام غضبه على الأعداء المغيرين. ومن ألقابه الإلهية المعروفة (الآخذ بثأر أبيه إنليل)، وربما كان المقصود بهذا اللقب مكافحته للأعداء الذين دنسوا أماكن العبادة في بلاد بابل.

ومن ألقابه باللغتين السومرية والأكادية (ملك الصواعق المرعبة الرائع) ويتحدث أحد النصوص عن انتصاراته العظيمة ضد الكائنات الخرافية في المناطق الجبلية ويقوم بهذا الدور في روايات أخرى الإله (نينجرسو) وتحتل مكافحة عفريت (الأساكو) مكاناً بارزاً في هذه النصوص.

وفي أسطورة (زو) الأكادية يتمكن نينورتا من القضاء على الطائر الخرافي، ويسترد منه ألواح القدر المسروقة، وفي نصوص الأسطورة المدونة بعد العصر البابلي القديم يقوم الإله (نينجرسو) بهذا العمل.

الجزء الثاني
قاموس الآلهة والأساطير في الحضارة السورية

مقدمة الجزء الثاني

آلهات الخصب في الحضارة الكنعانية
وأثرها في الحضارات المجاورة

بقلم: محمد وحيد خياطة

لكي تكون نظرتنا شاملة وعامة عن وضع المرأة الاجتماعي في حضارة الشرق العربي، لابد من العودة إلى المرأة الإلهة في الحضارة الكنعانية، وأثرها في الحضارات المجاورة وتأثرها بها.

وسوف نرى أن وضعها في الحضارة الكنعانية، لا يختلف في شيء عن الحضارة الرافدية أو المصرية.

فالحضارة واحدة في كل أجزاء الوطن العربي، وإن بدت غير ذلك من خلال ملامح إقليمية محلية تظهر هنا وهناك.

إلا أن الجوهر والأساس في الحقيقة واحد.

ولعل قرب الساحل السوري وسهولة الإتصال به من جهة الغرب، وموقع سوريا الجغرافي في قلب العالم القديم، لعب دوراً كبيراً في خلق شخصية انفتاحية على العالم، ونشوء حضارة إنسانية، مازال العالم المتمدن ينهل منها حتى يومنا هذا.

أفروديت وأدونيس في الثقافة اليونانية.

يرتبط اسم الإلهة أفروديت ارتباطاً مباشراً بأكثر الآلهة السورية شعبية وشيوعاً، وهو الإله الشاب ـ أدونيس ـ ويدل اسم هذا الإله على منشئه الكنعاني، فأدون هو السيد وأدوني سيدي.

وجاء حرف السين من اللغة اليونانية ليصبح أدونيس، ورغم كونه كنعاني الأصل، لم يرد ذكره في الكتابات الكنعانية على الأرض السورية إلا في وقت متأخر جداً.

وأقدم ذكر له يرد في الوثائق اليونانية من القرن الخامس ق.م ويفسر المختصون غياب اسم هذا الإله المحبوب من قوائم الآلهة الكنعانية بأنه لم يكن رباً رئيساً في مجمع الكهنوت السوري.

لذا لم يحظ كغيره من الآلهة بمعبد وسدنه.

إلا أنه رغم ذلك كان يتمتع بإحترام وتقدير كبيرين في كل العالم القديم.

وأدونيس في الحقيقة ماهو إلا صورة أو جانب آخر من شخصية الإله الكنعاني الشاب بعل والإله الرافدي تموز، وقد يكون اكتسب اسمه المعروف (أدونيس) في وقت متأخر بعد انتشار الثقافة اليونانية في ربوع الأرض الكنعانية.

فهو يحمل نفس صفات الإله الميت «تموز» في بلاد الرافدين، وكانت تتم احتفالات النواح السنوية على فقدانه من وجه الأرض في أثينا حوالي ٤١٥ ق.م وفي الاسكندرية في عهد بطليموس الثاني، وفي جبيل القرن الثاني ميلادي وأنطاكية ٣٦٣م. وقد وصلت عبادته إلى روما في أوائل القرن الأول ميلادي.

يقوم «أدونيس» بدور الإله العريس في حفل الزفاف الإلهي المقدس مع شريكته أفروديت، كما كان يفعل ذلك «دوموزي» السومري مع «إنانا»، وتموز البابلي مع عشتار.

وكان هذا الطقس الديني منتشراً في جبيل وفي الإسكندرية، ويشارك الإله نفسه في هذا الإحتفال الديني المهيب بعد موته بيومين.

مما يوحي ببعثه بعد الموت.

وكان يرمز لنكبته بالموت برسوم رائعة لجنائن وحدائق، وهي في حالة الذبول والإحتضار، تصوّر على جدران أوان الخزف الجميلة.

وتتحدث الأساطير عن سبب قتله وعودته للحياة بروايات متعددة ومشابهة لما نعرفه من حضارات الأقطار المجاورة الرافدية والمصرية.

تقول الأسطورة:

إن الإلهة أفروديت، إلهة الحب والجنس، وقعت في هوى الراعي أو الصياد أدونيس، فيغضب لذلك «أريس»، زوج الإلهة المخدوع، فيقرر الإنتقام لنفسه، بقتل أدونيس فيقتله، بعد أن يتخذ شكل خنزير بري.

ويكون مقتل أدونيس عند نبغ أفقا في لبنان.

وتجري دماء الإله القتيل في نهر إبراهيم، وتصبغ مياهه بالحمرة، التي ترافقه من منبعه حتى مصبه. ويقام ضريح فخم للإله المقتول، يستمر حتى عصر قسطنطين الكبير.

غير أن الإلهة العاشقة أفروديت، تهب لإنقاذ حبيبها المفقود.

وبعد محاولات عديدة، تنجح بإعادته إلى الأرض لمدة نصف عام فقط.

ومما يؤكد أن تسمية هذا الإله، جاءت متأخرة، هو عدم ورود اسمه في أسفار العهد القديم وقد يكون هو المقصود (بشهوة النساء) في سفر دانييل ١١ : ٣٧، وربما يكون تموز الرافدي هو المقصود، وفي كلا الحالتين، يراد به الإله الشعبي، سواء أكان تموز في الحضارة البابلية، أو أدونيس في الحضارة الكنعانية أو أوزيريس في الحضارة المصرية.

عناة إلهة الخصب الكنعانية في مصر.

تعتبر عناة من أهم آلهة الخصب في مجمّع الآلهة الكنعاني.

وقد انتشرت عبادتها وتقديسها، ليس فقط على الأرض السورية، بل عمت كافة منطقة الشرق العربي، لكن بأسماء وأشكال مختلفة.

وقد وصلت عبادتها من الأرض الكنعانية إلى الأرض المصرية عن طريق الهكسوس، وتصدرت مجمّع الآلهة المصري في القرنين التاسع عشر والعشرين ق.م.

ونراها على إحدى المسلات الموجودة حالياً في المتحف البريطاني، مرتدية ثوباً طويلاً يصل حتى قدميها، ومعتمرة خوذة، تلّوح بالفأس والرمح.

أما النص المنقوش بجانبها، فيصفها بسيدة السماء وعشيقة الآلهة.

وقد أغرم بها فراعنة مصر، حتى أن رمسيس الثاني، أطلق على ابنته اسم بنت عناة. أما رمسيس الثالث فاعتبرها مع عشتارات مجنه الحامي.

عناة رمز الإخصاب والجنس

بما أن عناة وعشتارات تجسدان مصدر الطاقة الجنسية والخصوبة في العالم لدى الكائنات الحية، فقد عمد الإله المصري «حوروس» إلى غلق فوهة الرحم لديهما، كي لا تتمكنان من الإنجاب وتموت قوى الخصب في الطبيعة.

نقرأ في أحد نصوص التقية على ورق البردي مايلي:
«أغلقْ فمك، وأغلقْ حلقك، كما أغلق حوروس فوهة رحم عناة وعشتارات»

والنص موجه إلى تماسيح النيل لتجنب أذاها.

وليس هناك للأسف نص كامل، يروي الأسطورة، ولكننا نعرف من

مصدر آخر، أن الرب المصري (سيث) أعاد فتح الرحم، كي لا تجدب الدنيا ويفنى الكون.

ويعادل «سيث» الرب الكنعاني بعل ويقوم بكل الأعمال المنوطة ببعل في الأدب الكنعاني. ففي نص من نصوص الشعوذة المصرية، الذي يعود إلى عهد الأسرة الثامنة «القرن الرابع عشر ق.م» نجد سيث، يستخدم كل قواه الذكرية في مضاجعة عناة:

«ينز عليها كما ينز الكبش على النعجة».

وقد يبدو للوهلة الأولى أن الرب سيث، سادي النزعة، يستخدم قواه، لإغتصاب الربة الفاتنة عناة.

إلا أننا لا نرى أي تذمر أو مقاومة تذكر من جانبها، ضد عنف الإله.

مما يشير إلى أن المراد من النص، هو تصوير الطاقة الجنسية القوية لدى الإله، والجهد الذي يبذله في فتح الرحم، الذي أغلقه خصمه العنيد حوروس/ برضى عناة وموافقتها.

ويدعم هذا التفسير، اكتشاف أسطورة مشابهة في أوغاريت، وهي تتحدث عن لقاء جنسي عارم بين بعل وعناة.

استمرت عبادة عناة، ربة الخصب الكنعانية، في مصر حتى العصر الهلنستي، وأصبح اسمها مرادفاً للإلهة المصرية «هاتور» واستخدم أحياناً كلقب من ألقابها.

إختفاء عناة من مصر

تختفي عناة بإسمها هذا، من مسرح الأحداث الكهنوتي، بعد أن تصدّرت المجمّع الطقسي للآلهة المصرية، طيلة ألف عام لتظهر بعدئذ بأسماء آلهات خصب أخرى، امتزجت بها.

فعلى أحد المشاهد المنحوته، يرد وصف إلهة كنعانية بإسم قد شو عناة «عناة المقدسة» وقد شو عشتارات، مما يشير إلى وجود عدد من آلهات الخصب المحلية، اللواتي يقمن بنفس الوظائف التي كانت تقوم بها عناة في وقت ما.

ودليلنا على ذلك، أن كتّاب التوراة، وأنبياءها، لا يتعرضون في هجومهم العنيف الذي شنوه ضد الآلهة الكنعانية، إلى عناة.

فلا تذكر إطلاقاً في نصوص العهد القديم، رغم إنتشار عبادتها الواسع في كل من مصر وسوريا وفلسطين واكتفى أنبياء التوراة بصب جام غضبهم على الإلهة المماثلة عشتارات، التي يرد ذكرها في كثير من نصوص العهد القديم، بصيغة الجمع، عشتروت.

ومما يدعم الإعتقاد بأن اليهود لم يميزوا بين إلهة خصب وأخرى في الديانة الكنعانية، اكتفاؤهم باستخدام صيغة واحدة، وهي صيغة الجمع للربة عشتارات، التي كانت تعبد في أماكن عدة، وتحت أسماء مختلفة.

عناة شريكة «يهوه» عوضاً عن «بعل»

رغم كل أنواع الحيطة والحذر، التي تحصن بها كهنة اليهود، ضد الديانة الكنعانية وآلهتها، إلا أن عناة، استطاعت أن تتسرب إلى صلب عبادة يهوه «رب اليهود القومي»، وأصبحت شريكته كما كانت شريكة بعل.

وقد ورد اسم يهوه مركباً من «عناة يهوه»، وقد حاول بعض المدافعين عن أصالة الديانة اليهودية، تفسير الأسم، على أن الشق الأول منه (عناة)، هو صفة للإله يهوه، أي «عناية يهوه»، لتنزيه وحدانية يهوه عن الشرك، إلا أن هذا التفسير مرفوض، فاسم عناة نفسه. مشتق من الفعل «ع. ن،ي» الذي يعطي معنى العناية والإهتمام.

وقد أخذ يهوه بل تلبس كل صفات الرب الكنعاني بعل، فلم يشذ عنه

فقط بالنسبة لشريكة عمره؟ واسم عناة، مازال مستمراً حتى يومنا هذا، كإسم علم مؤنث في القطر المصري الشقيق (عنايات).

لم يقف تأثير عناة في الديانة اليهودية عند هذا الحد، بل ساهمت في تكوين شخصية الإلهة اليونانية «أثينا»، وكما كانت عشتار البابلية ذات شخصيتين متناقضتين، إحداهما قتالية تبث الرعب والخوف في قلوب الأعداء، والأخرى شخصية الإلهة المحبة الفاتنة والعاشقة، تبث الحياة والخير في الوجود، كذلك كانت عناة الكنعانية، وأثينا اليونانية.

وتتمتع عناة في الأدب الكنعاني بجمال آخاذ، يأخذ بمجامع القلوب، ويأسر أفئدة المحبين ويتغنى بجمالها العاشقون.

فقد جاء على لسان كريت ـ ملك أوغاريت في الملحمة الشهيرة باسمه وهو يصف حبيبته، بأنها أخذت عن عناة سحرها الفاتن وجمالها الرائع.

عناة العذراء؟

تلقب عناة بالعذراء، كمثيلتها عشتار البابلية، رغم كل الصلات الجنسية التي قامت بها، والعلاقات العاطفية التي كانت تربطهما، مع العديد من الرجال.

«انظر حول هذا الموضوع العدد ٢٥٦ من مجلة المعرفة ـ أيلول ١٩٨٣ وعندما كانت المرأة «إلهة».

وقد جاء وصف عناة في النصوص الأوغاريتية على شكل «ب،ت،ل»و «ر،ح،م»، أي عناة البتول وعناة الرحم.

والصفة الثانية الرحم، المقصود بها، رحم المرأة «حوض المرأة»، الذي يحضن الإنسان في جوفه قبل أن يرى نور الحياة، ومنه اشتقت كل معاني الخير، المتعلقة بالرأفة والشفقة والحنان مثل الرحمة والرحمن

والرحيم والإرحام.

وتتجلى هذه الصفات الطيبة في عناة، أثناء البحث عن أخيها المقتول «بعل» «كقلب البقرة على عجلها.

وكقلب الشاة على حملها.

كذلك هو قلب عناة على بعل».

وتظهر عواطف المرأة الجياشة المفعمة بالحب والحقد في شخصية عناة عندما تعلم بوفاة أخيها بعل، فتقيم له حفلاً جنائزياً مأساوياً يتخلله تصرفات المرأة الملتاعة، والمفجوعة بأخيها بعل، فتخدش عناة جسدها بأظافرها، وتجهش بالبكاء دون انقطاع، ثم تحمل جثة أخيها المسجي فوق يديها لتواريه الثرى في أحضان قمة جبل الأقرع «صفان».

ثم تتحول الإِلهة الوادعة الصادقة الطيبة المتدفقة حباً وحناناً ورقة إِلى امرأة قاتلة منتقمة، لتثأر من قاتل أخيها «الإله موت»، فيظهر الجانب الآخر من شخصيتها الجانب القاسي الفظ، الذي لا يعرف الرحمة ولا ترويه أنهار الدماء:

«لقد أمسكت بالإله موت

بالسيف تقطعه

وبالمذراة تذريه

وبالنار تشويه

وبالطاحونة تطحنه

وفي الحقل تدفنه»

وهذا الجانب «السادي» من شخصية عناة، يتناقض كما رأينا كلياً مع الجانب الحاني العطوف المخلص المتفاني في خدمة المحبوب.

ولم يغب عن فكر الشيخ العجوز الرب إِيل شخصية ابنته المتهورة عناة فيقول مخاطباً إِياها:

«أعرفك يابنيتي
وأعرف أنك مثل رجل
وليس بين الآلهات كلهن
من يضارعك ضراوة»

ويمكن اعتبار الشخصيتين منفصلتين تماماً، لاتمت إِحداهما إِلى الأخرى بصلة، ولاتسمح إِحداهما للأخرى، بالتدخل في شؤونها، فهما لا يشتركان في موقف واحد يحتاج إِلى قرار حاسم.

فكل واحدة منهما، تتصرف على هواها، وبحرية مطلقة.

فعناة في شخصيتها الظالمة، تتسبب في مقتل البطل في ملحمة أقهات الأوغاريتية، ثم تذرف الدموع على من كانت السبب في مقتله، بعد أن شعرت بالندم لما قدمت يداها من شر بحق إِنسان بريء.

ولاتتورع عن قتل والدها، إِن هو لم يستجب لرغباتها، وتهدده بالذبح:

«أيعارضني الثور إِيل، والدي
أيعارضني ولا يهتم سوى بنفسه
إذا سوف أطرحه أرضاً ـ كالحمل ـ
وسأحيل شعره الأشيب دما
وسأجعل شيبة لحيته تسيل دما
إن لم يعط بيتا لبعل
كبقية الآلهة»

تماماً كعشتار البابلية في شخصيتها العنيفة، عندما تجهز حملة على صفحة السماء ضد والدها «آن» سيد السماء وكبير الآلهة.

عناة وحمام الدم.

لم يشف غل عناة، قتلها لقاتل أخيها «الإله موت» بل أمرت بإحضار رجال من الشرق ومن الغرب ومن كل مكان، في أرجاء الكون الواسع، وعندما مثلوا بين أيديها، أمرت بذبحهم كالنعاج، ثم غسلت جسدها البض بدماء ضحاياها، وصنعت قلادة من جماجمهم وأيديهم، زينت بها جيدها.

وبعد ذلك، رمت ما تبقى من أشلاء في البحر.

ما معنى هذا؟

ذهب بعض المفسرين إلى القول، بأن هؤلاء الرجال، ماهم في الحقيقة، سوى رسل إله الموت، الإله الذي قتل أخيها، وابتلعه في جوفه، فالقضاء عليهم بهذه الوسيلة، يعني القضاء على العدم والفناء، وتطهير الكون من عناصر الفساد، التي تسبب الدمار والخراب.

وفسر بعضهم الآخر، هذه الأسطورة على أنها إحياء لطقس ديني قديم، كان يعني بتقديم الأضاحي من البشر، أمام مذابح الآلهة، لتجديد قوى الخصب في الطبيعة، ووضع حد للجفاف والعقم.

ونحن نميل إلى الأخذ بالرأي الثاني، لأن ظاهرة تقديم الأضاحي من البشر على مذابح الآلهة، ليس غريباً في الحضارة الكنعانية، وقد استعيض عنها بالبدائل الحيوانية في وقت لاحق، لنتذكر محاولة إبراهيم ذبح ولده قرباناً للإله، ثم فداؤه بالكبش عن طريق ملاك السماء.

ولم تزل عادة «تفجير الدم» عالقة في أذهان مجتمعنا الشرقي حتى يومنا هذا، فماذا نفعل نحن اليوم عندما نقوم بشراء سيارة جديدة أو بيت جديد. أو محل تجاري كي نتجنب أذى العيون الحاسدة ودفع الشر عنا؟

ألا ندع أيدينا تغوص في برك دم الأضحية المتفجر؟ ونطبع بأكفنا بصمات الدم؟

فالدم مبارك، لأنه في نظر الأقدمين، عصب الحياة وجوهرها، وتفجيره على مرأى من الناس، إشارة إلى كنس الدنس، وقطع الصلة بالماضي، وبداية عهد جديد، خالص من كل الشوائب والأدران.

كما أن الدم هو رمز الخصب والتجديد، فالمرأة تنجب بالدم، وعندما يتوقف الحيض عندها، تصبح عقيماً.

الدم أيضاً رمز الفناء والدمار:

ويرمز الدم أيضاً إلى الفناء والدمار، ويستخدم كعقوبة بحق المذنبين والجناة، وإذا لزم الأمر، بحق مدن بأكملها.

فماذا فعلت «إنانا» السومرية، سيدة السماء والأرض، عندما تعرضت لإهانة البستاني - شوكاليتودا - الذي ضاجعها في غفلة منها تحت إحدى شجرات بستانه الوافرة الظلال؟

«ماذا فعلت إنانا من أجل فرجها
لقد ملأت جميع آبار البلاد بالدم
ففاضت جميع الغابات والبساتين بالدم»

وماذا أراد يهوه أن يفعل بالمصريين ليجعل موسى ينتقم منهم؟

يقول «يهوه» مخاطباً موسى:

«خذ عصاك، ومد يدك على مياه المصريين وأنهارهم وخلجهم ومناقعهم وسائر مجامع مياههم، فتصير دما ويكون دم في جميع أرض مصر»

إلا أن أسطورة العهد القديم، تخالف في قيمها ومضامينها الأخلاقية، كل أخلاقيات ومناقب الحضارة الكنعانية، ففي الأخيرة تتصارع الآلهة فيما بينها، لينتصر الحق والخير في النهاية، لصالح الإنسان والوجود الإنساني المطلق، المرتبط بالأرض والدورة الكونية، من حيث الأعمار والخصوبة، واستمرارية الخلق.

في حين فهم أتباع «يهوه» والأغراب في الأرض وفي الحضارة، الأسطورة على شكل آخر. فيهوه الرب القاتل، يغرق الشعوب، أعداء بني إسرائيل بالدم، ليس هذا فحسب، بل يدوسهم بقدميه، ليصبحوا تحت أقدامه، مثل حبات العنب، فتتلطخ ثيابه (ثياب يهوه) برشاش دمهم. جاء على لسان يهوه في سفر إشعياء الإصحاح ٦٣ مايلي:

«قد دست المعصرة وحدي ومن الشعوب لم يكن معي أحد

فدستهم بغضبي ووطئتهم بغيظي،

فرش عصيرهم على ثيابي فلطخت كل ملابسي.»

عناة الأخت والزوجة:

تلعب عناة دوراً بارزاً في حياة الإله بعل، واسمها يرتبط بشكل أو بآخر باسمه، ولكن مانوع العلاقة بينهما؟

تقوم عناة في الأدب الكنعاني بتمثيل شخصية ـ إنانا ـ عشتار، في الأدب البابلي فهي رغم كونها عذراء، كما تصفها النصوص الملحمية، نراها من جملة الآلهات الأناث اللواتي شاركن الأب العجوز ـ ايل ـ فراشه، وهي أي عناة، رفيقة بعل وزوجه الحبيب، بل الأخت الأثيرة لديه.

يصور النص التالي بحث عناة عن أخيها، وعندما لاتجده في قصره، الذي ناضلت هي نفسها من أجل بنائه، تتوجه إلى الحقول، وهناك يتم لقاء الفرح بين الأخوين العاشقين:

أليس بعل في البيت العظيم؟

أليس هو في قصره الفخم؟

وأجاب خدمة بعل:

بعل ليس في قصره العظيم

أخذ قوساً بيساره

ونبالاً بيمينه
وتوجه إِلى مروج شاماك
الملأى بالثيران الوحشية
عندئذ شرّعت عناة جناحيها
وحلّقت مسرعة
نحو مروج شاماك، الملأى بالثيران الوحشية
وهناك رفع بعل العلي عينيه
رفع عينيه ورأى
نعم رأى العذراء عناة
أحب أخواته إِليه
أسرع نحوها
وركع أمام قدميها وسجد
وجلجل صوته مردداً
لتحيا أختي
والآن لندعي صداقتنا
أقبلي نحوي
ودعيني أمنحك الحب، أيتها العذراء عناة
أقبلي نحوي.. لأمنحك الحب

---- ----------

ورفعت العذراء عينيها وشاهدت
نعم شاهدت الثور
فقفزت راقصة
قفزت راقصة
قفزت ترقص بخفة ورشاقة..

غير أن علاقة عناة ببعل تكون أكثر وضوحاً في شخصيتها القتالية، وقد قامت بها خير قيام، عبر إنتقامها من قاتل أخيها، الإِله موت، كما مر

معنا.

أما العلاقة الجنسية التي كانت تربط بينهما، فهي غامضة بعض الشيء نظراً لتهشم بعض النصوص وبعضها الآخر ناقص، مما يجعل معرفتنا حول هذا الموضوع غير تامة، وتفتقر إلى الإيضاح.

فقد ورد على كسرة نص من نصوص ملحمة بعل في أوغاريت أن بعل كان منهمكاً بممارسة الجنس مع بقرة فتية.

ويتحدث نص آخر مهشم عن بعل في شكل ثور يضاجع بقرة على مرأى من الإلهة عناة، التي تملكها شعور جارف، لتكون هي البقرة، التي تستقبل إخصاب الثور بعل.

وهناك نص آخر يتحدث عن معاشرة بعل لعناة آلاف المرات في ليلة واحدة وتخصب خلالها وتلد بمساعدة آلهة الولادة ثوراً فتياً.

ومعروف في حضارات الشرق العربي القديمة، أن الثور والبقرة يرمزان إلى القوة، والقدرة على الإنجاب، ولهذا استعير قرنا الثور، ليزينا رأس إلهة الخصب المصرية هاتور.

ويقوم الإله المصري سيث، في النصوص المصرية، بمضاجعة عناة، عوضاً عن بعل.

وتذكر إحدى الأساطير المصرية، أن الإله (رع) زوّج ابنتيه عناة وعشتارات إلى سيث، وكنا قد ذكرنا، كيف قام سيث بعملية فتح رحمهما، بعد أن أغلقه حوروس، بقصد القضاء على الخصب والإنجاب.

ومن مظاهر عناة الأخرى، التي ترد في النصوص الأوغاريتية، المرأة الأرملة، التي توفي عنها زوجها، وأصبحت كنة الآلهة المترملة، ثم تزوجها أخ الزوج المتوفي، الذي هو بعل، وصار لقبها - زوجة ا لأمير بعل المترملة.

تماماً كما يحدث في وقتنا الحاضر وفي مجتمعنا الشرقي، حيث يشعر أخ المتوفى، بإلتزام أدبي وأخلاقي، يدفعه إلى الزواج من أرملة أخيه، ليرعاها، ويشمل برعايته أبناء أخيه المتوفى.

عناة في الفن:

شغلت عناة حيزاً كبيراً في الموضوعات الفنية سواء في النقش أو النحت أو غير ذلك من الفنون التشكيلية الأخرى.

ومن دراسة هذه الموضوعات ومقارنتها مع النصوص المكتوبة، نستطيع أن نكوّن فكرة عن طبيعة هذه الإلهة المرأة، والدور الذي كانت تؤديه حيال الإنسان والوجود، من خلال العلاقات الاجتماعية السائدة آنذاك.

فقد تصورها الإنسان على شكل امرأة مجنحة، كما نرى ذلك على أحد الألواح العاجية، التي كانت تزين السرير الملكي في أوغاريت، والأجنحة مزدوجة، اثنان مشرعان نحو السماء، واثنان متجهان نحو الأرض «عندئذ شرّعت عناة جناحيها وحلقت مسرعة»

وينسدل شعرها الأسود الكثيف على كتفيها بعد أن يأخذ شكل قصة شعر الإلهة المصرية هاتور، فيبرز وجه الإلهة من خلاله على شكل وجه البقرة، وينطلق من جبينها قرنا الألوهية، ليعانقا قرص الشمس وعلى شفتيها ترتسم شبه ابتسامة رقيقة، في حين ينم منخراها الواسعان عن طيبة ممزوجة بطبع ناري حاد.

يقف أمامها شابان، يرتديان تنورة قصيرة، وقد تناول كل منهما، أحد ثدييها، من تحت ردائها الطويل.

لا يعنينا بالطبع، من يكون هذان الشابان، فنحن نعرف من خلال النصوص، بأن عناة، كانت أما للآلهة، كما هي أم للبشر، تقوم على

رعايتهم، وكثيراً ما يتردد على ألسنة فراعنة مصر، بأنهم رضعوا حليب الإلهة عناة.

ويعتبر هذا المشهد الفني بحق من أروع ما خلفه لنا الفنان الأوغاريتي على الساحل السوري.

ومن اللوحات الجميلة أيضاً، مسلة مصرية تحمل صورة عناة، في مشهد، تجمع فيه شخصيتيها المتناقضتين الشخصية المحبة، والشخصية المقاتلة، اللتين تعرفنا عليهما، من خلال نصوص أوغاريت.

عناة في أسطورة أقهات الأوغاريتية

تدور أحداث الأسطورة حول ملك شيخ حكيم ولكنه عاقر، اسمه دانييل، ينجب ابنه أقهات، بمساعدة الإله بعل (تذكرنا هذه الحادثة، بمولد اسحق بن إبراهيم، بعد أن بلغ الأب من العمر أرذله ويتدخل الإله في عملية إخصاب سارة، زوجه العاقر، فتحمل وتلد اسحق.

(انظر سفر التكوين الاصحاح ٢١)

يحصل أقهات، بعد أن أصبح شاباً فتياً، على قوس صيد فريد، منحه إياه، إله الفنون والبناء (قطر)، فتستحسنه عناة، وتحاول بشتى الوسائل الحصول عليه من أقهات، فتعرض عليه ذهباً وفضة، إلا أن أقهات يصر على الإحتفاظ به، فتغريه عناة بمنحه الحياة الأبدية، فلا يقرها أقهات على ذلك، ويتهمها بالغش والخداع، وأنها غير قادرة على مثل هذا العمل.

(نفس المشهد يتكرر بين جلجامش وعشتار في الأسطورة الرافدية، ويقر جلجامش بالموت، الذي هو مصير كل إنسان منذ بداية الخلق.)

فتنتقم عناة من أقهات بقتله، بمساعدة أحد أعوانها، وتترك جثته نهباً لعقبان السماء، فتمحل الأرض ويسود الكون الجفاف، ويختفي كل مظاهر الخصب في الطبيعة لمدة سبع سنين، فتندم عناة على فعلتها (يذكرنا هذا

بقصة يوسف والسبع سنين عجاف في مصر).

وتقوم فوغات، أخت القتيل، في البحث عن قاتل أخيها والثأر منه.

فتتزين، وترتدي أبهى حللها، وتتعطر، وتكحل عينيها، وتفلح على ما يبدو بقتل الشخص الذي ساعد عناة على قتل أخيها، بعد أن تتعاطى وإياه الخمر، فتحز رأسه، بسيف، كانت قد أخفته تحت ردائها، تماماً كما فعلت عشتار البابلية بإنكي، إله الأعماق، عندما اسكرته لتسرق منه ألواح القدر، وتهرب بها إلى مدينتها «أوروك» ولكن دون أن تقتله.

وقد اختار كهنة «يهوه» «يهوديت» الأرملة التقية لتقوم بفعل مماثل لفوغات، فتستلب لب القائد الأشوري بمفاتنها الجسدية، فتقطع رأسه بعد أن تسكره حتى الثمالة، وتصبح البطلة القومية في الأدب التوراتي.

لاندري كيف انتهت أسطورة أقهات، ولكن نستدل من بعض السطور المتبقية في النص الأوغاريتي أن أقهات، عاد للحياة، وبعودته تخضر المروج وتخصب المراعي.

وإن دلت هذه الأسطورة على شيء، فإنما تدل على تبادل الأدوار بين الشخصيات حول موضوع واحد.

فهي نموذج آخر من أسطورة بعل وعناة وأدونيس وأفروديت وعشتار وتموز، حيث يأخذ أقهات هنا، دور الإله القتيل، وتتمثل فوغات أخته، شخصية عناة، في البحث عن قاتل أخيها، والثأر له وإعادته للحياة.

عناة إلهة خصب كونية:

اختفى اسم عناة كإسم علم من لوائح أسماء الآلهة، خلال مسيرة المد الحضاري في المنطقة العربية، إلا أن وظيفتها، كإلهة خصب، لم تختف، فاشتركت مع غيرها من آلهات الخصب، اللواتي طغت عليها بشخصيتها، زمناً ما.

فاندمج الأسمان بصيغ مختلفة وأصبح اسمها مركباً من عشتارات وعناة في العصر الهلنستي وعرفت بإسم «أتارجاتيس» واعتبرت آنئذ من أهم الآلهة السورية في شمال سورية وأسية الصغرى ثم أصبح إسمها ببساطة ـ إلهة سورية ـ في العصر الروماني، واحتلت المرتبة الأولى في سلم قوائم الآلهة في مجمع الطقوس الكهنوتية.

وكانت تتربع على عرش، تحيط به الأسود، دليل القوة والبأس، ويرمز لها ـ كإلهة خصب ـ بسنابل القمح وبقطعان الماشية وهي ترعى حول معبدها المقدس.

ومن أهم الاحتفالات التي كانت تقام من أجلها، احتفالات عيد الربيع، حيث تسير مواكب الحجاج رافعة المشاعل والنيران ثم تحرق الأشجار بما تحمله من عطايا وهبات.

ويتوج العيد بخروج كهنة الإلهة عن طورهم بهذيان صوفي لا مثيل له، قد يصل ببعضهم إلى حد القيام بعملية الخصي وارتداء ثياب النساء والتحلي بزينتهن.

عناة في شخصية «أثيرة ـ عشيرة».

يظهر اسم عشيرة لأول مرة، خلال حكم السلالة العمورية السورية في بلاد الرافدين، كزوجة لإله الرعاة (عمورو) «أشات عموري أي أنثى عموري».

ويصفها حمواربي بكنة إله السماء «آن» وبسيدة النشوة والعظمة وقد ورد في نص من نصوص تل العمارنة في مصر، اسم ملك يدعى عبدي عشيرة.

كما أن عشيرة، تذكر في المصادر العربية في جنوب الجزيرة العربية بأسم «أثيرة»، كإلهة للنخيل وقد تسربت عبادتها على شكل تقديس الشجرة

أو العمود في النصوص التوراتية (انظر سفر الخروج ٣٤: ١٣ والتثنية ٧: ٥ ويوشع ١٧ : ٨)

ويعني هذا الإسم في العربية إلى جانب الصديق والعزيز، الضياء والبريق، وهذا ما يشير إلى وظيفتها الكونية ثم انتقلت إلى اليونان على شكل عشتارتة وعشتروت قبل أن يصبح اسمها أفروديت، وبحكم موقع أوغاريت على البحر كان عليها أن تتلاءم مع الوضع الجغرافي، فقد جاء في إحدى القصائد الأوغاريتية مايلي:

«يا سكان الجزيرة، يا أبناء البحر

يا من ترضعون من ثدي عشيرة»

وكنا قد رأينا كيف أن عناة ترضع أبناء الآلهة والبشر في مجمع الآلهة المصري، فعناة وعشيرة وأثيرة مسميات لإلهة واحدة، ترمز إلى الأمومة والخصب والجنس، وما جاء تعدد الأسماء في الحقيقة إلا لظروف محلية إقليمية، وقد تختفي إحدى وظائفها، ويضاف إليها وظائف أخرى، وفقاً لمتطلبات البيئة المحلية. ففي المصادر الأوغاريتية هي خالقة البشر كما أن إيل خالق الخلق، وهي السيدة وأم الآلهة، ويقترن اسمها بإسم إيل وتحمل أحياناً اسمه، بعد إضافة تاء التأنيث، فتصبح «إيلة» أي «إلهة».

علاقات بشرية بين الزوجين الإلهين:

تمثل عشيرة في الأدب الكنعاني الذي وصلنا على شكل أساطير وأناشيد وأغان شعبية، شخصية المرأة الفاعلة في المجتمع، ذات الإستقلال الشخصي، الذي لا تؤثر فيه إرادة الرجل، ولا تتحكم فيها رغباته ونزواته.

وهي مرحلة من مراحل عصور ما قبل التاريخ، لم يعد لها وجود إلا في عالم الأسطورة ، التي نتحدث عنها.

فعشيرة هنا، في الأسطورة، زوجة كبير الآلهة «إيل» تسكن في منزل

خاص بها، ويتردد إليها الزوج في فترات متقطعة، كما تقوم هي أيضاً بزيارته في مسكنه الخاص.

فالعلاقة بينهما ـ كما نرى ـ علاقة يسودها الإستقلال لكلا الزوجين، وهي أبعد ما تكون عن علاقات اجتماعية، يسود فيها الرجل ويتحكم بتصرفات زوجته.

ونرى العلاقات الإنسانية، ضمن العلاقات الزوجية، وما يتخللها من عنف وحماس وفتور.

فعشيرة التي أنجبت كل الآلهة وولدت البشر تقادم بها العهد ووصلت حد الشيخوخة، ففقدت بذلك جاذبية الصبية الفاتنة التي كانت لها يوماً ما، في مقتبل العمر، ولم تعد ترضي ذوق الرجل، التواق أبداً إلى الجديد، متناسياً أنه هو نفسه، فقد أيضاً عود الشباب الناضر وقوة الثور الفتي فيتطلع الإله الشيخ، والأب الوقور والحكيم إلى إلهة صبية، تتفتح كبراعم الربيع في الحقول، ليثبت للآخرين، المتطلعين إلى عرشه، بأنه مازال يملك نصاب الأمور بيديه، وبمقدوره السيطرة على قلوب العذارى.

غير أن السيدة العجوز، لا تستسلم بسهولة، وتقاوم بضراوة، لتحافظ على مكانتها كامرأة أنثى، لها جاذبيتها ونفسها الفتية، التواقة إلى الحب والحياة، فترمي زوجها الشيخ، بعد أن شعرت ببروده إتجاهها، بالوهن الجنسي، بل حتى العنة.

فتثير في نفس بعلها، كرامة الرجل المطعون بأغلى شيء يمتلكه، ألا وهو الرجولة فيقرر الإنتقام منها، وإذلالها، فيطلب من الإله الفتي (بعل) المتطلع نحو العرش، بإندفاع وحماس الشباب، مضاجعتها لإخضاعها وخفض معنوياتها.

ويتنحى أخيراً الإله الشيخ للإله الشاب، ويقنع بالدور الجديد، الذي أسند إليه، وهو النصح والإرشاد.

ويحتل بعل وعشيرة الحيز الذي تركه إيل، ليخلق جيل جديد من الآلهة.

وهذا هو قانون الحياة، سواء في عالم الآلهة أم في عالم البشر.

اللات إحدى آلهات الخصب

يختلط إسم الإلهة، عشتارة ـ عشتارتة، مع الإلهة عناة، ويتبادلان في كثير من الأحيان مواقعهما وأدوارهما، وهي «عشتارة ـ عشتارتة» التي تذكر في نصوص العهد القديم بصيغة الجمع ـ عشتروت ـ كما رأينا.

ولعل أكثر الآلهات العربيات، قرباً منها وإلتصاقاً بها، الإلهة التي تحمل اسم «اللات» والتي انتشرت مراكز عبادتها في أواسط وشمال الجزيرة العربية، ويعني اسمها ببساطة الإلهة، ونقلها هيرودوت إلى اليونانية تحت اسم «أورانيا» مرادفاً لإسم «أفروديت».

وكان العرب يعتبرونها إحدى بنات الله الثلاث كما ورد في القرآن الكريم «أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، ألكم الذكر وله الأنثى، تلك إذا قسمة ضيزىٰ. سورة النجم).

ولم تكن اللات، إلهة محلية تعبد في الطائف فقط، بل انتشرت عبادتها لدى جميع القبائل العربية، وتلقب عند بني ثقيف بالسيدة، واعتبرها بعضهم نجمة الزهرة (عشتارة وفينوس) وما مناة والعزى إلا ظاهرة من ظواهر اللات المتعددة، كنجم السماء ونجم الصباح، وترد في المخطوطات النبطية العربية بإسم الأم العذراء، وتندمج في تدمر «بأثينا» بتأثير الثقافة اليونانية، وتظهر في الأعمال الفنية كأثينا، معتمرة الخوذة وحاملة القوس والرمح، إشارة إلى أحد أهم مظاهرها، كإلهة حرب وقتال، كما تصوّرها بعض النقوش، واقفة بين أسدين، وقد نقلت أسماؤها المركبة مثل وهب اللات إلى اليونانية بوهب أثينا.

خاتمة:

لم تكن الغاية من أعداد هذه الدراسة، تعداد أسماء الآلهات الإناث، بقدر ما قصدنا إلى إظهار الوحدة الحضارية الشاملة، التي كانت تربط كل أجزاء الوطن العربي الواحد، وتأثير البيئة الجغرافية على كل منها.

فهي من منشأ واحد وأصل واحد سواء كان ذلك في بلاد الرافدين أو الساحل السوري أو وادي النيل أو الجزيرة العربية.

وقد انتقل تأثيرها إلى الغرب عبر الساحل السوري المنفتح، كما تأثر بها كتَّاب التوراة. والهدف الثاني من هذه الدراسة، هو معرفة واقع المرأة في حضارات الوطن العربي منذ القديم، وعلاقاتها الاجتماعية المتأرجحة، والرواسب التي خلقتها لنا في حياتنا الحاضرة، فالمرأة كانت أما وأختا وحبيبة وكانت السيدة المطاعة والآمرة الناهية كما كانت الأَمة المستضعفة الباكية والحزينة، وستبقى النشيد الذي لا يمل تكراره:

«هي كلمة الأشجار والأوراق

وهي همسة الصخور والحجارة

ووشوشة السماء للأرض

وغمغمة الأغوار للنجوم»

محمد وحيد خياطة

مدير آثار ومتاحف حلب

أ ـ لمحة جغرافية وتاريخية :

تنحصر أراضي القطرين السوري والفلسطيني بين جبال الأمانوس شمالا وصحراء النقب جنوباً وساحل البحر الأبيض المتوسط غرباً والبادية السورية شرقا، ولاتشكل هذه الأراضي وحدة جغرافية منسجمة. ففي الغرب تقع الجبال الساحلية الممتدة من الشمال الى الجنوب، جبال الأمانوس والنصيرية وجبال لبنان الغربية وجبال فلسطين مع غور الانهدام الجيولوجي الذي يقطع ترابط تسلسلها ويسير في مجراه نهران كبيران هما نهر العاصي ونهر الأردن مع بعض البحيرات مثل بحيرة طبرية والبحر الميت، وفي الشرق خلف الشريط الساحلي تنهض بعض المرتفعات الجبلية التي تشكل حاجزاً طبيعياً أمام البادية السورية لايمكن استثماره زراعياً، وتخترقه بعض الواحات الوارفة مثل دمشق وتدمر اللتان تسمحان بنشوء حضارة.

مما تقدم نرى أن البلاد تفتقر إلى عنصر موحد يجمعها مثل نهر النيل في مصر أو دجلة والفرات في بلاد مابين النهرين، وعوضاً عن ذلك تتخلل أراضيها مجموعة كبيرة من الوديان والأنهار الصغيرة التي لاترتبط ببعضها.

لم يتقصر التباين في سوريا وفلسطين على الناحية الطبيعية فقط بل شمل أيضا النواحي الزراعية والاقتصادية والحضارية فبعض المناطق الساحلية وخاصة عند مصب الأنهار كانت خصبة جداً وغزيرة الأمطار مما ساعد على نشوء مستوطنات منذ أقدم الأزمنة. استغلت موقعها على البحر لأغراض التجارة، فالكنعانيون كانوا

حرفيين مهرة وصناعاتهم المعدنية ذات شهرة عالمية واسعة جابوا البحار طولا وعرضا للبحث عن الذهب والفضة والتوتياء، وكانوا يستخدمون التوتياء لمزجه مع النحاس لاستخراج البرونز، وقد وصلوا في تجارتهم الى مصر وقبرص وجزيرة كريت وشمال أفريقيا واسبانيا، ولم يقتصر دورهم على الوساطة التجارية فقط بل قاموا هم أنفسهم بتصدير المنتوجات المحلية ذات السمعة الدولية الممتازة مثل الزيوت والخمور والحبوب، وبخاصة أخشاب الأرز في جبال لبنان التي تعتبر من النفائس القيمة لأغراض البناء في مصر وبلاد الرافدين.

وكانت الغابات العذراء الطبيعية تغطي معظم الجبال الساحلية، وعندما استهلكت في تجارة الأخشاب، استغل السكان أراضيها لأغراض الزراعة.

وبالمقابل استوطن الفلاحون أول مااستوطنوا منحدرات الانهدام والواحات الخصبة، في حين بقيت أطراف الصحراء والبادية مراعي للحيوانات المستأنسة يقيم في جوانبها سكان البدو الرحل، وكان هؤلاء البدو ينتقلون على أطراف الصحراء من موقع الى آخر بحثا عن الكلأ والمرعى لمواشيهم، وقد يدخلون المدن ويستقرون فيها وغالبا ماكانت تتم المقايضة بينهم وبين سكان المدن، وانعكست هذه العلاقات على صفحات العهد القديم في عهد الآباء الأصول لبني اسرائيل.

كان الحكام يقيمون داخل مدن صغيرة محصنة وكانت هذه المدن منتشرة في كافة أنحاء البلاد، ويتألف السكان من طبقتين، طبقة الحرفيين والصناع وهي الطبقة المتوسطة التي كان يعتمد عليها الحكام، وتنظم ضمن مجموعات حرفية، وطبقة النبلاء وهي الطبقة الاقطاعية المؤلفة من كبار ملاكي الأراضي والعبيد والأقنان التي كانت تشكل القوة العسكرية الضاربة قوامها سلاح العربات والفرسان منذ منتصف الألف الثاني ق.م.

ان تقسيم البلاد الى دويلات كثيرة متناثرة كان له نتائج وخيمة على مستقبل البلاد السياسي، وهو أنه ساعد في بعض الأحيان على خلق توازن سياسي بين الأقطار المختلفة إلا أنه كان عقبة كأداء أمام نهوض دولة مركزية موحدة قادرة في الملمات على صد الغزو الخارجي ودرء أخطار الدول العظمى عنها، وعندما كانت تجتمع هذه الدويلات ضمن تحالف عسكري أمام عدو خارجي، فقد كان تحالفها مؤقتا سرعان مايتفكك بزوال الأسباب التي دعت إليه. والأسوأ من ذلك الأمر أن تلك الدويلات كانت في حالة مخاصمات مستمرة تتربص الواحدة بالأخرى طيلة

الألف الأول قبل الميلاد من تاريخها السياسي في المنطقة، ومما ساعد على عدم نشوء استقرار سياسي في سوريا وفلسطين انهما كانتا تشكلان عقدة مواصلات هامة تربط أرجاء العالم القديم وجسراً تمر فوقه القوافل التجارية القادمة من هضبة الأناضول الغنية بالمعادن الى الجزيرة العربية ومن ضفاف النيل الى ضفاف الفرات وهذا ماجعلها محط أطماع الدول الكبيرة المجاورة، ولم تنعم الدولتان بالاستقلال والحكم الذاتي إلا في فترات قصيرة جداً، وفيما عداها كان يتناوب على حكمهما الغرباء.

وقد ثبت من الناحية الأثرية أن أقدم المستوطنات في فلسطين تعود الى العصر الحجري القديم، إذ تم العثور على هيكل عظمي بشري في جبال الكرمل من عصر نياندرتال، وان دل هذا على شيء فإنما يدل على قدم المستوطنات البشرية في عصور ماقبل التاريخ أما في العصور التاريخية المدونة وثائقياً، فمن المعروف أن أقدم حملة مصرية على فلسطين كانت من عصر السلالة المصرية الأولى حوالي عام ٢٨٠٠ ق.م، حيث خلد الفراعنة انتصاراتهم على مسلات النصر التي نصبوها في شبه جزيرة سيناء وأول حملة مصرية على سورية كانت في عصر السلالة المصرية السادسة حوالي عام ٢٣٠٠ ق.م. ولم تقتصر الحملات على سورية من جهة الجنوب فقط (مصر) بل شملت أيضا الغزوات من جهة الشرق (بلاد مابين النهرين) اذ يذكر كل من لوكال زاجيزي وصرغون أنهما وصلا بحملاتهما الى شواطىء البحر الأبيض المتوسط.

وتزودنا نصوص اللعنة المصرية التي كانت تستخدم في الشعوذة ضد الأمراء السوريين بمعلومات مفصلة عن السكان والمدن، ويتضح من هذه النصوص أن السكان لم يكونوا كلياً من الأصل السامي وإنما طغى العنصر السامي في أوقات لاحقة نتيجة الهجرات المتتالية وقد امتص السكان الأصليون هذه الهجرات حتى ضاعت ملامحهم وانصهرت، وشكل الساميون أغلبية السكان منذ نهاية الألف الثالث ق.م.

وبدأوا ينطلقون على شكل موجات بشرية متدفقة من سورية باتجاه شمال بلاد الرافدين، واستطاعوا أن ينتزعوا الحكم هناك ويؤسسوا سلالات حاكمة عرفت باسم (السلالات الكنعانية الشرقية أو السلالات العمورية) وقد بلغوا أوج الازدهار الحضاري السامي في عصر الملك حمورابي الذي عرف بالعصر البابلي القديم.

ومنذ نهاية حكم السلالة المصرية في عهد الدولة الوسيط حيث كان حكم الفراعنة ضعيفاً استطاع السوريون أن يشكلون امارات صغيرة كثيرة، ونحن ندين

بالفضل في معلوماتنا عنها إلى محفوظات مدينة ماري على أواسط الفرات، ومن هذه الامارات (قطنا) والاسم الحديث (مشرفة) و (كركميش) والاسم الحديث (جرابلس) وزلما قوم (حران) ويمحاض التي كانت عاصمتها حلب.

وكانت تضم هذه الأخيرة ضمن حدودها الادارية عشرين امارة صغيرة، وقد توسعت مملكة يمحاض باتجاه الغرب، وقد اثبتت أعمال التنقيب الأثرية الانكليزية في تل العطشانة (انطاكية) وجود حاضرة في مدينة (ألالاخ) كان يقيم فيها أحياناً ملوك دولة يمحاض، وكانت أوغاريت تقع على حدود مناطق النفوذ المتنازع عليها بين المصريين وحكام بلاد الرافدين فكما عثر على بضائع ونفائس مصرية عديدة عثر أيضاً على أختام اسطوانية من عصر حمورابي، ولم يقتصر الأمر على هاتين الدولتين فقد عثر أيضاً على بضائع وكماليات من محيط الحضارة الكريتية والمسينية

وعندما خف الضغط المصري على سورية منذ مطلع القرن السادس عشر قبل الميلاد بسبب حكم الغرباء (الهكسوس) في مصر استطاع الحوريون أن يخضعوا سوريا إلى مناطق نفوذهم، والحوريون شعب من أصل غير سامي استغل سقوط الدولة الحثية في الأناضول وضعف الامبراطورية الآشورية في بلاد الرافدين فتوحد تحت زعامة طبقة نبيلة من أصل آري وأسس دولة كبيرة عرفت باسم الدولة الميتانية وجعل عاصمتها (واشوكاني)، وكانت هذه الدولة تمتد من أقصى شمال بلاد الرافدين من جبال زغروس حتى الفرات الأوسط، وتوسعت غرباً حتى شواطىء الساحل السوري، ونلاحظ التأثير الحوري في المنطقة من خلال النصوص المسمارية المكتوبة باللغة الحورية والمكتشفة في أوغاريت وفي الرسائل المتبادلة مع فراعنة مصر والمكتشفة ضمن أرشيف تل العمارنة في مصر الوسطى، ومن أسماء الأشخاص المعروفة في سوريا وفلسطين.

وعندما صلب عود الدولة الحثية من جديد وصحت مصر من غفوتها خلال حكم (الهكسوس) عادت سورية من جديد لتكون محور النزاع بين الدولتين العظميين، وكانت معركة قادش بين مواتللي الحثي حوالي (١٣٠٥ - ١٢٨٠ق.م)، ورمسيس الثاني حوالي (١٢٩٠ - ١٢٢٣ ق.م) المعركة الحاسمة في رسم حدود مناطق النفوذ في سورية بين الحثيين والمصريين، فاقتصر المصريون في مد نفوذهم على فلسطين والساحل الفينيقي، في حين اكتفى الحثيون بشمال سورية.

والأوغاريتيون الذين نالوا حظاً وافراً في مضمار التقدم والازدهار الحضاري

منـذ النصف الثـاني من القـرن الـرابـع عشر ق . م حوالي (١٣٥٠ق . م) عرفوا كيف يستفيـدون من الـوضع المتأزم بين الدولتين المتخاصمتين لصالحهم ، فكانوا يقدمون الـولاء والطـاعـة للمصريين حيناً وللحثيين حيناً آخر حسب قوة أو ضعف الدولتين ، ويتمتعون بالاستقلال الذاتي في حالة ضعف هاتين الدولتين وانشغالهما عنهم .

أمـا فلسطـين فعلى العكس من ذلك إذ كانت تخضع باستمرار للنفوذ المصري (الدولة المجاورة لها من الجنوب) واستطاعت فلسطين أن تتنفس الصعداء ردحاً من الـزمن منـذ أواخر حكم الفرعون المصري أمنوفيس الثالث من عام ١٤٠٢ حتى عام ١٣٦٦ ق . م وحكم ابنه أمنوفيس الرابع (اخناتون) وذلك من عام ١٣٦٦ حتى عام ١٣٤٧ ق . م .

وقد انعكس ذلك على الرسائل المتبادلة بين الأمراء الفلسطينيين وفراعنة مصر التي عثر عليها ضمن محفوظات تل العمارنة .

تضعضعت الـدولـة الحثيـة تحت ضربـات مهاجمين غرباء وسقطت نهائياً عام ١٢٠٠ ق . م . وقـامت على أنقـاضهـا بعض الامـارات الحثيـة والآراميـة في جنـوب الأنـاضـول وشـمال سوريـة التي استطاعت أن تصمد كدول مستقلة بضع مئات من السنين ، ولم تسلم سورية نفسها من هذه الموجة العارمة التي اكتسحت المنطقة حتى وصلت مصـر وهـددتهـا بالاجتيـاح وأوقف هذا الـزحف الجـارف رمسيس الثـالث (١١٩٧ ـ ١١٦٥ ق . م) ، ورد المهـاجـين العتـاة في معركة فاصلة براً وبحراً (في دلتا النيـل) ، وعـادت قوات الغـزاة على أعقابها باتجاه فلسطين فاستوطن قسم منها تحت اسم الفيلستر الساحل الفلسطيني ومن هنا جاءت تسمية فلسطين الحالية ، وتمركزت في خمس مدن ساحلية هي :

عكا وأسدود وعسقلان وجت وغزة ، وكانت هذه الدولة الفتية تشكل مصدر خطر دائم للقبائل الاسرائيلية البدوية التي كان دأبها أن تجد لها موطىء قدم في الأرض الكنعـانيـة ، وعلى أنقاض المدن الفلسطينية المحصنة التي دمرتها شعوب البحر قامت دول مدن كثيرة على أكتاف قبائل سامية كثيرة كانت تتمتع نسبياً بالاستقلال الذاتي خلال الألف الأول ق . م ، وهي التي حددت ملامح تاريخ سوريـا وفلسطين خلال تلك الفترة . . .

وقـد تقـاسم الشريط الساحلي كل من الشعبين الفلسطيني والفينيقي ، وحكم الفينيقيون مدن الدول الساحلية التالية : صور وصيدا وبيروت وجبيل ذات التاريخ

العـريق . أمـا اسرائيل ويهودا اللتان توحدتا لفترة قصيرة في ظل حكم داوود وسليمان فقـد اقتصـر استيطـانهـما على المناطق الواقعة غرب نهر الأردن ، واستقر على الضفة الأخـرى من النهـر الادوميون والموآبيون والعمونيون ، وكان أهم دول المدن الآرامية في الشـمال الـداخـلي من سورية : دمشق وحماة وتل بارسيب وسمأل (جعودي) ، وقد قامت معظم هذه الـدول على انقـاض الدولة الحثية ما عدا دمشق ، ولم يشهد الألف الأول قبل الميلاد قيام دولة سياسية موحدة إذ عادت أطماع الدول الكبرى إلى المنطقة من جديد بعد أن استردت عافيتها السياسية والعسكرية فاستطاعت مصر تحت حكم شوشنـك (٩٥٠ ـ ٩٢٩ ق . م) أن تجهـز حملة إلى جنـوب فلسطين ، كما قامت الدولة الآشـوريـة بحمـلات توسعيـة عديدة تجاه الغرب منذ عهد آشور دان الثاني (٩٣٢ ـ ٩١٠ق . م) وخلفـائـه وبخاصة في عهد العاهل الكبير آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣ ـ ٨٥٩ ق . م) .

ولم يبق أمـام حكام الامارات السورية ازاء هذا الخطر المحدق سوى التحالف والـوقـوف وقفة رجل واحد أمام التحدي الخطير ، وهكذا استطاع التحالف السوري بقيادة (برحدد) حاكم دمشق أن يرد الآشوريين على أعقابهم بقيادة سلما نصر الثالث (٨٥٨ ـ ٨٢٤ ق . م) في معركة قرقر الشهيرة ، ولكن اغتيال الملك الآرامي (برحدد) سهل على العاهل الآشوري اخضاع بقية الحكام السوريين وفرض عليهم الجزية .

وبعـد معـارك داميـة استطـاع الملك الآشوري تغلات بيلصر الثالث (٧٤٥ ـ ٧٢٧ق . م) أن يخضع الشمال السوري ويضمه إلى المملكة الآشورية ، وأن يترك بقية الممـالـك الآراميـة الصغـيرة على أطـراف الـدولة الآشورية تحكم نفسها ولكن تحت اشراف الآشوريين وقيادتهم . وتشكل تحالف سوري جديد حوالي ٧٣٦ق . م لمقاومة الاحتـلال الآشـوري إلا أن (أحـاذ) ملك يهودا رفض الانضـمام إلى هذا التحـالف واستنجـد بالملك الآشـوري تغـلات بيلصر الذي شن هجوماً واسع النطاق استطاع بواسطتـه اخضـاع سوريا بأكملها تقريباً حتى شمال الحدود الفلسطينية . كما استطاع أسـرحـدون ٦٨٠ ـ ٦٦٩ ق . م غزو مصـر لأول مرة وتمكن من أخـذ ابن الفـرعـون المصـري (تهرقة) أسيراً ، وتوغل آشوربانيبال (٦٦٨ ـ ٦٢٦) بن آسرحدون داخل الحدود المصرية حتى وصل طيبة ، وكان قد استعصى على الجيش الآشوري الغازي فتـح صور المحصنـة إلا أن ملكهـا (بعـل) اضطـر في نهايـة الأمـر إلى الاستسـلام للآشوريين ، وبذا يكون الأمراء السوريون قد وضعوا زمام الأمور كلها في يد الدولة

الآشورية، ولم يكن الأمراء السوريون والفلسطينيون أحسن حالاً بسقوط نينوى عام ٦١٢ق.م فهم ان تحرروا من ربقة القيد الآشوري سقطوا ثانية تحت الحكم المصري في عهد الفرعون (نحاو) ما بين عامي ٦٠٩ و ٥٩٤ ق.م ولم تنفع مقاومة ملك يهودا (يوشيا) للحكم المصري شيئاً.

وبعد المعركة الفاصلة في كركميش بين المصريين والبابلين سقطت البلاد غنيمة بيد نبوخذ نصر الثاني (٦٠٤ - ٥٦٢ ق.م) الذي فتح القدس عام (٥٩٨ ق.م) ثم دمرها عام ٥٨٧ ق.م.

ومنذ ذلك الحين لم يعد بمقدور سوريا وفلسطين التحرك الذاتي والقيام بأي دور سياسي في المنطقة، إذ أصبحت مقدرات الأمور بيد الفرس في ظل حكم قورش الثاني (٥٥٩ - ٥٢٩ق.م)، ومن ثم انتقلت إلى يد اليونانيين في عهد اسكندر المقدوني بعد معركة اسوس عام ٣٣٣ ق.م.

وكانت صور المدينة الوحيدة التي قاومت الاحتلال من أية جهة جاء مستغلة في ذلك وضع الجزيرة المحصن إلا أن الأعداء تمكنوا منها بعد ربطها بجسر مع اليابسة، وأنزل فيها المحتلون أقسى أنواع العقوبات بعد فتحها.

وعادت البلاد مرة أخرى إلى حلبة الصراع بين البطالمه من جهة والسلوقيين من جهة أخرى حتى فاز السلوقيون في نهاية الأمر، وخلال ذلك أعلنت امارات عدة استقلالها، وبدأ حكامها يدونون فترات حكمهم بتاريخ محلي خاص بهم إلا أن هذا الاستقلال لم يكن له أي تأثير مهم على مجريات الأحداث، كما حاول تيغرانز الأرمني (٩٤ - ٥٦ ق.م) أن يجد له موطىء قدم في شمال شرق سوريا إلا أن البلاد أصبحت برمتها مقاطعة رومانية منذ عام ٦٤ ق.م، وفقدت استقلالها السياسي منذ ذلك الحين.

بدأ الفينيقيون منذ نهاية الألف الثاني ق.م نشاطهم التجاري بتأسيس مستعمرات تجارية عن طريق البحر في كافة أنحاء العالم القديم، وتطورت هذه المستعمرات التجارية على سواحل البحر تدريجياً إلى مدن مستقلة، وكانت نواة هذه المستعمرات هي مدينة قرطاجة التي أصبحت حاضرة المستعمرات الجديدة، وكانت معظم المستعمرات تؤسس على شواطىء البحر وفوق الجزر وعلى سفوح الجبال، ولم يحاول المستعمرون اطلاقاً التوغل داخل البلاد إلا في حالات نادرة جداً، وكان لمدينة صور مستعمراتها الخاصة شرق قبرص حيث تأسست هناك سلالات فينيقية

حاكمة، كما استطاع الفينيقيون أن يؤسسوا مدناً في صقلية ومالطا وسردينيا، وكانت اسبانيا تجذب التجار الفينيقيين بما تملك من ثروات ضخمة من الفضة، وقد عثر على كتابات فينيقية في جزيرة إبيزا، وأسس القرطاجيون مدينة كاديكز وقرطاجنة (قرطاجة الحديثة)، وكان شمال أفريقيا محط أنظار الفينيقيين، ومركز تجمعهم التجاري، وكانت أقدم مستعمرة أسسوها هي مدينة (أوتيكا) ثم تبعها هبّورجيوس (ميناء بيزرت) ولفتيس عند خليج سرت، ولكن كانت قرطاجة الحديثة أهم من كل المستعمرات الأخرى، ويزعم بأنها تأسست عام ١١٠٠ ق. م من قبل حكام صور، وانفصلت عنهم عام ٨١٤ ق. م، ومنذ العصر اليوناني سقطت كل المستعمرات الفينيقية وأصبحت خاضعة للنفوذ اليوناني، ورغم ذلك بقيت بعض المقاطعات الفينيقية تكتب بالخط البوني وتتحدث اللغة البونية حتى القرن الثاني ميلادي مثل سردينيا.

كما بقي شمال أفريقيا يتكلم اللغة البونية السامية. واستطاعت جيوش قرطاجة أن تزعج الامبرطورية الرومانية الناهضة وتسبب لها مشاكل كثيرة خلال ثلاثة حروب؛ وانطفأت جذوة الحضارة الفينيقية في شمال أفريقيا حوالي عام ١٤٦ ق. م عندما تمكن السكان الأصليون من تأسيس دولة خاصة بهم.

ب ـ لائحة تاريخية

التاريخ التقريبي	سوريا	مصر	بلاد ما بين النهرين
٢٣٠٠ ق . م	أول هجوم مصري على سوريا	حكم السلالة السادسة نشاط تجاري مع جبيل	حكم السلاسة الأكادية
١٨٠٠ ق . م	نصوص اللعنة المصرية ضد الأمراء السوريين	حكم السلالة الثانية عشرة	
١٧٠٠ ق . م	دول الممالك في سوريا: قطنة وكركميش وزلماقوم ويمحاض		حمورابي في بابل (١٧٢٨ ـ ١٦٨٧ق . م)
١٤٠٠ ق . م	عصر العمارنة، التبادل الدبلوماسي بين مصر والأمراء السوريين	حكم السلالة الثامنة عشرة أمنوفيس الثالث (١٤٠٢ ـ ١٣٦٦) أمنوفيس الرابع (١٣٦٦ ـ ١٣٤٧)	حكم السلالة الكشية
١٣٥٠ ق . م	نقماد الثاني ملك أوغاريت تبادل الرسائل الدبلوماسية مع الحثيين .		
١٢٨٥ ق . م	معركة قادش تأسيس مدن فينيقية تجارية على الساحل	رمسيس الثاني (١٢٩٠ ـ ١٢٢٣ق . م)	
١٢٠٠ ق . م	هجوم شعوب البحر استيطان شعب الفيلستر على الساحل الفلسطيني دخول الأراميين إلى	رمسيس الثالث (١١٩٧ ـ ١١٦٥ق . م)	

	شمال سوريا، تأسيس دولتي ادوم ومؤاب وعمون شرق الأردن		
١٠٠٠ ق.م	عصر داوود واحيرام ملك جبيل		
٩٦٩ - ٩٣٦ ق.م	حيرام الأول ملك صور ممالك دمشق وحماة وتل بارسيب وسمأل الآرامية	سوشنك الأول (٩٥٠ - ٩٢٩ق.م)	
٨٥٣ ق.م	معركة قرقر		سلما نصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق.م)
٨٥٠ ق.م	ميشا ملك مؤاب		
٨١٤ ق.م	صور تؤسس مستعمرة قرطاجه		
٧٣٠ ق.م	شمال سورية جزء من الامبراطورية الآشورية		تغلات بيلصر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م)
٦٧٧ ق.م	أسرحدون يدمر صور	تهرقة (٦٨٩ - ٥٥٣ ق.م)	أسرحدون (٦٨٠ - ٦٦٩ ق.م)
٦٠٠ ق.م	السفن الفينيقية تجوب شواطىء البحر في شمال أفريقيا	نحو (٦٠٩ - ٥٩٤ق.م)	نبوخذ نصر الثاني (٦٠٤ - ٥٦٢ ق.م)
٥٨٩ ق.م	سقوط القدس بيد البابليين		
٣٥٥ ق.م	ثورة صيدا		
٧٠ ق.م	سوريا مقاطعة رومانية		

ج ـ مصادر الديانة السورية الأدبية ورواياتها :

لعبت سوريا دوماً دور الوسيط الحضاري في كل المجالات ، فكان تأثير الدول المجاورة عليها أقوى من أن تنهض بذاتها على أرضية مستقلة منغلقة على نفسها ، فإذا غضضنا النظر عن بعض المخلفات الحضارية السورية القديمة ، فسوف نجد التأثير المصري قد تسرب مبكراً جداً أعقبه التأثير الرافدي والكريتي والمسيني حيث يصح القول فعلاً أن سوريا كانت مهد الحضارات ، حيث انصبت فيها كل المؤثرات والتأثيرات الخارجية وتفاعلت فيها ، وقامت سوريا بتصدير المنتوج الحضاري المتمازج إلى الغرب . والانسانية بأكملها مدينة الى الفينيقيين في انجازها الحضاري الرائع باكتشاف الابجدية التي اقتبسها عنهم اليونانيون والآراميون منذ نهاية القرن التاسع وبداية القرن الثامن ق . م ، ثم أصبحت هذه الأبجدية مع بعض التعديلات الطفيفة مصدراً أساسياً لكل الكتابات الأبجدية المعروفة لدينا اليوم في العالم .
مصدراً أساسياً لكل الكتابات الأبجدية المعروفة لدينا اليوم في العالم .

ولكن هذا لا يعني أن الأبجدية السورية انبثقت من ذاتها دفعة واحدة دون سابق تمهيد فقد كتب المصريون في عصور أقدم لغتهم بالخط الهيروغليفي والأكاديون بالخط المسماري الذي اقتبسوه عن السومريين ، كما كان هناك محاولات في جبيل للكتابة بخط هيروغليفي مستقل ، وطور الأوغاريتيون الخط المسماري المعقد إلى أبجدية ذات أعداد محدودة من الحروف ، وتعكس هذه الأبجدية بترتيب حروفها المتتابعة (أبجد هوز . . .) الأصل الأول للكتابات السامية المعروفة ، وأقدم الكتابات الفينيقية المعروفة لدينا كانت مدونة على رؤوس الرماح ، وهي عبارة عن تعداد للأملاك الشخصية للأفراد وتعود الى القرن الثاني عشر ق . م . ثم يلي ذلك أقدم كتابة مطولة نعرفها مدونة على قبر أحيرام ملك جبيل حوالي الألف الأول ق . م .

وكان اسلوب الكتابة يقتصر على تسطير الحروف الساكنة فقط أما الحركات الصوتية فقد نشأت في وقت لاحق ، وبما أن المواد التي كانت تدون فوقها الكتابات من الحجر والمعادن فقد استطاعت أن تتغلب على عوادي الدهر وتبقى لنا محفوظة كما كانت في الأصل ، إلا أنها للأسف شحيحة بمعلوماتها ولا يمكن أن نستفيد منها في القاء الضوء على الحياة الفكرية والدينية لمؤلفيها ـ ، فهي غالباً ما تكون عبارة عن

نصوص تدشينية موجزة للمعابد أو تضرعات وابتهالات للأشخاص تتضمن أسماء أصحابها وأسماء المعابد أو الآلهة ولكن لا تحوي أي معلومات تاريخية واضحة بخصوص الدين وطقوس العبادة، مما يضطرنا الاكتفاء بدراسة أسماء الأشخاص اللاهوتية المركبة وأسماء الآلهة، ونبني من خلالها أفكارنا حول المعتقدات التي كانت سائدة في ذلك العصر

ونصوص التعاويذ التي يمكن أن تفيدنا في هذا البحث قليلة جداً وليس في حوزتنا سوى نص واحد عثر عليه في أرسلان طاش (انظر عفاريت) ونص لعنة مدون على لوح عثر عليه في قرطاجة بالاضافة إلى عدد من قوائم الأضاحي البونية من بينها نص جيد عثر عليه في مرسيليا، ونصوص مشابهة تم اكتشافها في قرطاجة. والقسم الأعظم من الكتابات المكتشفة في شمال أفريقيا كان عبارة عن نصوص تدشينية وتقدمات إلى الآلهة لا يغني مضمونها ولا يسمن حيث أنها تعتمد اسلوباً واحداً في الصياغة، مملاً مكرراً ذاته.

نظراً لقلة المصادر الأصلية التي أتينا على ذكرها آنفا كان لزاماً علينا أن نعتمد مصادر أخرى في جمع المعلومات وهذه المصادر ثانوية مأخوذة عن أصول أقدم وأهمها كتابات أوزيب من مدينة قيصرية وفيلون الجبيلي (انظر سانخيتون) المدونة باللغة اليونانية، وتحوي مقاطع من نصوص ذات أصل فينيقي ومؤلفات مؤرخين بيزنطيين اعتمدوا كتابات من سبقهم مثل هيسيشيوس ولوكيان وبلا تارخ ودمسكيوس.

ومن المصادر الثانوية الأخرى التي زودتنا بمعلومات عن الديانة السورية القديمة أسفار العهد القديم ورسائل تل العمارنة.

وتشكل النصوص الكتابية المكتشفة في أوغاريت (رأس شمرة) منذ عام ١٩٢٩ وحتى يومنا هذا أهم مصدر من مصادر معارفنا عن الديانة الكنعانية القديمة بلغتها الأصلية، وتتضمن هذه النصوص الأساطير والملاحم والأناشيد باللغة الأوغاريتية وهي لغة سامية غربية قريبة جداً من اللغة الكنعانية.

ويدور محور موضوعات الأساطير والملاحم حول الإله بعل وحول خرافات تتعلق بحوادث يقوم بها بشر مميزون مثل الحكيم دانييل والملك كرت.

ورغم أن بعض النصوص ناقصه أو مهشمة وبعضها الآخر لم يفهم مضمونه فهماً كاملاً بسبب بعض الاشكالات النحوية، إلا أن النصوص بمجموعها ثروة

ضخمة لا تقدر، حيث وسعت معلوماتنا عن الديانة السورية الفينيقية وعن الأساطير والخرافات وعلاقاتها مع الأساطير والخرافات السومرية والأكادية والحورية والحثية من جهة والأساطير اليونانية والرومانية من جهة أخرى.

كما ساعدتنا النصوص في القاء الضوء على غوامض النصوص المقدسة في أسفار العهد القديم، فأصبحت أكثر فهماً وأسهل تناولاً بعد اكتشاف المتشابهات والتي كانت أشبه بالألغاز والأحاجي. ناهيك عن القيمة الأدبية والفنية لمضامين نصوص أوغاريت فقد زودتنا بمعلومات وافية عن كيفية تركيب الصيغ الشعرية والتوريات والمجازات وصنوف التلاعب بالألفاظ المختلفة التي تؤدي معنى واحداً، لم تكن النصوص الأدبية المختلفة هي الوحيدة التي تم اكتشافها في أرض أوغاريت الثرة فإلى جانبها كان يوجد قواميس ومعاجم ونصوص تعليمية وقوائم جغرافية تتضمن أسماء المدن والبلدان وقوائم ادارية تحوي أسماء الموظفين والواقفين والهبات إلى الآلهة ووثائق تتعلق بشؤون السياسة والتجارة والحكم، وهذه الأخيرة كان معظمها مدوناً باللغة الأكادية، وكل هذه النصوص تعطينا فكرة شمولية عن حياة العصر التاريخية والحضارية ويعتقد أن تدوينها حدث في فترة حكم الملك (نقماد) لأوغاريت حوالي ١٤٠٠ ق. م، عندما وصلت أوغاريت أوج التألق الحضاري.

ولكن هذا لا يعني أنها وضعت في ذلك العصر بل لها جذور أقدم من ذلك بكثير تناولها الخلف عن السلف مشافهة حتى تم تدوينها.

(وقد ثبت فعلاً أن مضامين نصوص أوغاريت أقدم بكثير من عصر تدوينها بعد اكتشاف محفوظات ابلا (تل مرديخ) التي ترقى بتاريخها إلى الألف الثالث ق. م، ولم تكن ابلا مكتشفة حين وضع هذا القاموس «المعرب»).

د ـ ماهية الديانة السورية:

يصعب علينا في الوقت الحاضر اعطاء فكرة كاملة عن الديانة السورية الفينيقية القديمة وذلك بسبب قلة معارفنا من جهة ونقص المصادر وندرتها وتوزعها على مدار حقب تاريخية مختلفة من جهة أخرى ولذلك لن نستطيع وفق هذه المعطيات التوسع والاسهاب في خصائص الديانة السورية والاتيان على كل تفاصيلها وسوف نكتفي برسم الخطوط العريضة لها.

ولا يغرب عن البال أن الوثائق التي بين أيدينا هي وثائق رسمية تتحدث عن الديانة المعلنة للطبقة الحاكمة في البلاط، أما الديانة الفعلية لعامة الشعب التي تتجلى في الصلوات والابتهالات فلا نعرف عنها الشيء الكثير لقلة المصادر المتوفرة، ولم تغن هذه المصادر في الخمسين سنة الماضية، ولذا سوف تبقى الديانة السورية بحاجة إلى دراسات أوسع لنتمكن من الاجابة على أسئلة لم تزل غامضة. (ربما تصبح معارفنا أكثر غنى عند الانتهاء من دراسة رقم ابلا المكتشفة في تل مريخ والتي هي قيد الدراسة من قبل لجنة دولية «المعرب»).

وإذا كانت سوريا تعاني طيلة تاريخها المديد من التشرذم والتشتت والصراعات الداخلية المحلية وعدم وجود سلطة سياسية مركزية واحدة، ومن خضوعها لتأثيرات حضارية أجنبية، فإن ذلك لم ينعكس اطلاقاً على وحدة فكرها الديني، فقد كان يتمتع باستقلالية واستمرارية وثبات فريد. بدليل أن الظواهر الدينية كانت تأخذ أشكالاً وأسماء مختلفة في مناطق عديدة في سوريا إلا أن الأساس الديني كان في جوهره كلاً واحداً متجانساً لا نشاز فيه عبر كل الحقب التاريخية التي قطعتها سوريا، وهذا ما أثبتته الأساطير الأوغاريتية، ونفت بذلك كل الادعاءات الباطلة التي تزعم عدم وجود مجمع ديني كنعاني واحد، وقد جاءت مضامين هذه الأساطير متوافقة مع المعلومات التي زودنا بها (سانختنون) فيما لو كان (سانخيتون) شخصية تاريخية عاشت فعلاً.

صحيح أن الديانة الكنعانية لم يكن لها منهج كهنوتي منظم تنظيماً صارماً كما نعرف ذلك في ديانات شعوب الحضارات المجاورة مثل الحضارة المصرية والرافدية إلا أنها لم تشذ عن المألوف، رغم أنها خضعت لتطورات كثيرة عبر آلاف السنين شملت تحولات كثيرة في التصورات الدينية إذ اختفت آلهة عديدة من مجمع الآلهة الكنعاني وحلت محلها آلهة أخرى، ولم يقتصر تبدل الآلهة على تصورات محلية بل شملت تبني آلهة أجنبية تبوأت مراكز لها داخل «البانثيون» الكنعاني.

وإذا صعب علينا أن نصنف الديانة الكنعانية تصنيفاً دقيقاً ونضعها ضمن اطارها الملائم فليس من الصعب أن نحدد تصورات الشعب الكنعاني الدينية في مبدأين أساسيين:

١ ـ عملية الخلق الكوني من قبل إله خالق.

٢ ـ عملية الإنجاب والخصب وما يرافقها من ظواهر طبيعية أخرى مثل المطر

والرعد والعواصف.

لذا ليس من قبيل الصدفة أن يورد (فيلون الجبيلي) ذكر زوج الآلهة (أورانوس) إله السماء و(جه) إلهة الأرض. لأن إله السماء كان منذ البدء يتربع قمة الهرم الإلهي، وقد ورد في إحدى قوائم الأضاحي من ماري ذكر اسم إله شمس السماء (دينجر ـ أوتوشاشمة) إلى جانب اسم إله الشمس الأكادي في بلاد الرافدين (شاماش)؛ وقد رتب (إدريمي) ملك (ألالاخ) أسماء الآلهة في النص المشفع بتمثاله بحيث يأتي اسم إله السماء (دينجر شامو) في أعلى القائمة ثم تأتي بعده أسماء آلهة السماء والأرض.

وكان الإله (إيل) يحتل في الأساطير الأوغاريتية مرتبة إله الكون الخالق مع زوجته (أثيرة) بكل جلاء. وتصفه النصوص بأبي الآلهة وخالق الأرض، وقد جاء هذا الوصف في كتابة (كاراتبه)، وفي كتابة أخرى من (لفتيس) مدونة باللغة البونية الحديثة وفي كتابات تدمر، وينازعه في مرتبته هذه الإله (بعل) في أوغاريت الذي يطغى عليه ويحد من صلاحياته، ثم يصبح هو إله السماء المطلق تحت اسم (بعل شميم) رغم أن كتابات (كاراتبه) لم تزل تورد اسمه إلى جانب الإله (إيل) خالق الأرض دون أن يكون له وضع مميز خاص، إلا أنه يقف على رأس الآلهة البعول التي يقسم بها في مدينة (تيروس)، وفي عصر لاحق أخذت تنتشر عبادة بعل بسرعة. وتتميز الديانة السورية في العصر الهليني بأنها ديانة سماوية حتى أن بعض الآلهة التي لم تكن في الأصل آلهة سماوية أصبحت تكتسب صفات وملامح إله الشمس؛ ولم يقتصر تقديس عبادة الشمس في عصور لاحقة على منطقة الشرق القديم فقط بل تسربت إلى صلب الديانة الرومانية، ولكن علينا أن نؤكد أن عبادة الشمس والقمر لم تكن لها تلك الأهمية في الأساطير الكنعانية القديمة التي عرفناها فيما بعد.

وطبيعي أن تتجه أبصار الناس إلى تقديس مصدر الخصوبة والعطاء، وخاصة في المناطق الزراعية التي لا تعرف وسائل الري التقنية، وتعتمد اعتماداً كلياً على مياه الأمطار وكرم السماء؛ وكان يجسد هذا العطاء السماوي الإله (بعل/ هدد) ومساعدوه من العفاريت الذين يشخصون الرياح والصواعق والأنواء الجوية، وكان يرمز إليه برسم الصاعقة والثور المقدس الذي يجسد قوى الحياة، وعندما يختفي بعل عن سطح الأرض يعم الجفاف والمجاعة وتحل الكوارث والمصائب في البلاد ولا يصلح أمرها إلا عودته إليها، وبعودته تعود الأمور إلى نصابها وتنبعث الحياة من جديد ومن هذا

المنطلق نفهم سبب تقديسه في أماكن مختلفة فوق الجبال وفي المدن حيث يدعى سيد مدينة كذا . . وتتحدث عنه أسفار العهد القديم بصيغة الجمع (بعول) وإذا اختلفت ظواهر الإله من مكان إلى آخر حسب ما تقتضيه طبيعة المنطقة الواحدة إلا أن صفاته الأساسية تبقى في جوهرها دون تعديل أو تغيير.

ولا يذكر نسب له سواء في نصوص أوغاريت أو في كتابات المؤرخ الجبيلي فيلون ، ومن الطبيعي أن يكون هناك آلهات خصوبة كثيرة إلى جانب الإله بعل ، كانت تناط بهن عملية الاخصاب في الانسان والحيوان على حد سواء والطريف في الأمر أن يسمين بالعذروات رغم انجابهن العديد من الآلهة والبشر وكان يطلق عليها اسم آلهات الأمومة أو سيدات (بعلات مؤنث بعل) ، ومن أشهرهن أثيرة (أم الآلهة) وعناة وعشتارة ، وكانت هذه الأخيرة تتقدم على غيرها من الآلهات وتحظى دون غيرها بقصب السبق في مجمع الآلهة الكنعاني بظواهر وأسماء مختلفة ، وقد تندمج مع غيرها من الآلهة المؤنثة لتظهر باسم جديد مثل (أترجتيس) ، وتظهر على المنحوتات عارية مع التأكيد على ابراز عضوها التناسلي حيث أنها تجسد قوى الخصب والحياة الجنسية في الطبيعة ولدى البشر ، وتشترك مع عناة في صفاتها القتالية والحربية وفي شعارها الذي هو الأسد وغالباً ما تصور عارية فوق حصان مجهزة بقوس ونبال ترمي بهم أعداءها .

ويتحدث كثير من النصوص عن أعمال عنيفة قامت بها عناة وسببت دماراً ومآسي لا تحصى ، وقد اختلط الأمر على كتّاب أسفار العهد القديم في التمييز بينها وبين عشتارة لكثرة ظواهرهما المشتركة والعديدة مما أدى بهم إلى استخدام صيغة الجمع لاسم عشتارة فجاء الاسم عشتروت المعروف والذائع كثيراً .

إلى جانب هاتين الإلهتين اللتين تمثلان مركز الثقل في الديانة السورية القديمة كان يوجد آلهة أخرى مختلفة الوظائف والمهام مثل (موت) إله الموت والعالم السفلي و (رشف) إله الأوبئة وغير ذلك كثير. . .

وقد تتعدد أسماء الآلهة، وتأخذ صيغاً بيئية محلية تختلف من مكان إلى آخر، إلا أن وظائفها لا تتغير في كل الحضارات، وفي كل الأزمنة.

والجدير ذكره أن الآلهة التي تلعب أدواراً رئيسة في الأساطير والملاحم المعروفة لا تلعب الأدوار ذاتها في الحياة الدينية اليومية والعكس صحيح ، فالإله (ليم)

المعروف من خلال أسماء الأشخاص المركبة في مدينة ماري لا يرد اسمه في قوائم أسماء آلهة المدينة، وكان للإله (دجن) معبدان في أوغاريت ويرد اسمه مراراً وتكراراً في النصوص النذرية ومع ذلك لا يلعب أي دور في الأساطير،وعلى النقيض من ذلك كانت الأسماء المركبة من اسم عناة قليلة جداً ونادرة ومع ذلك تحتل عناة مركزاً مرموقاً في الأساطير الأوغاريتية.

ويبدو أن آلهة مغمورة بدأت تتسلق قمة الهرم الإلهي منذ منتصف الألف الثاني ق.م، وتزيح آلهة قديمة عن مواضعها لتنصب نفسها مكانها، وهذا ما حدث فعلا بالنسبة للإله الشاب (بعل) الذي استطاع أن يصل عرش أبيه (إيل)، وكان يمثل أجيال الآلهة الشابة الطموحة.

وقد تأثرت مصر نفسها في عصر الدولة الحديثة بالديانة الكنعانية وعبدت عدداً من آلهتها وأدخلت عدداً آخر في أساطيرها، ومنذ حوالي الألف الأول ق.م نتعرف على آلهة لم تكن سابقاً ذات شأن، وكانت في الأصل آلهة محلية ذات نشاط محدود. ثم تطورت لا لتؤثر في ديانة المنطقة فقط بل أثرت في معتقدات وديانات العالم الغربي أيضاً مثل (أدونيس) و (اشمون) و (ملقارت)، وبتأثير الحضارتين اليونانية والرومانية أصبحت الآلهة السورية مساوية للآلهة الأجنبية، فـ (إيل) أصبح مساوياً للإله (كرونوس/ جوبتير. والإله ملقارت للإله (هرقل) وهكذا...

وانفردت الديانة الفينيقية في شمال أفريقيا بتطور مستقل حيث تأثرت كثيراً بعناصر أجنبية من الديانات الأخرى (انظر تينيت وبعل حمون وبعل قرنيم).

أما فيما يتعلق بطريقة تقديم الأضاحي واسلوب ممارسة الطقوس فليس لدينا معلومات كافية عنها ونعتقد أنها لا تختلف كثيراً عما جاء وصفه في أسفار العهد القديم، وكانت تقام احتفالات الطقوس الدينية من قبل رجال الدين أنفسهم، وكانت أشهر هذه الاحتفالات تتعلق بعبادة الإله (أدونيس)، وفي عصر لاحق تحولت هذه الاحتفالات لتصبح ضرباً من ضروب الصوفيه الغامضة. كما انتشرت شاعت عادة البغاء المقدس واستخدام الخصيان داخل معابد عشتارة، ولم تقتصر اقامة الشعائر الدينية على معابد صغيرة وبسيطة داخل المدن، بل كانت تقام أيضاً فوق قمم الجبال وفي السهول على شكل دوائر مشيدة من الحجر أو تحت أشجار

مقدسة ، وقد يكون موضوع التقديس عبارة عن حجر منتصب في العراء على شكل مذبح ، والأضاحي لا تكون من النباتات والحيوانات فقط بل تشمل أيضاً البشر وربما الأطفال (انظر مولوخ) .

أ

أتار جتيس :

إحدى الإلهات الرئيسة في سوريا الشمالية في العصر الهليني، وكان يطلق عليها في العصر الروماني (إلهة سورية)، واسمها مركب في الأصل السرياني من (عتار) و (عتا) أي (عشتار) و (عناة).

وكانت تشكل مع (حدد) و(سيميوس) الأقانيم الثلاثة في المدينة المقدسة (بامبيكة) إلا أنها كانت أكثرها شعبية. وإذا كان حدد قد اتخذ من ظهر الثور عرشاً له فإن عرش (أتارجتيس) كان يحيط به أسد من كل جانب، وبما أنها تشخص الخصوبة والحياة الرغدة المنعمة فقد اتخذت من السنبلة وفن البناء شعاراً لها، وكان لها شكل السمكة في مدينة عسقلان وتعبد باسم (دركتو).

لا نعرف شيئاً عنها في الأساطير إلا أن المؤرخ (لوكيان) أسهب في وصف معبدها الذي جددته (ستراتونيكة) زوجة بطليموس الثاني، وأتى على ذكر الاحتفالات المقدسة التي كانت تقام فيه.

ومن أشهر هذه الاحتفالات موكب (سميون) إلى البحر الذي يقام سنوياً مرتين، وتجلب فيه مياه من البحر وتصب في شق تحت المعبد، ويعتقد أن المقصود من هذا الطقس هو احياء ذكرى الطوفان في النفوس حتى لا تمحوه الأيام كما يفسر بأنه عملية استسقاء لتنزل الأمطار بواسطة السحر والشعوذة أو أن الغاية منه أن تتم المصالحة بين الآلهة الأرضية المتخاصمة فيما بينها، وقد يرمز موكب الاحتفال المتجه إلى بحيرة الأسماك المقدسة إلى طقوس الاغتسال المقدس.

وكان يتم الاحتفال في الربيع باشعال النيران ورفع المشاعل بحضور عدد كبير من الحجاج كما تحرق الأشجار المزدانة بضروب شتى من الأضاحي والهدايا، وقد يصل الانفعال التأثري ببعض الكهان المعروفين باسم (جالا) إلى حد الهوس فيخصون أنفسهم ويرتدون ثياب النساء وحليهن.

ومما يشير إلى صفات الخصب التي كانت تتمتع بها الإلهة (أتارجتيس) وجود

الحيوانات الأنيسة في مروج معبدها المقدس.

وكانت (أتارجتيس) تتمتع بشعبية كبيرة في سوريا وخاصة في دمشق وعسقلان ودورا وتدمر وغير ذلك كثير، وحظيت بنفس الشعبية في آسية الصغرى خلال العصر اليوناني وكذلك في مقدونيا، وقدسها اليونانيون والرومان وبنوالها معابد في (دلوس)، وكان نيرون من المعجبين بها في وقت من الأوقات.

وتشبه في صفاتها عدداً من آلهات الخصب اللواتي يلقبن بالسيدة الكبيرة، وارتبطت عبادتها بنوع من الهلوسات الدينية الغامضة التي استمرت حتى بعد ميلاد السيد المسيح بوقت قصير.

أثيرة:

١ ـ تظهر هذه الإلهة التي وفدت أرض الرافدين من الغرب في عصر السلالة البابلية الأولى زوجة لإله البدو (عمورو) وكانت تسمى (أشات عموري أي انثى عمورو)، ويصفها حمورابي في أحد نصوصه النذرية بكنة ملك السماء وسيدة الفخامة والملذات، وكانت تلقب في عقود البيع والشراء بـ (أشراتوم ـ أمي) أي أشراتوم هي أمي.

وصلت عبادة أثيرة إلى بلاد ما بين النهرين بواسطة الكنعانين (من سوريا «المعرب») وأصبحت كنة إله السماء (آن) في مجمع الآلهة البابلي، وعرف اسمها مركباً في أسماء الأشخاص المدونة في نصوص تل العمارنة مثل (عبدي أشيرتا) أحد ملوك عمورو، وفي إحدى الرسائل المكتشفة في تل تانك ورد اسم أوبان أثيرة أي كاهن أثيرة.

عرفت أثيرة في المصادر العربية الكتابية من جنوب الجزيرة العربية، ويعتقد أن وطنها الأصلي كان هناك ثم شاع ذكرها وانتشر اسمها في المصادر الأخرى، والاسم المذكر لها هو (أثير) ويعني الصديق والعزيز، وهو اللقب الذي تمتدح به إلهة النخيل العربية مما يسهل علينا فهم وظيفتها كإلهة الأشجار والأنصاب وقد يعني اسمها اللمعان والضياء (أ ـ ث ـ ر) وإذا صح هذا الافتراض فتكون أثيرة إحدى آلهات الكواكب الشمسية.

٢ ـ أثيرة في أسفار العهد القديم:

لا يفهم معنى الاسم جيداً في نصوص أسفار العهد القديم وغالباً ما يفسره الدارسون على أنه أداة طقسية مصنوعة من الخشب (سوف اعتمد ترجمة الشواهد في النص على ترجمة الكتاب المقدس طبع القاهرة ـ دار الكتاب المقدس عام ١٩٦٨ «المعرب»).

(بل تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم «خروج ٣٤ : ١٣»).

(ولكن هكذا تفعلون بهم تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم وتحرقون تماثيلهم بالنار «تثنية ٧ : ٥»).

(ولا يلتفت إلى المذابح صنعة يديه ولا ينظر إلى ما صنعته أصابعه السواري والشمسات «اشعياء ١٧ : ٨»).

(كذكر بنيهم مذابحهم وسواريهم عند أشجار خضر على آكام مرتفعة «ارمياء ١٧ : ٢»).

(وكان في تلك الليلة أن الرب قال له خذ ثور البقر الذي لأبيك وثوراً ثانياً ابن سبع سنين واهدم مذبح البعل الذي لأبيك واقطع الساريه التي عنده. «قضاة ٦ : ٢٥»).

«لدى الرجوع إلى نصوص الكتاب المقدس باللغة العبرية يتبين أن اسم أثيرة يكتب أشيرة والترجمة العربية تعيده على شكل ساريه وتجمعه سواري «المعرب»).

من الشواهد التي أتينا على ذكرها يصعب علينا فهم المقصود من اسم الإلهة أثيرة أوعشيرة أوسارية، وقد ورد اسمها في الترجمة اليونانية للكتاب المقدس (ألسوس)، وعلى كل حال يعتقد كثير من الباحثين أن الاسم يشير إلى الإلهة ذاتها أو إلى أحد رموزها التي تشير إلى الخصب.

وقد شك دارسو العهد القديم بادىء ذي بدء أن يكون هذا الاسم اسم علم لاحدى الآلهات حتى جاءت مكتشفات نصوص أوغاريت فأزالت هذا اللبس، وقد جاء في سفر الملوك الأول أنه كان لأشيرة (٤٠٠) نبي، ولبعل (٤٥٠) نبي.

(والآن أرسل وأجمع إليّ كل اسرائيل إلى جبل الكرمل وأنبياء البعل الأربع مئة والخمسين، وأنبياء السواري الأربع مئة الذين يأكلون على مائدة ايزابيل. ١٨ : ١٩).

وقد مر معنا في الرسالة المكتشفة في تل تانك اسم كاهن يتضمن اسم الإلهة

أشـيرة، ويقـال عن (معكـة) أم الملك) (آسـا) أنهـا صنعت (مفلصت) للإلهـة أثيرة (مفلصت في الترجمة العربية للكتاب المقدس تمثال الإلهة «المعرب»).

ويعتقد الدارسون أن هذه الكلمة تعني أداة من أدوات الفجور الجنسي.

(حتى أن معكة أمه خلعها من أن تكون ملكة لأنها عملت تمثالاً لسارية وقطع آسا تمثالها وأحرقه في وادي قدرون. «سفر الملوك الأول ١٥ : ١٣»).

كما قام ملك يهودا منسّى بنصب تمثـال الإلهـة في المعبـد (ووضـع تمثال السارية التي عمـل في البيت الـذي قال الـرب عنـه لداود وسليـمان ابنـه: في هذا البيت وفي أورشليم التي اخـترت من جميـع أسبـاط اسرائيل أضع اسمي إلى الأبد. سفر الملوك الثاني ٢١ : ٧) إلا أن الملك يوشيا أمر بإزاحته من المعبد وتدميره وتخريب منازل البغاء الجنسي الشاذ (اللواطة) حيث كانت النساء تنسج فيه رموز الإلهة وشعاراتها المقدسة: (وهدم بيوت المأبونين التي عند بيت الرب حيث كانت النساء ينسجن بيوتاً للسارية. «سفر الملوك الثاني ٢٣ : ٦».

واستبـدل اسم أثـيرة في الترجمة اليونانية باسم عشتارته أو عشتر وت أو جعلت مساوية لها.

٣ ـ أثيرة في نصوص أوغاريت:

على الرغم من أن أثيرة لم تلعب دوراً بارزاً في الأساطير الأوغاريتية مثل (عناة) إلا أنها كانت تحتل بلا شك أعلى مراتب الألوهية في مجمع الآلهة، واسمها الكامل مع اللقب هو (ربت أثرت يم) الذي يعني (ربة اليم أثيرة).

ويتضح من معنى الاسم أنها الربة التي تسير فوق مياه اليم، إذ أن جذر الاسم في اللغة الأوغاريتية (أ ـ ث ـ ر) وفي العبرية (أ ـ ش ـ ر) ويعني السير (وربما يقابله في اللغة العربية سري، الذي هو السير ليلاً «المعرب»).

وأعطى الاستاذ ناخميدس التفسير نفسه لمعنى الاسم في شرحه للنص المتعلق بعبادة الإلهة أشيرة (انظر تثنيه ١٦ : ١٢).

وعـلاقـة أثـيرة بالبحر علاقة قلما تذكرها النصوص الأوغاريتية، إلا أن خادمها ورسولها (قدش عمر) يوصف بصياد البحر التابع للربة أثيرة أو بصياد أثيرة، ويرد في أحد النصوص غير المفهومة جيداً أن الإلهة أثيرة تعرت كلياً من ملابسها ورمت بها في البحـر، إلا أن هذا لا يعني قطعـاً أنهـا كانت إلهـة من آلهات البحر، إذ أن جلجامش

الـرافـدي قام بنفس العمـل عنـد أحد الأنهار إلا أن ثيابه كانت متسخة ؛ وفي قصيدة شحر وشالم يرد المقطع التالي :

«سكان الجزيرة وأبناء البحر

أولئك الذين يرضعون من ثدي أثيرة» .

ويتضـح من هذا المقطـع أن المقصود بسكان البحر ليس الآلهة فقط بل الحكام والملوك أيضاً ولا يوجد في النص ما يوحي بأن الإلهة أثيرة كان لها علاقة ما بالبحر مثل أفـروديت اليـونـانيـة ، وقد تلقب أثيرة أحياناً بـ (قنيت إيلم) ، الذي ربما يعني خالقة الآلهـة مثلما كان يلقب (إيـل) بخالق الخلق ، ونحن لا نشك في أنها كانت فعلاً سيدة الآلهة وأمهم وقد ورد ذكر اسم سبعين إلهاً من أولادها في أحد النصوص .

ورغم أن النصوص لا تؤكد أو تنفي اقترانها بكبير الآلهة (إيل) كزوج غير أن اسمها الذي تحمله أحياناً بصيغة (إيل) المؤنثة (إيلة) يشير إلى ارتباطها به .

كانت أثيرة تعبد في مدينة صور حسب ما جاء في ملحمة (كرت) وأكدت على ذلـك نصـوص أسفـار العهـد القـديم ، إذ أن ايـزابيـل ابنة اثبعل ملك صور فرضت عبادتها مع الإله بعل على الديانة اليهودية ، وهي إلهة مدينة صيدا الرئيسية

٤ ـ مكانة أثيرة وشخصيتها في نصوص أوغاريت :

احتلت أثـيرة مكـانـاً مرمـوقـاً إلى جانب الإله إيل في النصـوص الأوغـاريتية المدروسة إلا أن دورها لم يكن فعالاً بما فيه الكفاية ، ففي الأساطير التي يدور محورها حول الإله بعل نراها منهمكة بإعداد أحد الطقوس الدينية : تدير رأس مغزلها وتتعرى لترمي بثيـابهـا المتسـاقطـة إلى البحر ثم ترتب صفا من الآنية على النافذة وتبتهل إلى الإله (ايل) الغائب عنها ، وعندما يطول انتظارها تتوجه اليه ، وفي وقت لاحق يفاجئها بعل وعناة بحضورهما إليها فيسقط في يدها وتصاب بنوبة صرع كما هي العادة في مثل هذه الأحـوال عنـدمـا تستقبـل آلهات أوغاريت رسل الآلهة الكبار، فتتقصف قدماها وترتعد فرائصها ويتفصد منها العرق مدراراً وتشل مفاصلها عن الحركة ، وتفسير الحالة التي وصلت إليها أثيرة هو خشيتها أن تتلقى خبراً سيئاً عن أولادها شأنها في ذلك شأن أي أم تحنو على صغارها وتتوجس خيفة من أن يطالهم أي مكروه غير محمود العواقب إلا أن رهبتهـا سرعـان ما تزول عنـدمـا ترى الـذهب والفضـة مقدمان إليها من بعل وعنـاة ، وعنـدهـا تنفرج أساريرها ويرقص قلبها طرباً . ويبقى النص غامضاً حيث لا نفهم الغـايـة من تقـديم الذهب والفضة لها ، وبالتأكيد ليس دون مقابل ، وقد تكون

هذه الهدايا من غنائم الحرب التي جلبتها عناة من احدى غزواتها الحربية، ويبدو أنها تريد أن تشيّد بها قصراً للإله بعل، ويحول دون تحقيق هذه الرغبة الإله (أيل)، وهنا نفهم القصد من زيارة بعل وعناة، إذ يطلبان منها أن تؤثر على قرار كبير الآلهة إيل وتحمله على الموافقة على بناء القصر فتوافق أثيرة وتطلب من (قدشو عمر) أن يسرج لها حمارها لتشد الرحال عليه، وهي الإلهة الوحيدة من بين كل الآلهة التي تستخدم الحمار مطية في أسفارها، وبعدها تتوجه إلى الإله (إيل) الذي يقطن في منزل منعزل، فيستقبلها استقبالاً حسناً ويبثها أشواقه وحنينه مما يشير إلى أنه كان مغرماً بها، وبعد أن تبادله كلمات المجاملة وينتهيان من تجاذب أطراف الأحاديث الودية تعرض عليه ما جاءت من أجله فيوافق دون تردد (انظر أساطير بعل).

نستخلص مما تقدم أن الإلهة أثيرة كانت تقطن وحيدة في منزل مستقل غير معروف، ولا يوضح النص بشكل جلي موقعه في البحر، وعلى كل حال كان عليها أن تشد الرحال كلما اقتضى الأمر إلى الإله (إيل)، وقد دعا هذا الوضع الشاذ الذي يعيشه الزوجان بعض الباحثين إلى الافتراض أن الزوجين كانا يعيشان حياة مستقلة رغم ارتباطهما برباط الزواج، وهذا يعني أن الزوج لا سلطان له على زوجته، أو أن الزوجين كانا متخاصمين، ويعيشان كالغرباء حيث أن (إيل) أصبح شيخاً ولم تعد قواه الجنسية تشد من أزره في اشباع رغبات زوجته الجسدية فانفصلت عنه بسكن مستقل لتواتيها الفرصة في البحث عن شريك شاب يقاسمها دفء الفراش الزوجي.

يعزز هذا الافتراض ما جاء في نص كسرة لوح دونت عليها اسطورة حثية من أصل كنعاني، تقول الأسطورة: أن إله الطقس قام بزيارة ودية إلى الإله إيل (ايلكونيرشا) في منزله فلم يجده حاضراً هناك فتستقبله أثيرة في مخدعها وتراوده عن نفسه إلا أنه يقاوم اغراءها ويشكوها إلى زوجها ويسرد على مسامعه اتهام زوجته له بأنه أصبح عاجزاً عن التصرف تجاهها فيغضب إيل ويطلب منه أن يتسجيب لرغباتها الشبقة ثم يعمل على اذلالها وتحطيم عزتها.

تشير هذه الأسطورة دون أدنى ريب إلى تردي العلاقات الزوجية بين إيل وقرينته أثيرة وقد تم ذلك إما بسبب الوهن الجنسي المتعاظم مع كبر السن للإله إيل أو أن إيل لم يكن يعني لها شيئاً منذ بداية علاقتهما، ومهما يكن من أمر فإن العلاقة الجنسية التي كانت تشدهما إلى بعض انتهت إلى غير رجعة حيث تعد أثيرة نفسها لتصبح قرينة الإله بعل في نصوص أخرى، وقد مهد مضمون الأسطورة في النص

الخثي الطريق لها لتستبدل الشيخ بالفتى .

وتستعـرض إحـدى قوائم الأضاحي أسماء الآلهة ثم تأتي على ذكر أثيرة وبعل اللذين قدما معاً الأضاحي مما يوحي بأنهما ارتبطا فعلاً ببعض ، ويظهران معاً في أسفار العهد القديم كزوجين دون الإشارة إلى علاقات سابقة مع الإله إيل .

وتتحدث أساطير بعل في النصوص الأوغاريتية بما يناقض ذلك ، حيث تتوجه عناة بالحديث إلى الآلهة معلنة نبأ وفاة أخيها بعل بالكلمات التالية :

لتفرح أثيرة ، وليغن أولادها طرباً .
لتفرح الإلهة وكل أبناء جلدتها
فان العظيم بعل قد مات .
مات الأمير ، مات سيد الأرض .

نفهم من هذا المقطع أن الآلهة كانت سعيدة بموت بعل حيث لم تتأثر بفقدانه ولم تعلن الحداد عليه ، والوحيد من الآلهة الذكور الذي فجع به هو الإله إيل حيث يندبه في نص آخر ويطلب من أثيرة أن تختار خليفة له فيقع اختيارها على الإله (عشتار) .

أجيال الآلهة :

لا تتوفر لدينا للأسف شجرة عائلة كاملة عن أنساب الآلهة السورية الفينيقية حيث أن الأساطير الأوغاريتية لا تتعرض لها بشكل دقيق ، أما المعلومات التي زودنا بها فيلون الجبيلي وسانخينتون فهي مشوبة بتصورات يونانية ، ومن دراسة هذه المعلومات يتضح لنا أنه توالى عليها حكم أربعة أجيال من الآلهة ، ويتطابق وصف الجيل الأخير للآلهة مع مضامين الأساطير الأوغاريتية ، التي توضح العلاقات السائدة بينها . ويتربع الأخوان عليون (هيبستوس) و (بروث) قمة الهرم الإلهي ويتولد منها (أورانوس) و (جه) اللذان يعتليان سدة الحكم الإلهي بعد مصرع والدهما بواسطة الحيوانات البرية .

وينجب الزوجان عدداً كبيراً من البنين والبنات يذكر من أسماء البنين بيتيلوس (انظر بيت ايل) و (داجون) وأطلس (يقتله أخوه إيل) وإيل ، ومن أسماء البنات عشتارة وريا وديونه (بعلتيس) .

وينجب أورانـوس من احدى محظياته دماروس (زيوس ـ دماروس ـ عمورو؟) الذي ينجب بدوره الإله ملقارت (هرقل).

وإذا كانت الأسـاطـير الأوغاريتية تتحدث عن العلاقة الزوجية الشاذة بين إيل وأثـيرة حيث يعيش كل منهما مستقـلاً عن الآخـر فإن الحادثة نفسها تتكرر في روايات فيلون بين (أورانوس) و (جه)، وإيل (كرونوس) هو الذي يتصدى لأبيه لحماية أمه من تعسف وظلم الأب فيهرب أورانوس من ملاحقة ابنه فيلجأ إيل (كرونوس) إلى الحيلة ويطلب مبارزة الأب ليقتله في ساحة مكشوفة إلا أن إيل لا يتمكن من صرع والده إلا في السنة الثانية والثلاثين من اعتلائه عرش أبيه، وعندما يتمكن منه يبتر عضوه التناسلي.

وينجب إيـل نفسـه عدداً كبيراً من الأولاد، من علاقته مع الحورية (أنوبرت) منهم صبي يدعى (جنود) يضحي به للإله (أورانوس) في الأوقات العصيبة ويخلف من أختـه عشتـارتـه سبـع بنـات من العـمالقة وتلد إحداهن (أكلبيوس) أحد آلهة الشفاء بعلاقتها مع (صديقه)، كما يلد للإله إيل صبيان (باثوس) و(إروس)، وتهب له اخته (ريـا) سبعـة أطفـال من بينهم إلـه الموت (موت)، وينجب من ديونه (بعلتيس) سبع بنات، وللإله (إيل) صبي آخر يدعى (صاريدوس) يقتله إيل نفسه.

ومن بناته (فرسفونه) التي توافيها المنية وهي عذراء و (أثينا).

ويتميز الجيل الرابع من الآلهة في النصوص الأوغاريتية باعتلاء بعل عرش أبيه (إيـل) بعـد طرده من منصبـه وكـان هذا معـروفاً لدى فيلون الجبيلي الذي يضيف أن الحكم كان لعشتـارتـه وزيوس ودماروس وأدودوس (حدد / بعل)، وينصب كرونوس الأخير ملكاً على كل الآلهة والبلاد، ولكن فيلون لا يشعرنا أن بعل انتزع عرش أبيه بالقوة.

أدونيس :

إلـه من آلهـة الخصب السـوريـة ورغم أنـه سوري الأصـل لم تعرف عبادته في سوريـا إلا في عصـور متأخـرة، ويعني اسمـه (أدون) السيد و (أدوني) سيدي ولحقت بالاسم النهاية اليونانية (س) للدلع، وأقدم الوثائق اليونانية التي تأتي على ذكره تعود إلى القـرن الخـامس قبـل الميـلاد ولكن الكتـابات المكتشفة في سوريا لا تذكره لا من

قريب ولا من بعيد، ويعتقد أن السبب في ذلك يعود إلى أن أدونيس لم يكن إلها من الآلهة الرئيسة في سوريا ولذلك لم تقدم أضاحي باسمه، رغم أن عبادته كانت منتشرة بشكل واسع في أرجاء العالم القديم.

تتحدث الوثائق عن الاحتفالات السنوية التي كانت تقام من أجله في (عز الصيف؟) يكثر فيها البكاء والنحيب على فقدانه في كل من أثينا حوالي **٤١٥** ق. م والاسكندرية منذ عصر بطليموس الثاني وفي جبيل حوالي القرن الثاني ميلادي وفي أنطاكية حوالي **٣٦٢** ميلادي، ووصلت عبادته روما أيضاً حوالي القرن الأول ق. م.

وكان يرافق طقوسه العهر الجنسي المقدس في جبيل كما ذكر المؤرخ (لوكيان) في كتابه آلهة سوريا؛ وكان يتم الزواج الإلهي المقدس في الاسكندرية بينه وبين الإلهة (أفروديت/ عشتارتة)، ولا تتحدث الكتابات صراحة عن بعثه بعد الموت إلا أن ظهوره في جبيل حياً في اليوم الثاني من موته يشير إلى بعثه.

وكانت الأزهار الذابلة المصورة على الصحون والأواني (حدائق أدونيس) ترمز دون أدنى شك إلى موت الإله.

تتضارب الروايات العديدة في مضمونها عند الحديث عن أسطورة أدونيس التي كانت تروى خلال الاحتفالات بعيده، فقد تسربت إليها عناصر مصرية (أوزيريس) ورافدية (دوموزي/ تموز) ويونانية (أتيس)، ولكن أكثر الروايات شعبية والمأخوذ بها هي رواية (لوكيان) التي تجعل قبرص موطن الأسطورة، فأدونيس ابن الملك (كنيراس) (انظر كوثار) نشأ وترعرع وشب عن الطوق في قبرص وتعرف على ملكتها بالتي (بعلة، مؤنث بعل). وحسب رواية أخرى يتعرف على أفروديت (عشتارته) التي تقع في غرامه وتصفه الرواية بالصياد أو الراعي فتثير في ذلك غيرة زوجها أريس الذي يتخذ شكل الخنزير ويقتل عشيق زوجته أدونيس عند أفقا في لبنان، وقد شيد عند قبره معبد شهير استمرت العبادة فيه حتى عصر قسطنطين الكبير.

وسال دم الإله المقتول ليمتزج بنبع نهر ابراهيم ويصبغ مياهه باللون الأحمر القاني (نهر أدونيس قديماً) ويرافق جريان مياه النهر حتى تصب في البحر.

عندها توجهت أفروديت إلى العالم السفلي لتحرر عشيقها المغدور من براثن الموت إلا أن مساعيها لم تكلل بالنجاح الكامل إذ أن إلهة العالم السفلي (فرسفونه) لم تسمح بعودته إلى الأرض إلا نصف عام سنوياً.

والتقاليد المتبعة في الاسكندرية والتي تقضي بالقاء تمثال أدونيس في البحر

وأزهـاره الحـدائقيـة في المـاء توحي بأن الإله مات غرقاً، ولكن لا يمكن الجزم في هذا الموضوع نظراً لقلة المصادر المتوفرة بهذا الشأن.

وهنـاك روايـة أخـرى تتحدث عن عثور (فرسفونه) على الطفل أدونيس داخل صنـدوق من الخشب فتحمله إلى العـالم السفلي وتحتفظ به هناك وتحت الحاح ومطالبة أفـردويت الشديدة تسمـح بإعادته مدة نصف عام سنوياً. نفتقد في هذه الرواية قصة موت الإله التي تبر ز شخصيته المميزة.

لا نرى صدى لهذه الأسطـورة على صفحـات العهـد القـديم وربـما كان تموز الرافدي هو المقصود بجملة (عشيق النساء ـ دانيال ١١ : ٣٧) ويعادل تموز في سورية الإله أدونيس، وتذكره ورقة البردي الكبيرة والمحفوظة في متحف اللوفر بباريس كإله من آلهة العالم السفلي تمارس عليه طقوس عملية الاغتصاب الجنسي، ولا نرى للإله صوراً منحـوتـة في سوريـة إلا أن رسمـه يزين المـرايـا الاتـروسكيـة والجـرار الرومانية واللوحات الجدارية في بومباي.

أرصي:

إحـدى البنـات والـرفيقـات الثـلاث للإله بعل وتسمى أختاها (بدراي وطلي) واسمها مشتق من (أرص) الذي يعني الأرض وقد لحقت به النسبة فأصبح (أرصي)، ولم يفهم معنى لقبهـا (بت يعبـود دار) ويعتقـد أن الشطـر الأول من الاسم يشبه جذر الكلمـة العـربيـة وعب أي اتسـع ودور من الـدائرة، المحيط وبذا يكون معنى اللقب الـذي أصبـح اسم علم (بنت العـالم الـواسع)، وبما أن اختيها تمثلان ظواهر الطقس والنوء، لذا يعتقد أن لها نفس الوظيفة. ولكن هذا الافتراض لم يتأكد بعد، وانطلاقاً من معنى الاسم يفترض أنها تجسد الأرض الواسعة التي تستقبل إخصاب الإله بعل الممثل بالمطر.

أسطورة أقهات:

دونت هذه الاسطـــورة على ثلاثـــة ألـواح طينيـة بعضهـا مهشم، ويتحـدث مضمـونهـا عن رجـل صالـح اسمه دانييل حكم عليه القدر أن يكون بلا عقب فيقدم الأضـاحي للآلهـة لاستدرار عطفها ويقيم شعائر طقوس الموتى لأسلافه ويعمل على

حماية والده ضد الأعداء ويشارك في ولائم الإله بعل في معبده ويبر بوالده حيث يصطحبه إلى البيت عندما يكون ثملاً ويحافظ على بيته مصاناً ويغسل ثيابه المتسخة.

بعد سبعة أيام من الابتهالات المتواصلة يرق له قلب بعل ويتوسط لدى الإله إيل ليمنحه الخصب. وفعلاً تتم الإرادة الإلهية وتلد زوجته صبياً.

واحتفاء بهذا الحدث العظيم يقيم دانييل حفلاً رائعاً لمدة سبعة أيام على شرف الإلهة (كوثارات)، وبعد انقطاع في النص نرى دانييل قاضياً حكيماً عادلاً ينصف الأرامل واليتامى ويقتص لهم من الظالمين بالقسطاس.

ومرة يرى دانييل إله الفنون والحرف (كوثار) يقترب منه حاملاً في يده قوساً، فيأمر زوجته (دينيتيا) بأن تعد وليمة فخمة احتفاء بالإله الزائر، فيسر الإله بالضيافة الكريمة، وقبل أن يغادر مضيفه شبعان ريان متوجهاً إلى منزله يهديه القوس. ويعطي دانييل القوس بدوره إلى ابنه اليافع (أقهات) ليتعلم به الصيد والقنص في البراري، وهنا ينقطع النص ثانية بسبب التخريب الذي لحق باللوح ثم يدور الحديث حول وليمة قائمة.

عندما تشاهد (عناة) القوس في يد الصبي اليافع يتملكها شعور جارف بحب اقتنائه فتعرض على أقهات ذهباً وفضة ليتنازل لها عنه إلا أنه يرفض باصرار وحزم، ويعدد فضائل القوس المصنوع من خشب أرز لبنان وأوتار الثور البري وقرون الماعز الجبلي وأوتار من ركب ثيران عديدة ومن القصب؛ فإذا كانت ترغب في امتلاك مثل هذا القوس عليها أن تحضر هذه المواد إلى الإله (كوثار)، وهو بالتأكيد لن يرفض لها طلباً، وسوف يصنع لها قوساً شبيهاً بالذي عنده.

إلا أن الإلهة تصر على موقفها في امتلاك القوس المنشود منه، وتعرض عليه مقابل ذلك الحياة الأبدية، فيرد عليها (أقهات) بأنه لا يطمح بالخلود ويفضل أن يقاسم الناس الفانين مصيرهم الدنيوي. ويتهمها بالخداع والغش وعدم مقدرتها على منح الخلود، بالاضافة إلى أنها غير ماهرة في استخدام سلاح المقاتلين الأشداء فتضحك منه عناة وتهدده بالانتقام لتصرفه الأهوج، وغير المسؤول تجاهها، وتنطلق مسرعة إلى منزل والدها (إيل) وتهدده بأن تخضب شعر رأسه الأشيب بالدم ان لم يستجب لرغبتها ويحقق امنيتها، ولايملك الأب الطيب العجوز حيال ابنته الدموية إلا أن ينفذ أوامرها؛ عندها تقفل عناة عائدة إلى أقهات؛ وبعد انقطاع طويل في النص

نرى عناة تحيك المؤامرات مع كائن يدعى (يطفن) لقتل البطل الشاب.

تخبأ عناة (يطفن) في جيبها بعد أن حولته إلى عقاب، وتطير به مع سرب من العقبان فوق رأس الشاب الذي كان يهيء نفسه للجلوس ليتناول طعامه فيذهل بما يرى ويسقط في يده، فينقض عليه (يطفن) ويسلب منه حياته، فتصاب عناة بوخزات الضمير فتنفجر بالبكاء والنواح، ويعتقد أنها لم تكن تقصد قتله وإنما تأديبه، ولكن سبق السيف العذل.

يتابع النص المدون على الوجه الآخر من اللوح الأول سرد الأسطورة؛ ورغم أن السطور الأولى من اللوح مخربة ولا يمكن قراءتها جيداً نفهم من بعض الأسطر أن القوس الذي مات أقهات من أجله قد تحطم وضاع، وأن عناة مضطربة وخجلى من فعلتها، وقد أصاب الأرض الجفاف بسبب الجريمة الشنعاء. ثم نرى دانييل أنه لم يزل في مركزه قاضياً يحكم لليتامى والأرامل بالعدل، وفي لحظة يرى ابنته (بوغات) تقترب منه، وعندما تشاهد الأرض القاحلة والحقول العطشى، والعقبان تحوم فوق رأس أبيها تجهش بالبكاء، ويمزق الوالد المحزون ثيابه متضرعاً مبتهلاً إلى السماء أن تنجده بالغيث المحبوس عن الأرض العطشى (ان تضرع الأب غير واضح تماماً في النص وهناك احتمالان لتفسيره، اما لجلب المطر أو لانحباسة كعقوبة على مقتل ابنه؟ والاحتمال الأول أكثر رجحاناً؛ . ثم يمتطي حماراً ويتجول عبر الحقول الميته عطشاً، ويمسك سنبلة بيده مداعباً إياها ومقبلاً متمنياً على ولده (أقهات) أن يجمع سنابل الحقل ويخزنها في المستودعات. وفي هذه اللحظة يتقدم منه بعض الخدم ناحبين نادبين ليعلنوا له مصابه الأليم بفقدان ولده، فيقسم دانييل أن ينتقم من قتلة ابنه شر انتقام، وبما أنه يرى العقبان تحوم فوق رأسه في السماء يدعو الإله بعل أن يحطم أجنحتها ويرميها أمام قدميه حتى يتمكن من فحصها ويستخلص من أحشائها بقايا جثة ابنه ليواريها الثرى، إلا أن بحثه يذهب أدراج الرياح في البداية ثم يكتشف بقايا اللحم والعظم في أحشاء العقاب (صمل) فيقوم بدفنها ثم يهدد بقية العقبان بأن الإله بعل سوف يكسر أجنحتها إذا حاولت هي الحومان فوق قبر ولده ويلعن ثلاث مدن تقع بالقرب من موقع الحادث ويؤوب بعدها إلى قصره ويأمر بالحداد على ولده سبع سنين.

وتصلي بوغات إلى الآلهة وتطلب منها مباركة أعمالها التي سوف تقوم بها لأخذ ثأر أخيها، ثم تتبرج بالمساحيق وتعطر نفسها بأطايب الروائح الزكية وتتمنطق بالسيف

وتجهز نفسها بالأعتدة العسكرية وترتدي فوقها ألبستها النسائية وتنطلق.
وعنـد غروب الشمس نراهـا عنـد سكان الخيام الـذين يعلمون (يطفن) بقدومها، وعند هذه النقطة يكون الكلام موجزاً في النص فلا ندري القصد من توقفها عند البدو، والبدو الذين يخبرون (يطفن) بإقامة (بوغات) عندهم يبادرونه القول بالكلمات التالية: تلك التي استأجرتنا؟ ويعتقد أنها كانت تطمح في مساعدة (يطفن) لها في البحث عن قاتل أخيها دون أن تدري أنه هو القاتل، فيستضيفها (يطفن) ويحسن وفادتها، وعندما تفعل الخمرة في رأسه فعلها المؤثر يعترف بأنه هو الذي قتل أخاها فتتمالك (بوغات) نفسها وتعطيه المزيد من الخمر، وهنا يتوقف النص عن سرد الأسطورة، ونجد تكملته على لوح آخر تحت عنوان: «انظر بيتا» الذي ينهي المشهد بقطع (بوغات) رأس (يطفن) الثمل بحد السيف الذي كانت تخفيه تحت ردائها.

تثير هذه الأسطورة في نفوسنا موضوعات شتى معروفة لدينا من خلال الكتاب المقدس، فقصة مولد أقهات تذكرنا بمولد اسحق وشمشون وصموئيل ويوحنا المعمدان.

وتختتم الأسطورة بالنهاية السعيدة للبطل الذي يبعث حياً، وبعودته للحياة تخضر الحقول وتخصب المراعي، وهنا نجد تشابهاً آخر يذكرنا ببعث الإله بعل من بين الأموات.

وقد أشار الاستاذ (ت. هـ. غستر) إلى مضمون مشابه في أسطورة (أوريون) اليونانية، إذ تتحدث الأسطورة اليونانية عن صياد شاب جميل يغضب إلهة الصيد بتصرفاته الرعناء فتعمل على قتله، ثم ذوقت الأسطورة باضافات رمزية كثيرة في وقت لاحق حيث يتحول الصياد الشاب إلى نجم (أوريون) في السماء يختفي في نهاية نيسان ليشرق ثانية في تموز وخلال مدة اختفائه من صفحة السماء تنحبس مياه الأمطار وتجف الأرض وتقحل، ولا يغرب عن الذهن أن الأسطورة ترمز بالنجم الأسطوري إلى تقلبات الطقس وأثرها على خصوبة الأرض الزراعية خلال فصول السنة.

الشر:

يرد ذكر كائن في ملحمة (كرت) باسم (الشر) مع زوجته أو بالأحرى زوجاته، عندما كان الملك مريضاً والبلاد تئن تحت وطأة الجفاف والجوع، ويعتقد أن القصد من استدعاء (الشر) بواسطة التعويذات في الملحمة، هو أن يبل الملك من مرضه،

ويخلص البــلاد من غائلة الجــوع والجفــاف. ويلقب (إلش) في التعــويـذة باللغـة الأوغـاريتيـة (نجـار بيت بعـل) وتحمـل زوجتـه نفس اللقب بالصيغـة المؤنثة (نجارة الإلهـات)، وتنحصـر مهمتهـا في الصعود إلى سطح المنزل، ولا نستطيع معرفة المزيد بسبب النقص في النص المشوه، ويعتقد أن كلمة نجار لا تعني حرفة النجارة بقدر ما تعني استدرار عطف السماء لينزل المطر بواسطة السحر وأعمال الشعوذة. كما أن أصل معنى اسم (إلش) لم يعرف بعد.

آلهة الطب والشفاء:

١ - إشمون:

عرف هذا الإله في وقت متأخر نسبياً، وكان يدعى في أحد نصوص عقود الإله بعـل في صور (دينجـر: - يا - سو - مو - نو) ولم يكن له شأن يذكـر بين الآلهة الكبيرة، ورغم ذلـك كانت عبـادتـه منتشرة بشكل واسع، وموطنه الأصلي هو مدينة بيروت ثم انتقـل إلى صيـدا ومنهـا إلى قبرص وسـردينيا وأفريقيا، وقد شيد له معبد في بيرزة في قرطاجة، كان يجتمع فيه مجلس الشيوخ في الأوقات العصيبة.

ونتعـرف على وظيفته كإلـه شفـاء من خلال الروايات اليونانية والرومانية التي تضعـه مسـاويـاً للإلـه (أسكـولاب)، وكـان يدمـج اسمـه مع اسم الإلهة عشتارة أو ملقارت، ولا نعرف ما الذي يجمعه بهما، وربما أخذ عن الإله ملقارت فتوته وشبابه، ولم تفلح كل المحاولات في تفسير معنى الاسم (إشمون) وقد فسر في القديم كل من (فيلون) و(دمسكيـوس) الاسم كما كان متـداولاً بين الشعب، وذلك أنه يعني الثامن (فينيقي)، ويؤكد هذا الادعاء أن (اسكولاب) هو الابن الثامن من (صديق) (انظر أجيـال الآلهـة)، وهنـاك تفسـير آخر يعتمد على الرواية التالية التي تتضمن كثيراً من صفـات (أدونيس وأتيس وكيبـل) الأسطـوريـة تقـول الأسطورة: أن إشمون الشاب الفتى كان في رحلة صيد فوقعت الإلهة الأم (استرونه) «احدى ظواهر الإلهة عشتارة» في غرامـه وبـدأت تلاحقـه بلهفـة دون هوادة مما اضطـره لأن يخصي نفسه فيموت إثر ذلـك، ولكن الإلهـة تتمكن من إعـادتـه إلى الحيـاة بحرارة الدفء الإلهي وتجعل منه إلهاً، ومن هنا جاءت تسميته(إشمون)حيث أن كلمة (ايش) تعني النار.

أما صفته كإله شفاء فلا تدعمها الأساطير من قريب أو بعيد.

٢ ـ شدرفا:

يذكر هذا الإله لأول مرة في كتابة فينيقية من عمريت تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد ولكن علاقته في النص غير واضحة، وكان معروفاً في قرطاجه وقد شيد له مذبح هناك، وكذلك في مدينة (لفتيس ماجنا).

وتـذكـره كتابات تدمر مرات عديدة، ويعتقد أن المنحوتات التي تصور إلهاً شاباً مع الثعـابـين والعقـارب هي له، وقـد اكتشف نصبـان في (معـد) يـذكـران إلهـاً باسم (سـاتـرافـه)، ربـما كان اسم الـدلـع لـ(شـدرفا) وتذكره كتابة عثر عليها في كيليكيا بنفس صيغـة الاسم المـدلع. ويصف (باوزنياس) إلهاً شاباً باسم (ساترافه) كانت له صورة منحوتة في (إيليس) دون لحية يتكىء بكلتا يديه على رمح.

وكـان لقب الإلـه (كـوريباز) ساترافه، ويعتقد أن (زرباز) هو أحد أولاد الإله (صـديق) الـذي يذكـره (سـانخينتون) في كتاباته. وعرف عن أولاده أنهم هم الذين اكتشفـوا علاج المـرض بواسطة الحشائش والتعاويذ السحرية، وكان (إشمون) نفسه واحداً منهم، ويعتقد أن فيلون قد التبس عليه نسبهم فوزعهم على جيلين، وهم في الحقيقة من جيل واحد.

ويشير اسم الإله (شدرفا) إلى وظيفته الطبية فهو مؤلف من شد ورفا، الذي يعني شد الشافي.

وقـد وصلت عبـادتـه إلى مصر خلال حكم الأسـرة الثامنة عشرة ويشبه هناك بأوزيريس المنقذ ويعني اسمه في اللغة العبرية عفريت ويأتي دائماً في صيغة الجمع، ويكتب في اللغـة الأكـاديـة (شـدو) ويركب من اسمه في اللغة الفينيقية اسم (ج ـ ر ـ ش ـ د) الذي يعني خفير الحماية المرسل من الإله (شد)، ويركب من كلمة (رفا) التي تعني الشفاء الاسم (بعل مرفا) ويظهر في الكتابات الأوغاريتية على شكل (رفو بعل).

ويتسـاوى في مرتبتـه الإلهيـة مع (ليـبر باتـر) الـذي يتحلى بصفات وشخصية (ديونيس) ويخاطب (ديونيس) نفسه باسم (إشمون) وعلى كل حال لا يشك أحد في صفات الإله (شدرفا) الطبية وكان متخصصاً في شفاء لسعات الثعابين والعقارب والحشرات.

ايل:

ـ اسم عام لفكـرة الألـوهية، وقد عرف هذا المصطلح في كل اللغات

السامية باستثناء اللغة الأثيوبية وكانت تنادى به الآلهة قبل ظهور الشعوب السامية على مسرح الأحداث التاريخية، ويظهر اسمه كثيراً في أسماء الأشخاص المركبة، وبمقارنته مع الأسماء اللاهوتية المركبة الأخرى يتضح أنه كان في الأصل اسم أحد الآلهة المعروفة.

وهنا لا يهمنا أن نتساءل هل كان (إيل) اسم علم لأحد الآلهة أويعني فكرة الألوهية عامة بل الأهم من ذلك هو السؤال فيما إذا كان الساميون في الأصل يعتقدون بفكرة الإله الواحد، وحول هذا الموضع تتباين آراء الباحثين والدارسين وتذهب مذاهب شتى، فمنهم من يقول أن الساميين موحدون في الأصل أوعلى الأقل قسم منهم أو أنهم كانوا يميلون إلى الأخذ بفكرة التوحيد وأن كلمة (إيلو) أو (إيل) كانت تعني لهم (الله تعالى).

في حين يصر بعض الباحثين على اعتبار (إيل) إلهاً كبقية الآلهة الكثيرة لكنهم أكثرهم وقاراً وأعلاهم مرتبة و(إيل) هو اسم علم ويدعم الفريق الثاني مزاعمه بالوثائق الآرامية والعربية الجنوبية ومؤلفات المؤرخين القدامى أمثال فيلون الجبيلي التي يرد فيها (إيل) اسم علم، وقد ورد على هذا الشكل أيضاً في كتابة (بنامو) الآرامية المكتشفة في سمآل(زنجرلي)، ويظهر على نصب السفيرة واحداً من بين الآلهة التي تصادق على توقيع عقد من العقود، ويقول عنه فيلون الجبيلي (انظر سانخينتون) أنه إله فينيقي يعادل الإله اليوناني (كرونوس).

وجاء القول الفصل في كتابات أوغاريت (رأس شمرة) لتضع حداً للجدل القائم إذ تذكر هذه الكتابات (إيل) اسم علم بين أسماء الآلهة الأوغاريتية الأخرى كما يعتقد أن (فيلون) اعتمد في تدوين معلوماته على تقاليد وأعراف موروثة أكثر قدماً من نصوص أوغاريت ورغم ذلك ما زالت الآراء متضاربة حول تفسير الاسم في نصوص أوغاريت فبعضهم يرجح أنه اسم ينادى به كل إله وبعضهم الآخر يصر عل كونه اسم علم ورأي الفريق الثاني أكثر رجحاناً حيث أن النصوص تتحدث عنه صراحة كإله كبير.

ـ أصل التسمية:

إن المحاولات التي بذلت في تفسير الاسم كثيرة جداً حيث أن الرأي السائد يزعم أن فهم معنى الاسم فهماً صحيحاً يساعد على فهم أصول الديانة السامية منذ نشوئها. وأكثر التفسيرات قبولاً هو أن اسم (ايل) مشتق من الجذر (أول) ولا يخفى

على الضـالعـين في اللغـة أن كلمـة أول تعني أشياء كثيرة من بينها (الرئاسة والسيادة والسلطة . .) أي أن الأول في كل شيء يتميـز عما يليه في الرفعة والسمو، ثم طرأت على الجذر الأجوف تغييرات وتحولات أدت به إلى الشكل الذي هو عليه الآن.

وهناك من يرفض رفضاً قاطعاً أي تفسير للأسم أو معرفة جذره.

شخصية إيل ودوره في الأساطير الأوغاريتية:

يتربع إيل قمة مجمع الآلهة الكنعانية في الأساطير الأوغاريتية فهو الذي أنجب أجيـال الآلهـة من زوجتـه (أثيرة) التي تعتبر كلها من عائلته باستثناء الإله بعل ويلقب بأبي البشر (أب آدم: أبو الآدميين) وبالمنجب خالق الخلق (باني بنوات)، وهو الذي منح الذرية للملك كرت (انظر كرت) دانـييل الحكيم (انظر أقهات) وكما أنه يملك القدرة على الخصب يستطيع أيضاً أن يصيب الناس بالعقم.

لم يعثر بين نصوص أوغاريت المكتشفة على أية أسطورة تتعلق بخلق الكون، ولكن هنـاك صدى لقصـة نشـوء الكـون في قصيـدة شحـر وشـالم ويحمـل إيـل لقب (قـونـيرشـا) في الأسطورة الحثيـة (إيـل كونيرشا)، ويعتقد أن هذا اللقب محرف عن الأصـل الكنعـاني (قـونـه أرص) أي خالق الأرض، وينـادي بهذا اللقب في كتـابـة (كـارتبـه) التي تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد وفي كتابة بونية عثر عليها في (لفتيس ماجنا) وفي نص تدمري، ويرد وصفه في (سفر التكوين ١٤، ١٨، ١٩، ٢٢) على الشكـل التـالي: (إيل عليون قونه شمايم وأرص) وترجمته (إيل عليون خالق السموات والأرض)، ويعتقد أن كلمة (قونه) لا تعني خَلَقَ وإنما ساد واستعبد ولا يستخدم هذا الفعل في اللغة الأوغاريتية إلا عند الحديث عن (إيل) وزوجته (أثيرة)، ولا يرد اطلاقاً بمعنى خلق الأرض (قـونـه أرص)، ومهـما يكن من أمر فإن نصوص أوغاريت تصفه بأبي الآلهة ومانح الخصب للبشر ولا يتطابق وصفه مع ما جاء في أسفار العهد القديم كخالق للكون.

وايـل هو الـوحيـد من بين الآلهـة الـذي يوصف بالملك لكونه (أبو الآلهة) ومن أوصافه أيضاً (الملك أبو السنين) أو (الملك، الأب المتعالي)، وبصفته ملكاً متوجاً على الآلهة فإنه يتدخل في كل صغيرة وكبيرة ولا يمكن أن يحدث أي شيء، دون الرجوع إليـه وأخـذ موافقته وهذا ما حدث فعلاً بالنسبة لبناء قصر الإله بعل (انظر بعل الفقرة

السـابعـة) حيث كانت عناة تسعى إلى الحصول على موافقة الإله (إيل) لبناء القصر بواسطة التقرب إلى (أثيرة) التي تملك قدرة التأثير عليه.

ولا تتردد عناة في استخدام القوة ضد أبيها (إيل) لارغامه على تنفيذ رغباتها، وتهـدده بالقتـل إن اقتضى الأمـر ذلـك كما حدث في أسطـورة أقهات عندما رغبت في امتلاك قوس الصياد الشاب (انظر أقهات).

ولم يكن استخدام العنف مقتصراً على عناة وحدها، فإلهة الشمس (شفتش)، تهدد الآلهة مرتين وذلك بأن الإله إيل سوف ينتزع منها العرش والسيادة.

ولا يرد ذكر لاجتماع الآلهة برئاسة (إيل) إلا مرة واحدة وذلك عندما يمثل سفراء أمـير البحـر (الإلـه يم) أمـامـه ويـرفضـون السجـود له ولبقيـة الآلهة بناء على أوامر زعيمهم، فتطأطىء الآلهـة المخـذولـة رؤوسها باستثناء الإله بعل الذي يندفع غاضباً شاهراً سلاحه.

ولا يفسر سكوت ملك الآلهة وهدوؤه على أنه ضعف بل على رزانته ورباطة جأشـه وطيبتـه وصـبره وحكمته أي على الصفات التي يجب أن يتجمل بها كل حاكم مثالي والتي تعبر عنها الكلمة العربية (حليم) خير تعبير.

وممـا لاشـك فيـه أن (إيـل) كان يتمتـع بالحلم والأنـاة إلى أبعد مدى وكان يضرب المثل به ويستخدم كوسيلة للتقرب إليه، كما أن حكمته كانت مصدر خير وطيبة لكل الناس حتى كان يوصف بفاعل الخير وإيل الطيب، وقد يدخل الفرح أو الترح إلى قلوب الناس ولكن لا يغضبهم اطلاقاً.

وقـد أخـذ الحـزن منه كل مأخذ عند وفاة بعل ولبس الحداد عليه، وسر سروراً عظيماً لا حدود له عندما علم بنبأ عودته إلى الحياة، وكان إيل يتصرف تصرفاً صبيانياً لا يليق ومركزه الإلهي المرموق ورغم أن النصوص الأوغاريتية التي تتحدث عنه مفعمة بالتعابير الشعرية والصور البيانية إلا أن ترجمتها تثير في نفوسنا (نحن أبناء اليوم) نوعاً من السخـريـة والضحـك، وإن كان تصـرفه لا يخلو من مشاعر انسانية رقيقة مفهومة لدى الشعب الأوغاريتي. إذ أخذ يضحك ملء فيه حتى ينقلب على قفاه، ويضرب الأرض بقـدميـه كطفل صغير ويشد على أصابعه لتصدر صوتاً (طقطقه) عندما علم بزيـارة زوجتـه له، ولكن يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن تأثير هذه الأقصوصات على الشعب الأوغاريتي غير تأثيره علينا اليوم. ومما لاشك فيه أن اسم اسحق أحد الآباء الأصول لبني اسرائيل كان مركباً من (يضحك إيل) ويشير إلى طبيعة إيل المرحة التي

حولها الاسرائيليون إلى طبيعة قتالية شرسة في شخص إلههم (يهوه).

إن قوى الخصب التي كان يجسدها الإله إيل ذات أهمية بالغة في ديانات الخصب وكان يرمز لها بالثور، وكثيراً ما كان إيل يوصف بالثور ويتكرر وصفه بهذا اللقب في قصيدة (شحر وشالم) حيث يضاجع امرأتين ويجعلهما تحملان منه بشحر وشالم وآلهة أخرى، ولكن قبل أن يطالهما جنسياً تحضر له وليمة دسمة من لحم بعض الطيور المقلية، ونستخلص من حديث المرأتين أن الإله إيل استعاد نشاطه الجنسي وتعاظمت قواه بعد تناوله طبق الطعام الشهي، وانطلاقاً من هذا النص ونصوص أخرى تولدت لدينا القناعة أن الأوغاريتيين كانوا يتصورون في معتقداتهم أن الإله السماوي (إيل) شاخ ودب في أوصاله الوهن الجنسي فلم يعد قادراً على معاشرة النساء إلا بواسطة المقويات التي تعيد إليه شبابه الذابل، وهناك اسطورة مصرية مشابهة تتحدث عن الإله (رع) الذي بلغ من العمر عتياً وخارت قواه الجنسية، وفي الأسطورة الحثية ذات الأصل الكنعاني يتخلى إيل طواعية عن معاشرة زوجته (انظر أثيرة الفقرة الرابعة) لإله الطقس حدد ويطلب منه أن يقوم عنه بهذا العمل.

إن فقدان إيل لقوى الخصب بسبب تقدمه في العمر ألزمه التخلي عن مكانه لإله شاب في مقتبل العمر يستطيع أن يملأ فراغ الإله العجوز الراحل.

سكن إيل:

كان يتواجد سكن الإله إيل عند منابع النهرين وسط تيارات جوف المحيطين، ويسمى في اللغة الأوغاريتية (ح ـ ر ـ ش ـ ن) الذي يساوي في السومرية والأكادية خورساج وخورشانو، وتشبه طريقة سكنه سكن الإله الرافدي (إنكي) في أعماق محيطات الأبزو.

ولم يعط الباحثون سكن الإله إيل في أعماق المحيطات المكانة اللائقة في أبحاثهم حيث اكتفوا بدراسة الجانب السماوي من صفاته العلوية التي تقربه من إله الشمس وإله القمر.

وكما كان الدارسون يبحثون عن مكان إقامة الإله بعل الفعلية في تصورات الأوغاريتيين شمل البحث أيضاً إقامة (إيل)، وكان المكان المناسب في زعم الكثيرين هو عند نبع (أفقا) في لبنان الذي يشكل نهر أدونيس وعند بحيرة (يمّونه) الواقعة في الطرف الآخر من الجبل، وهي بحيرة موسمية تجف مياهها في الصيف، وقد شهد

هذا المكان قصة الحب المعروفة بين أدونيس وأفروديت، ومهما يكن من أمر فإنه المكان الأكثر ملائمة للإله إيل حيث تلعب فيه أحداث الأساطير المتعلقة به، ولكن هذا لا يعني قطعاً أنه لم يكن لشيخ الآلهة مقراً آخر متناهياً في الفضاء الكوني الاسطوري الواسع وكانت تتضارب الآراء حول فعالية الإله إيل في الأساطير فهو لا يحتل مركز الصدارة فيها، ولذا لم يكن له مقر ثابت يركن اليه، وبخاصة أنه كان على أبواب الرحيل والتقاعد.

ويبدو أن إرثه في حكم الكون تقاسمته ثلاثة آلهة هي (بعل) وكان نصيبه حكم السماء والأرض و(موت) عالم الأموات تحت الأرض و (يم) عالم البحار والمحيطات.

ويذكرنا هذا الوضع بالأساطير اليونانية المشابهة فكرونوس (إيل) حيث يجبره أولاده على الرحيل إلى المنفى وهم زيوس (بعل) وهادس (موت) وبوزيدون (يم) ولكنه يبقى في منفاه رغم ذلك ملكاً للآلهة ولو بالاسم.

ومما لا شك فيه أن فكرة الموضوع قديمة جداً إذ أن (كوماربي) يثور ضد أبيه إله السماء (آنو) في الأساطير الحثية، ويخصيه بعد أن يطيح به من العرش ثم ينفيه إلى عالم الأموات، والشيء نفسه يفعل (كرونوس) بوالده (أورانوس) ثم يطرد هو أيضاً من قبل ابنه (زيوس) وكذلك الأمر مع (كوماربي) الحثي.

وعبثاً يحاول المرء أن يجد متشابهات لهذه الأساطير في النصوص الأوغاريتية رغم أن (كوماربي) كان معروفاً ومعبوداً لدى الشعب الأوغاريتي، ومن تصنيف المؤرخ فيلون الجبيلي للآلهة يكون (كوماربي) معادلاً ومساوياً للإله (إيل). و(كوماربي) هو من أصل حوري وصلت عبادته إلى أوغاريت واسية الصغرى بفضل الشعب الحوري وقد ورد ذكره في أحد النصوص الأوغاريتية باسم (إيل كوماربي) مما لا يفسح مجالاً للشك في أن (كوماربي) هو نفسه (إيل).

وربما نجد صدى الأسطورة السالفة الذكر في الصراع الذي كان قائماً بين (بعل) وأمير البحر والمحيطات (يم)، إذ يشير مدلوله بشكل غير مباشر إلى أنه كان موجهاً ضد كبير الآلهة (إيل).

فانتصار بعل في النهاية كان يعني بالتأكيد نفي الإله العجوز بشكل دائم إلى العالم السفلي.

تصور إيل في المنحوتات :

عثر على نصب من الحجر الرملي بطول ٤٧ سم في أوغاريت عام **١٩٣٧**، يظهر عليه صورة إله بليحة طويلة كثة بارزة، ويرتدي هذا الإله ثوباً ويعتمر قبعة على شكل تاج مزدانة بالقرون، ويتربع عرشا مصنوعا وفق الاسلوب المصري، يعتقد أن هذا الإله هو صورة الإله (إيل). (انظر الصورة رقم ٨).

يستلم بيده اليمنى الممدودة نحو الأمام الأضحيات المقدمة له في حين يبارك مقدمها باليد الأخرى، ويعتقد أن مقدم الأضحيات هو ملك أوغاريت الذي يرتدي ثوباً طويلاً ويعتمر تاجاً ويقف أمام الإله وهو أصغر حجماً منه ويقوم بطقوس السقاية بيده اليسرى ويحي الإله بالصولجان بيده اليمنى. وفي أعلى النصب يسبح قرص الشمس المجنح المصري.

ولا تتفق الصورة المنحوتة للإله على النصب مع وصف فيلون لكرونوس (إيل) حيث يذكر فيلون أن للإله زوج من العيون وثلاثة أزواج من الأجنحة وكانت صورته المنقوشة على النقود المسكوكة في مدينة جبيل تظهره بستة أجنحة، كما أن معلومات المؤرخ (ديسكيوس) التي تقول أن الفينيقيين كانوا يتصورون الإله (كرونوس) في الأساطير وله سبعة رؤوس لم نعثر على ما يؤيدها سواء في المنحوتات أم في النصوص الأسطورية.

ب

بعل / هدد :

١ ـ أصل الاسم :

يعني الاسم في كل اللغات السامية المالك والسيد والزوج ، وهذه طبعاً صفات ملائمة يمكن أن يتحلى بها كل إله والصيغة المؤنثة منه هي بعلة ، ويرتبط اسم الإله بأسماء المدن والبلاد والمواقع مثل بعل حازور وبعل فعور وبعل لبنان وبعل حران وبعلة جبيل . . . وغير ذلك كثير .

ويعتقد أن هذه التسميات تشير إلى أماكن عبادته المحلية ، ونادراً ما يركب الاسم مع أسماء أخرى غير اسماء الأشخاص والأمكنة مثل (بعل بريت) أي سيد الميثاق الذي يرد في أسفار العهد القديم ، و(بعل مرقد) سيد الرقص في الكتابات اليونانية واللاتينية المكتشفة في لبنان .

والسؤال الذي لم يزل قائماً هو هل أسماء بعل الكثيرة والمختلفة تشير إلى آلهة عديدة متباينة؟ أم أنها تصف ظواهر الإله الواحد في كل موقع أو مدينة ، والاعتقاد السائد حتى اليوم أن اسم بعل كان يطلق على كل إله باستثناء (بل) الرافدي ، ولم يتحول إلى اسم علم اطلاقاً ، ومما لا شك فيه أن الاسم كان في الأصل فعلاً هكذا وبهذا المعنى استخدمه كتّاب العهد القديم في تدوين أسفارهم حيث كانوا يضيفون إليه (أل) التعريف ويقصدون به إله الكنعانيين الرئيس ، ورغم ذلك كان بعل يظهر كاسم علم بين أسماء الأعلام للآلهة الأخرى في العهد القديم وفي كتابات أخرى ، وكانت رسائل تل العمارنة تصفه بإله الصاعقة ويقرأ اسمه (أدّو) ، ويلقب الفرعون نفسه (بعلياً أديّاً) أي (يا بعلي ويا أدي) مما يشير إلى أن الاسمين (بعل وأدو) لمسمى واحد ، وكان الاسم المحبب لدى الأوغاريتيين هو بعل حيث يرد مراراً وتكرارا في النصوص ، ويقصد به إله الطقس والخصب ، وعرف بهذا الاسم أيضاً في مصر .

وتدور معظم حوادث الأساطير الأوغاريتية حول (بعل / هدد) مما يؤكد بأنه

الإله الرئيس في سورية، ويعود السبب في ذلك إلى كونه إله الطقس والعاصفة في دولة تعتمد مياه الأمطار في إخصاب أراضيها (ومن هنا جاءت تسمية الأراضي البعلية «المعرب» وتفتقر إلى وجود مياه أنهار كبيرة مثل مصر وبلاد الرافدين.

يعتقد أن بعل هو من أصل (عموري كنعاني) حيث يظهر لأول مرة في الكتابات الرافدية في عصر السلالة البابلية الأولى مما يشير إلى أنه دخيل على الديانة السومرية الأكادية. وبما أن هذا الاسم لم يفهم معناه في اللغات السامية فقد اعتقد بعض الباحثين أنه من أصل أجنبي وفي رأي بعضهم الآخر ان الاسم قريب من الفعل (هدّ) في اللغة العربية الذي يعني كسر ودمّر، وجاء في قاموس المنجد أن الهادّ هو صوت من البحر فيه دوي والهادّة مؤنث الهاد وتعني الرعد يقال ما سمعنا العام هادة أي رعداً والهدد هو الصوت الغليظ، وهذا ينطبق تماماً على صفات الإله بعل («المعرب»).

٢ ـ لقب بعل:

يلقب بعل في النصوص الأوغاريتيه (ألين) وهو مجرد لقب للإله ولا يعني اسماً لإله آخر، وربما كان مشتقاً من جذر الكلمة (ل. أ. ي) التي تؤدي معنى العظمة والقوة، وبشكل مواز للكلمة يظهر اللقب (أ. ل. ي. ق. ر. د. م) في النصوص مرتين ويعني (أقوى الأبطال).

ومن الألقاب التي ترافق إله الطقس كثيراً (راكب الغمام) وهو نفس اللقب لإله الطقس الأكادي في بلاد الرافدين ونفس اللقب الذي استخدمه الاسرائيليون في وصف إلهم. وينتحل إله اسرائيل (يهوه) صفات إله العاصفة الكنعاني في المزامير ١٨ : ٧ ـ ١٥ وصموئيل الثاني ٢٢ : ٨ ـ ١٦.

ويلقب بعل أيضاً بالأمير (ذ. ب. ل) وأمير الأرض وسيدها (ذبل بعل أرص) ويحرف اسمه في أسفار العهد القديم إلى بعل ذبوب (انظر سفر الملوك الثاني ١ : ٢) ولكن يصحح في مخطوطات أسفار العهد الجديد الجيدة عند كل من (متى ١٠ : ٢٥ و١٢ ، ٢٤) و (مرقص ٣ : ٢٢) و (لوقا ١١ : ١٥).

وتعني كلمة ذبوب (الذباب) ولا توجد أية وثيقة تثبت علاقة بعل بالذباب وربما جاءت تسميته بسيد الذباب من الإله (زيوس) الذي كان يلقب بصياد الذباب.

وقد لوحظ أن لقبه (الأمير بعل) كان يرافقه خلال اشتراكه في الملاحم القتالية

أما لقبه الثاني (الأمير، سيد الأرض) فكان يطلق عليه خلال الحديث عن موته وبعثه، وعلى كل حال لا توضح النصوص فيما إذا كان هناك تمييز بين اللقبين للإله بعل كإله سماوي وإله أرضي.

والجدير ذكره أن وصف بعل في ملحمة كرت (بالعلي) جاء مرتين على اللوح الثاني الذي اكتشف عام ١٩٤١ وقد أثبت الاستاذ (هـ. س نيبرغ) في دراسته التي قام بها عام ١٩٣٥ وعام ١٩٣٨ عن سفر هوشع وأسفار أخرى من الكتاب المقدس أن اسم الإله بعل الملقب بالعلي يرد كثيراً في النصوص المقدسة كما كان يقرن بأسماء الأعلام البابلية والآشورية وأسماء الأعلام العربية الجنوبية، وقد رأى الباحث أن اسم علي كان مساوياً لإله السماء عليون وأن ذكرى إله الطقس بقيت حية في نفوس بعض الناس حتى عصور متأخرة، وقد اقترن اسمه باسم الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب، وذكر أن الشاعر اسحق بن سويد العدوي كان يتبرأ من أولئك الذين يقدسون السحاب ويسمونه علياً.

وينطبق وصف يهوه كإله طقس على صفات الإله بعل في سفر صموئيل الأول «مخاصمو الرب ينكسرون. من السماء يرعد عليهم، صموئيل الأول ٢ : ١٠» ويشبه ببعل عليون في سفر صموئيل الثاني: «[أرعد الرب (يهوه)] من السموات والعلي أعطى صوته برداً وجمر نار مزمور ١٨ : ١٣».

وقد أثبت الأستاذ م. داهوود في دراسة لاهوتية نشرت له عام ١٩٥٣ ان اسم بعل عليون يرد في مواضع كثيرة في المزامير انظر المزامير: ٧: ٩و٥٧: ٣ و٦٢: ٨.

كما أن المزمور ٥٧ : ٣ يضع كلمة (ج. م. ر) مساوية لكلمة (علي) ولا ترد هذه الكلمة العبرية في مواضع أخرى في الكتاب المقدس غير أن الأسم (جمر هدد) معروف جيداً في نصوص أوغاريت على أنه لقب من ألقاب الإله بعل ولذا يعتقد أن جمر هدد وجمر علي اسمان مختلفان لمسمى واحد هو الإله بعل.

٣ ـ تجسيد بعل على شكل ثور:

كان الثور يرمز منذ القديم إلى الخصب في حضارات الشرق القديم فكان يطلق على إله الطقس الأكادي في بلاد الرافدين اسم الثور الوحشي ذي القرون (ريمو قرنو) أو (ريمو رابو شاشامه وارصّي) أي ثور السماء والأرض الوحشي الكبير، ويظهر إله الطقس على المنحوتات على هيئة ثور أو واقفاً فوق الثور، ورغم أن لقب الثور لا يلازمه في نصوص أوغاريت إلا أنه يقوم بمعاشرة البقرة جنسياً وينجب منها

مخلوقات على شكل العجول، والمقصود بهذه العملية هو طبعاً الاخصاب وديمومة الحياة وبخاصة عندما يختفي بعل من الأرض ويحتمل أن لا يتمكن من العودة اليها. ولا يشمل الخصب الحيوان فقط بل الانسان والنبات أيضاً، وتعتبر عملية الاخصاب هبة الإله بعل إلى الكائنات الحية. وفي الأصل لم يكن الثور لقباً أو رمزاً له وانما انتزعه انتزاعاً من أبيه الإله (إيل) عندما احتل مكانه على العرش (انظر أثيرة الفقرة ٤).

٤ ـ نسب الإله بعل:

يوصف بعل في النصوص على أنه ابن الإله (دجن) أو خلفه كما ينسب إلى الإله (إيل) أيضاً رغم أن النصوص الأوغاريتية لا تشير إلى ذلك صراحة لكن بعل يخاطب (إيل) بكلمة يا أبي، وجاء في أحد النصوص ما يلي: الثور إيل أبوه (أبو بعل) الملك إيل أنجبه ويكمن الاشتباه في نسب بعل أن الأمر اختلط على المؤرخ فيلون الجبيلي (انظر سانخينتون) الذي لم يميز بين إيل ودجن رغم أنهما شخصيتان مختلفتان إذ اعتمد في تدوينه إحدى الروايات التي تقول أن إحدى محظيات الإله أورانوس كانت حاملاً عندما انتصر إيل على أورانوس فوهبها للإله (دجن) فولدت له (دماروس) الذي يعتقد أنه مشابه للإله (بعل)، حيث يرد في نصوص أوغاريت الاسم (ذ. م. ر. ن) مساوياً لبعل عليون وهدد، ويعتقد أن الاسم قريب من الكلمة العربية (ذمير) التي تعني الشجاع والصلب الشديد وتؤدي نفس المعنى للقب بعل (ألين)، وكان يركب منها أسماء عربية جنوبية كما أن أحد أولاد ابراهيم كان يدعى زمران (انظر تكوين ٢٥ : ٢) و(زمري) اسم كنعاني معروف (زمرليم)، ومهما يكن من أمر فان الاسم يرتبط بشكل أو بآخر بالإله بعل وحسب رواية فيلون فإن (أورانوس) هو الأب الطبيعي لـ (دماروس) ودجن هو زوج الأم ويقتصر عمل كرونوس (إيل) على دور الوسيط فقط وهنا يكمن الاختلاف بالنسبة للمصادر الأوغاريتية.

٥ ـ سكن بعل:

ـ تذكر نصوص أوغاريت أن جبل صفن هو مقر الإله بعل، وقد بنى له الإله (كوثار) قصراً فوقه، ومن علياء سكناه كان يدير شؤون العالم وهناك وارته الثرى أخته عناة عندما تمكن منه الإله (موت) وأرداه قتيلاً، ويرى كثير من الباحثين في جبل الأقرع الذي يبعد حوالي ٥٠ كم شمال أوغاريت عند مصب نهر العاصي جبل صفن المقصود في الأساطير حيث يمكن مشاهدة قمته من مدينة أوغاريت وهي محاطة بالسحب حتى في الأيام المشمسة فلا عجب أن يتخذ إله المطر والصواعق قمته منزلاً

له في التصورات الأسطورية، وقد حافظ الجبل على قدسيته في العصور الهلينية والرومانية، فقد تربع فوقه (زيوس كاسيوس) ولعب دور الأولمب السوري، وحافظ على قدسيته في الديانة المسيحية حتى العصور الوسطى، وهويشبه في قدسيته جبل (حازي) في آسية الصغرى الذي يرد ذكره مراراً وتكراراً في الأساطير والنصوص الحثية والحورية، ففي أسطورة (أولي كوميّ) الحثية يصعد إله الطقس مع أخيه وعشتار الجبل ليتأمل تمثال (أولي كومّي) العملاق، ورغم أن اسطورة (إللوينكا) الحثية لا توضح اسم أرض المعركة التي نازل فيها إله العاصفة التنين المارد إلا أن رواية يونانية مشابهة تذكر جبل (كاسيوس) على أنه الجبل الذي يشهد صراع (زيوس) مع (تيفون).

ومما يؤكد أن جبل صفن هو نفسه جبل حازي وجود نص أكادي يذكر اسم مدينة حلب ويحدد موقعها عند جبل (حازي) ونص أوغاريتي يحدد موقع حلب عند جبل (صفن). واستبدلت بعض الحروف من حازي حتى أصبح اسم الجبل يكتب في وقت لاحق على شكل (كاسيوس).

ـ تشخيص جبل صفن باله:

يستقبل صفن الذبائح أربع مرات كما جاء في إحدى قوائم الأضاحي المكتشفة في أوغاريت، ويظهر اسمه مركباً في أسماء الأشخاص الفينيقية المركبة مثل عبد صفن وصفن صادق وصفن بعل، ولذا يعتقد أن جبل صفن المقدس شُخص كإله ونستخلص ذلك من قول الإله بعل نفسه: «في وسط جبلي المقدس، الجبل الإلهي في المكان المقدس». ويشخص ثانية في نص ملحمة كرت «عندما يفعم قلبه بالأسى على الملك المريض فتطفر الدموع من عينيه»، ويقسم بجبل حازي صنوه في المواثيق والعهود كما جاء في نص المعاهدة بين شوبيلوليوما ومتيوزا.

ـ بعل صفن:

يذكر اسم هذا الإله كثيراً في المصادر المختلفة وفي نصوص التعاويذ الأوغاريتيه وهو اسم شائع ومعروف جيداً ولكن لا يظهر بتاتاً في المراجع الأدبية والأسطورية، وقد عثر على كتابة في معبد بعل في مدينة أوغاريت يقول مضمونها أن مواطناً مصرياً كان يعبد الإله بعل صفن ويصفه بالإله الكبير. وأقدم ذكر لهذا الإله خارج حدود أوغاريت ورد على ورق البردي من عهد رمسيس الثاني، وتذكر حوليات تغلات بيلصر الثالث (٧٤٥ ـ ٧٢٨ ق.م) وصرغون الثاني (٧٢٢ ـ ٧٠٦ ق.م) اسم بعل

صفن كجبل ويذكر نص المعاهدة التي وقعها أسرحدون (٦٨٠ - ٦٦٩ق . م) مع بعل ملك صور ما يلي : ليرسل بعل شميم وبعل ملجه وبعل صفن الرياح الشريرة (العواصف والزوابع) عكس مسار سفنكم فتفكك أوصالها وتقلع مراسيها وتسلط الآلهة عليها طوفاناً طاغياً يغرقها في البحر .

وقد وصلت عبادة بعل صفن أرض مصر خلال حكم الأسرة التاسعة عشرة، وقد عثر في المحمودية على تل رملي منخفض يبعد حوالي ١٥ كم عن تل خرمه كشفت أعمال التنقيب فيه عن شاهدة قبر من العصر الروماني تحمل اسم شخص يدعى (كاسيوس) وكتابة نبطية تحمل اسم الإله (زيوس كاسيوس)، وكاسيوس كما مر معنا اسم آخر للإله بعل، وقد ارتبط اسمه في مصر بأعمال الملاحة البحرية في القرن السادس ميلادي وتذكرنا علاقته بالبحر والملاحة البحرية بالأسطورة المصرية التي تتحدث عن سباق بواسطة السفن بين حوروس وسيث (بعل) خلال حكم السلالة العشرين . يقوم حوروس ببناء سفينة من خشب الأرز ويدعمها بالجص حتى تبدو وكأنها مشيدة بالحجر، في حين يحوّل (سيث) صخرة يحضرها من قمة جبل إلى سفينته، ولكن سرعان ماتهوي سفينة إلى أعماق البحر عند شروعهما بالسباق .

توحي هذه الأسطورة بأن الإله بعل كان يتخذ الجبل المقدس مطية له في البحر، ويعتقد بعض الباحثين أنهم توصلوا إلى فهم مقطع من ملحمة كرت يشبّه فيه جبل بعل المقدس بالسفينة، وعلى كل حال لم يثبت بعد صحة هذا الادعاء . إلا أنه من الثابت والأكيد أن سلامة البحارة كانت تتوقف على رضائه أو سخطه بصفته إله الصواعق والعواصف . وهذا ما دعا أسرحدون في معاداته مع ملك صور إلى أن يدعي على الناكثين بالعهد والحانثين بالوعد أن يفقدهم بعل اسطولهم في البحر.

صفن في أسفار العهد القديم :

تعني كلمة صفن في أسفار العهد القديم المدونة باللغة العبرية الشمال والمعنى الأصلي للكلمة (اطلع ، شاهد ، راقب)، ويبدو أن معنى الشمال لحق بالكلمة فيما بعد حيث أن جبل صفن المقدس يقع في شمال فلسطين ويعبر عن اتجاه جغرافي مثلما تعني كلمة نقب (الصحراء) وتقع في الجنوب ، وتشير كلمة صفن (صفون) في مواضع كثيرة من نصوص العهد القديم مباشرة إلى جبل الإله بعل انظر اشعياء ١٤ : ١٣ .

وتعني كلمة علي (عليون) في سفر أيوب ٢٦ : ٧ الجبل الإلهي المقدس أكثر مما تعني الاشارة إلى اتجاه جغرافي ويرد ذكر اسم جبل حازي (صفن) إلى جانب اسم جبل (ناني) في نصوص المواثيق الحثية. ويعتقد أن الجبل المقصود بهذا الاسم هو القسم الجنوبي من جبال طوروس، وعلى كل حال يمكن القول أن كلمة صفن لا علاقة لها بالاتجاه الجغرافي ولا بجبل صهيون كما تزعم المزامير ٤٨ : ٢.

٦ ـ انتصار بعل على إله البحر (يم):

يعتبر (يم) إله البحر و(موت) إله الموت أشد الآلهة عداوة للإله بعل، ففي إحدى الأساطير التي تدور في فلك بعل يطلب أمير البحر (يم) من الإله (إيل) السماح ببناء قصر له ويحصل على الموافقة بعد تردد، وبعد ذلك يرسل (يم) مندوبيه إلى الآلهة المجتمعة برئاسة (إيل) ليحضروا له بعل، وتوافق الآلهة على تسليمه، فيستشيط بعل غيظاً ويتهم الآلهة بالجبن ثم يندفع شاهراً سلاحه، إلا أن الإلهة (عشتارة) والإلهة (عناة) تحدان من اندفاعه وترسلان رسلاً، وهنا ينقطع النص وعلى لوح آخر نشهد وصفاً للصراع بين (بعل) و(يم) حيث يقوم إله الصاعقة بعل بمحاربة (يم) بأسلحة سحرية كان إله الحرف والفنون (كوثار) قد صنعها له، ويطلق عليها في اللغة الأوغاريتية (ص . م . د . م) وتعني بشكل عام (نير، لجام) ويفهمها بعض الشارحين على أنها لجام فرس البحر المجنح، والمقصود بذلك أن الإله بعل استخدم أسلحة من طبيعة إله البحر، وعلى كل حال يسود الرأي القائل أن الأسلحة كانت عبارة عن مضارب أو صولجانات وربما كان الصولجان برأس مزدوج وتصبح الأسلحة أكثر مضاء بقراءة التعويذات عليها ويصيب السلاح الأول الذي أطلقه بعل واسمه (ي . ج . ر . ش) أمير البحر في كتفه أو صدره ولكن دون أن ينال منه مقتلاً، وتأتي الاصابة الثانية بالسلاح (أ ـ ي ـ م ـ ر) بين عينيه فيتهاوى الإله صريعاً، وبقية النص غير واضحة ولكن يفهم منها أن انتصار بعل على يم أصبح يعني سيادته المطلقة ودون منازع في مجمع الآلهة الكنعاني، كما يرى بعض الشارحين في انتصار بعل خذلاناً للإله إيل، إذ من المعروف أن (يم) كان يوصف في النصوص بحبيب (إيل) مما يشير إلى مكانة (يم) الأثيرة لدى الإله الشيخ وكان يعده لمقارعة المنافس الشاب الطموح، وحول نفس الموضوع تتحدث اسطورة (كوماربي) الحثية حيث أن كوماربي يدفع بالإله (أولـلي كومي) إلى قتال إله الطقس الحثي، كما أن (كرونوس) اليوناني ينازع (زيوس) على السلطة بواسطة الجبابرة.

ويرى بعض المفسرين في الأسطورة صدى رمزياً لأحداث تاريخية تعبر عن مقاومة الأوغاريتين لأعداء قدموا من البحر ثم ردوا على أعقابهم بواسطة الأسلحة المعجزة. وبما أن مضمون هذه الأسطورة يتكرر كثيراً لدى شعوب مختلفة فنحن لا نميل إلى الأخذ بهذا التفسير، وإنما نعتقد أن الأسطورة ترمز إلى الصراع القائم بين المدافعين عن طقوس الإله الشيخ (إيل) بمؤازرة ابنه وحبيبه إله البحر (يم) والمناهضين له من أنصار عبادة الإله الشاب الصاعد بعل، وبذا تكون الأسطورة قد عكست أوضاعاً اجتماعية ودينية لحياة الشعب الأوغاريتي.

وعلى الرغم من أن نصوص الأساطير المتوفرة بين أيدينا لا تتحدث إلا عن معركة واحدة بين أمير البحر (يم) وإله الطقس (بعل) إلا أنه توجد توريات في نصوص أخر تشير إلى معارك الإله (بعل) ضد آلهة أخرى، ففي أحد النصوص تتحدث الإلهة (عناة) عن انتصار (بعل) على «النهر» والتنين ذي السبعة رؤوس كما يتحدث الإله (موت) عن انتصاره على تنين مشابه يرد ذكره في أسفار العهد القديم باسم (لوياثان) ولا نعرف سبباً لورود التنين بأسماء مختلفة فهل يا ترى كان يوجد عدد من التنانين المختلفة؟ أم أن التنين يحمل أسماء متباينة ويرمز بها إلى إله اليم؟ ولكن ليس لدينا ما يثبت أن إله اليم كان له سبعة رؤوس ويتخذ شكل الأفعى وربما كان السبب الذي دعا بعض الشارحين إلى اعتبار إله اليم يأخذ شكل التنين ورود مقطع في احدى الأساطير يصف المعركة القائمة بين (بعل) الذي تسانده الإلهة (عناة) في المعركة والإله (يم) الذي تؤازره كائنات عملاقة كما هو الحال في أسطورة (تيامات) الرافدية و (رهب) في سفر أيوب (٩: ١٣).

ومما لا شك فيه أن كتّاب أسفار العهد القديم تأثروا تأثراً بالغاً بأسطورة انتصار بعل على إله البحر، إذ يأخذ (يهوه) دور الإله بعل في كثير من النصوص تشهد على ذلك المواضع في نصوص الأسفار التالية: أشعياء: ٢٧ : ١، ٣٠: ٧، ٥١ : ٩ وما يلي ذلك.

حزقيال: ٢٩ : ٣ ـ ٥، ٣٢ : ٢ ـ ٦.

ناحوم: ١ : ٣ ـ ٤، ٨ ـ ٩، ١٢.

حبقوق: ٣ : ٨.

مزامير: (٧٤ : ١٣ وما يلي ذلك) (٨٩: ٩ وما يلي ذلك) (٩٣، ١٠٤).

أيوب : (٣ : ٨)، (٧ : ١٢)، (٩ : ١٣)، (٢٦ : ١٢ وما يلي ذلك) .

وقد دبّج أحبار اليهود مفاهيم أساطير بعل وفق ما تقتضيه حاجتهم الدينية الدعائية .

٧ ـ قصر بعل :

إن بناء قصر للإله بعل كان محور الحديث الأساسي في الأساطير المتعلقة بالإله بعل، فبعد أن ينتصر (بعل) على (يم) يرسل عناة إلى الإله (إيل) لأخذ الموافقة على بناء قصر مناسب له، إلا أن أسلوب عناة في الحديث أمام إيل كان فجاً وسمجاً فيخيب مسعاها، فيلجأ الاثنان إلى الإلهة (أثيرة) التي تنجح باقناع أبي الآلهة بأسلوب رقيق ناعم لا يخلو من المجاملة، على الموافقة ببناء القصر ولكن دون أن تنسى الإشارة إلى ما يمكن أن يفعله بعل إذا لم يحصل على قصر يتناسب ووضعه كملك، فبإمكانه أن يحبس مياه الأمطار التي تسبب الخصب والحياة للأرض العطشى .

وحين حصول بعل على الموافقة يلح على إله الحرف والفنون (كوثار) والإله (حاسيس) بالاسراع في تنفيذ بناء القصر فيمنحه (كوثار) أرضاً للبناء شاسعة واسعة ليشاد فوقها القصر، بشرط ألّا يكون للقصر نافذة، ويعتقد أن السبب في هذا الشرط هو خشية أخوات بعل عليه وخوفهن من انتقام الإله المقتول (يم) .

فتحضر مواد البناء من لبنان وهي تتألف من أشجار الأرز، والفضة والذهب، والمعادن الثمينة، ثم يشرع (كوثار) ببناء القصر وبعد الانتهاء منه توقد النار فيه لمدة سبعة أيام دون أن يخبو وميضها، وبعد انطفاء النار تطلى جدران القصر بالذهب والفضة ثم يدعو بعل أصدقاءه من الآلهة لتدشين البناء ويلي ذلك نص قصير غير مفهوم جيداً ثم نرى إله الطقس عائداً من إحدى غزواته بعد أن قام بحملة ضد سبع مدن فيأمر فور عودته بفتح نافذة لقصره، وينفذ (كوثار) الطلب ضاحكاً ثم يدع بعل يدوي بصوته من بين السحب مجلجلاً فتزلزل الأرض وترتعد فرائص أعدائه، وهذا يذكرنا بالمزمور ١١٤ الآية ٧ : «أيتها الأرض تزلزلي من قدام الرب ومن قدام إله يعقوب» كما أن نافذة قصر بعل فوق جبل صفن تشبه طاقات السماء في سفر التكوين الاصحاح السابع الآية الحادية عشرة : « . . . في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء» والقصر السماوي الأسطوري الذي بناه (كوثار) للإله (بعل) له ما يقابله على الأرض حقيقة حيث أن المنقب السيد (كلود شيفر)

كشف عن معبد للإله بعل في أوغاريت ويعتقد المنقب أنه كان للقصر نافذة على السطح تسمح بهطول الأمطار فوق تمثال الإله، وقد عثر فعلاً على تمثال الإله وعليه أخاديد تشكلت بفعل المياه، ويفسر وجود الأخاديد إما بسبب هطول الأمطار فوقه أو بفعل السقاية المقدسة وفق طقوس معينة لتحفز الإله على فتح طاقات السماء، وقد تأثر اليهود بهذه الطقوس التي انعكست على ديانتهم وأعيادهم مثل عيد المظال حيث تجلب المياه من أحد الأحواض إلى بوابة الماء بموكب حافل، فينفخ في الأبواق المصنوعة من قرون الأكباش ثلاث مرات تحية للموكب، ثم تسكب المياه في وعاء فضي فوق المذبح وتخرج المياه ثانية من فوهة في أسفل الوعاء وتسيل فوق الأرض (مشنى، سوكاه ٤ : ٩ و٥ : ٥) ويتوافق موعد هذا العيد مع أوائل سقوط المطر في فصل الخريف ويعتقد أنه من بقايا الاحتفالات الكنعانية القديمة التي يستسقى فيها بواسطة السحر والشعوذة.

وفي سفر زكريا ١٤ : ١٦ ـ ١٩ يرد ما يلي : «ويكون أن كل الباقي من جميع الأمم الذين جاءوا إلى أورشليم يصعدون من سنة إلى سنة ليسجدوا للملك رب الجنود وليعيدوا عيد المظال، وأن كل من لا يصعد من قبائل الأرض إلى أورشليم ليسجد للملك رب الجنود لا يكون عليهم مطر، وان لا تصعد ولا تأت قبيلة مصر ولا مطر عليها تكن عليها الضربة التي يضرب بها الرب الأمم الذين لا يصعدون ليعيدوا عيد المظال. هذا يكون قصاص مصر وقصاص كل الأمم الذين لا يصعدون ليعيدوا عيد المظال».

كانت سعادة الناس في هذا العيد تفوق حد الوصف وفق ما جاء في المشنى : (من لم يتمتع بسعادة نقل الماء لم يذق طعم السعادة في حياته «مشنى ٥ : ١») ومما لا شك فيه أن هذه السعادة كانت ترتبط أصلاً بطقوس جنسية اباحية، وربما كان الهدف من تشييد قصر للإله بعل هو الاحتفال بالزواج المقدس بين الإله ورفيقاته من الآلهة الاناث. كما أنه يرمز إلى تلقيح السماء للأرض بواسطة المطر ولا يخرج عن هذا المعنى تدشين معبد سليمان في شهر ايثانيم، الشهر الذي تنزل فيه الأمطار باستمرار (انظر سفر الملوك الأول ٨ : ٢) ـ «فاجتمع إلى الملك سليمان جميع رجال اسرائيل في العيد في شهر أيثانيم. هو الشهر السابع».

٨ ـ موت بعل وانبعاثه :

الإله موت هو الإله الوحيد من بين كل الآلهة الذي لم يقم وزنالتشييد قصر الإله

بعل، والوحيد الذي لم يكن يخشاه، وهناك موضع في نص غير مفهوم جيداً يقال عن لسان بعل أو موت ما يلي: «أنا الوحيد سيد الآلهة وحاكمها». ثم يرسل بعل مندوبين عنه إلى العالم السفلي ولكن المهمة التي كلفهم بها (بعل) غير معروفة، وفي نص آخر نراهم عائدين ومعهم دعوة إلى وليمة يكون فيها الإله بعل الضيف وفي نفس الوقت وجبة الطعام الأساسية، وأثناء الحفل يتوجه (موت) إلى بعل بالكلمات التالية: عليك أن تكون لقمة سائغة موت ابن الإله ايل، وفي حلق موت البطل الحبيب للإله(إيل)

ويرد بعل المعروف بالشجاعة والاقدام على (موت) بلهجة الخانع الذليل وذلك على عكس طبيعته، فيقول له: (أنا عبدك إلى الأبد)، وهنا يعتري النص تشويه ونقص ولكن يفهم منه أن بعل يتلقى الأمر بالانسحاب مع السحب والرياح والأمطار مصطحباً غلمانه السبعة وخنازيره الثمانية وفتاتيه (فيدراي) و(طلي).

ثم نرى بعل يضاجع انثى العجل سبعاً وسبعين مرّة أو ثمان وثمانين وينجب منها ذرية. وبعد انقطاع في النص نجد بعل ميتاً مسجى على الأرض يندبه الإله (إيل) وتقوم أخته (عناة) باعداد مراسيم الدفن اللائقة به. وبعد ذلك تعلن موته للإله (إيل) الذي يسمي مع زوجته (أثيرة) الإله (عشتار) خلفاً له.

تتوسل (عناة) إلى الإله (موت) شهوراً عديدة لإعادة أخيها إلى الحياة، وعندما تفشل في مسعاها تقتله شر قتلة.

يحلم إيل في منامه أن بعل بعث حياً، فتكلف عناة إلهة الشمس (شفش) بالبحث عنه، وتنجح (شفش) في العثور عليه حيث نرى الإله في نصوص أخرى شاباً قوياً يقاتل بعض الآلهة، ويعتقد أن الآلهة التي نزل في عراك معها هي (يم) و(موت) وعشتار)، وبعد سبع سنوات يتصدى (موت) له مرة أخرى ويطلب منه المنازلة إلا أن المعركة تنتهي في هذه المرة لصالح (بعل).

إن مضمون الأسطورة واضح جداً، وهو يهدف إلى شرح ظواهر الطبيعة، فموت بعل ورحيله إلى العالم السفلي مع حاشيته يعني انحباس المطر وتوقف الخصب لدى النبات والحيوان والانسان، وقد عجزت وسائل الري التقنية التي كان مسؤولاً عنها الإله (عشار) أن تحل محل الأمطار الطبيعية فأقفرت الحقول وعمت المجاعة الأرض (انظر ملحمة كرت)، وتبدّل وجه الأرض القفراء وتحولها إلى مروج خضراء في حلم الإله إيل يعني أن الإله بعل بعث حياً، ولذا تبدأ عملية البحث عنه ليتحقق

الحلم.

ورغم أن النصوص لا تخبرنا بالتفصيل عن مراحل عودته إلى الحياة، وعن هطول الأمطار بعد عودته إلا أننا نستخلص من صراعه مع آلهة أخرى أن الأمور عادت إلى نصابها.

ومن الواضح أن (بعل) و(موت) كانا يتقاسمان السيادة بشكل متناوب. ويجسدان الحياة والموت، الخصوبة والجفاف، النمو والاضمحلال، والصدام الأول بينهما كان لصالح الإله (موت) ولكن في اللقاء الثاني يتغلب (بعل) عليه بكل سهولة كما أن (موت) يستسلم للإلهة «عناة» التي تقوم بتقطيعه إرباً إرباً إلا أنه يقاوم (بعل) في معارك قادمة بضراوة وشراسة فما هو السبب في ذلك يا ترى؟

يسود الرأي بشكل عام أن بعل يمثل فصل الأمطار والخصوبة في حين يجسد (موت) الجفاف والفناء، ويرى الأستاذ (فريزر) في كتابه (الغصن الذهبي) أن الإله بعل يجسد صورة الإله الذي يموت ويحيا في كل سنة إلا أن الاستاذ (س. هـ. غوردون) يعارضه هذا الرأي، إذ لا يوجد في النصوص الأوغاريتية ما يشير إلى أن بعل يموت ويبعث كل سنة كما أن الاضافات التي لحقت الأسطورة في الرواية اليونانية (اسطورة أدونيس) لا نجد ما يدعمها سواء في الأساطير الأوغاريتية أو الأساطير الرافدية حيث تذكر الرواية اليونانية أن الإله زيوس يخفي أدونيس عند إلهة العالم السفلي أو أفروديت بضعاً من السنة، كما أن فصول السنة في سوريا وفلسطين لا تتميز دائماً بالخصب والجفاف بشكل متناوب فثمار التين والكرمة تنضج أصلاً في نهاية فصل الصيف والتقويم الذي عثر عليه في (جزر) يقسم السنة إلى فصلين مدة كل منهما ستة أشهر، ولا يتطرق التقويم إلى وصف أحدهما بالعقم أو الجفاف، وتوصف فصول السنة العادية في سفر اللاويين (٢٦ : ٤) كما يلي: «أعطي مطركم في حينه وتعطي الأرض غلتها وتعطي أشجار الحقل ثمارها ويلحق دراسكم بالقطاف ويلحق القطاف بالزرع فتأكلون خبزكم للشبع وتسكنون أرضكم آمنين».

ولكن ليست كل السنوات خصبة (انظر اللاويين: «فأحطم فخار عزكم وأصير سماءكم كالحديد وأرضكم كالنحاس، فتفرغ باطلاً فوقكم وأرضكم لا تعطي غلتها وأشجار الأرض لا تعطي ثمارها «لاويين ٢٦ : ١٩») وارمياء ١٤ : ٢ - ٦ : «ناحت يهوذا وأبوابها ذبلت حزنت إلى الأرض وصعد عويل أورشليم. وأشرافهم أرسلوا أصاغرهم للماء. أتوا إلى الأجباب فلم يجدو ماء رجعوا بآنيتهم فارغة. خزوا وخجلوا

وغطـوا رؤ وسهم . من أجـل أن الأرض قد تشققت لأنـه لم يكن مطـر على الأرض خزي الفلاحون . غطو رؤ وسهم . حتى أن الإيلة أيضاً في الحقل ولدت وتركت لأنه لم يكن كلأ . الفـراء وقفت على الهضـاب تستنشق الـريح مثل بنات آوى ، كلت عيونها لأنه لا يوجد عشب» .

ولتجنب موت الإله (بعل) كل سنة كان على الناس أن يقيموا شعائر وطقوس تخصه سنوياً .

ويؤ كـد الاستـاذ (غـوردون) أن نصـوص أوغـاريت تزودنا بمؤ شرات ضعيفة على وجـود دورة كاملة في حيـاة الإلـه بعـل تستغرق سبع سنوات إلا أن النصوص لا تشير صراحة إلى اختفاء الإله بعل مدة سبع سنوات ، وتذكر النصوص أن المدة التي استغـرقتهـا الإلهـة (عناة) عندما توجهت بالرجاء إلى الإله (موت) للإبقاء على حياة الإلـه بعـل كانت بضعـة أشهـر قبـل أن تقتله هي وتقضي عليه . ولكن النصوص لا تفصح عن المدة التي قضاها الإله (موت) في العالم الأسفل قبل أن يعود إلى الحياة ثانية إلا أنهـا تذكـر أنـه بقي سبـع سنـوات عاطلاً عن العمل لا يخوض خلالها أية معركة ، وبعـد مضي سبـع سنـوات من تمزيق جسـده بيد عناة نراه ثانية يستفز بعل ويرسل له رسـائـل تهديـد ، ويبـدأ الصـراع مجدداً بين الإلهين ويحسم الصراع دائماً لصالح الإله (بعل) المنتصر .

ومنذ ذلك الحين تصبح عادة أن يظهر كل منهما لمدة سبع سنوات ويتوقع دائماً أن يختفي بعل سبع سنوات ، وهذا ما نستخلصه من رثاء دانييل لابنه أقهات حيث تقول المـرثيـة : «سبـع سنوات يختفي بعل لا بل ثمان سنوات يختفي راكب الغمام وخلال كل هذه السنوات لا يوجد ندى ولا يهطل المطر» .

إن عدم التوافق في تحديد عدد السنين وورود الرقمين ٧ و ٨ إلى جانب بعضهما لا يعني تناقضاً بقدر ما يعني المبالغة الشعرية في وصف الحالة المزرية التي وصلت إليها البـلاد خلال غيـاب الإلـه بعـل ، وموضوع السنين السبع العجاف موضوع محبب في قصص الشعوب القديمة وقد تأثر به كتّاب التوراة أيضاً على سبيل المثال قصة يوسف في مصر (انظر سفر التكوين ٤١) .

كما أن لعنـة دانييـل في أسطورة أقهات تشبه مرثية داوود بحق شاؤ ول ويوناثان (انظـر سفـر صمـوئيـل الثاني ١ : ٢١) . وكانت اللعنة تتضمن أن يعم البلاد الجفاف سبـع سنـين وكعقـوبـة على تعـداد أفـراد الشعب تهدد البلاد مجاعة لمدة سبع سنوات

(انظر سفر صموئيل الثاني ٢٤ : ١٢)، وإذا اقتصرت عدد سنوات المجاعة على ثلاث سنوات فذلك لأن داوود أعدم سبعاً من أبناء وأحفادشاؤول(انظر سفر صموئيل الثاني ٢١ : ١ - ١٤).

وكذلك كانت سنوات الجفاف ثلاث سنوات ونصف أي نصف المدة المألوفة في عصر النبي الياس.

مما تقدم نستخلص أن الرقم ٧ كان مقدساً ومألوفاً عند الكنعانيين في قديم الزمان وأن اليهود تأثروا به واقتبسوه عن الحضارات القديمة.

بعل في الفن:

من أكثر صور بعل شيوعاً صورته على نصب اكتشف في رأس شمرة (انظر الصورة رقم ٧)، يلوح الإله بصولجان في يده اليمنى ويحمل باليسرى رمز الصاعقة الذي يتألف من عصا على شكل رمح في قسمها السفلي وشعلة في قسمها العلوي، ويعتمر قبعة مخروطية الشكل لها قرنا ثور يرمزان إلى الخصب والقوة، يتدلى شعر الإله على شكل جديلتين، وشعر اللحية الكثيف فوق الصدر، يرتدي بعل تنورة قصيرة معلق عليها غمد السيف، ووضع المشهد بشكل عام يوحي بأن الإله يخوض معركة ما أو أنه يتهيأ لها.

وهناك تمثال صغير من البر ونز يشبه صورة الإله على النصب إلا أن السلاح هنا مفقود وضائع والقبعة ليس لها قرون.

أساطير بعل:

عثر على كل الأساطير المتعلقة بالإله بعل على شكل نصوص مدونة فوق رقم طينية بعضها تام وبعضها الآخر مكسور وناقص، وهي تحمل إشارات ورموز اصطلح عليها الدارسون ليسهل العودة إليها حين الحاجة، وسوف نتعرض إلى مضمون هذه النصوص حسب الترتيب المتفق عليه بالاجماع تقريباً، وقد قام بدراسة بعض اللوحات الاستاذ (م. هـ. بوب) في كتابه (إيل في النصوص الأوغاريتيه) عام **١٩٥٥** وحاول قدر المستطاع إيضاح مضمونها ففي إحدى هذه اللوحات يهاجم بعل الإله (إيل) وينتزع منه العرش إلا أن إيل يخطط هجوماً مضاداً ويكسب إلى جانبه إله

البحر (يم)، الذي يسمح له ببناء قصر بسبب موقفه المؤيد منه، ويعترف به ابنا من أبنائه، وفي النص الذي يلي يكلف (إيل) إله الحرف والفنون (كوثار) بتشييد القصر للإله (يم)، وهنا يتدخل الإله (عشتار) ويطالب بقصر له كبقية الآلهة إلا أن إيل يرد طلبه قائلاً بأنه لا حاجة له بالقصر ما دام هو غير متزوج وليس له أولاد، وفي اللوحة التالية يرسل (يم) مندوبيه الوحوش ليحضروا بعلاً من اجتماع الآلهة بحضور الإله إيل رئيس الجلسة فيوافق إيل على تسليمه برضاء بقية الآلهة المذعورة ولكن سرعان ما يمتشق بعل الحسام وينقض على رسل (يم) فيتدخل (عشتار) ويمسكه من ذراعه، ثم يصور نص آخر المعركة بين (بعل) و(يم) حيث يمد (كوثار) بعل بأسلحة سحرية فتاكة تمكنه من القضاء على خصمه وقبل أن يصوب بعل طعنته القاتلة إلى (يم) يتدخل (عشتار) وينصح بعل بأن يتريث في قتله ويحتفظ به أسيراً. ومهما يكن من أمر فإن الإله بعل انتصر في معركته وحدَّ من صلاحيات (يم).

ورغم أن أحد النصوص ليس كاملاً إلا أن النقاط الأساسية تتمحور حول ما يلي: عطف الإله الشيخ (إيل) على ابنه إله البحر (يم) الذي يخوض معركة قاسية ضد (بعل) ويخسر فيها، وكان لب الصراع يدور حول الفوز بالسيادة على حكم الآلهة التي تؤول حتماً إلى بعل بعد انتصاره.

ونجد مشابهات لهذه الأسطورة في آداب الشعوب الأخرى الحثية واليونانية (فكومار بي) إله الطقس الحثي يصارع الوحش ويتغلب عليه كما ينتزع زيوس اليوناني عرش أبيه كرونوس بعد أن يتغلب على الكائنات العملاقة التي كانت تقف إلى جانب أبيه.

ان الموضوع الأسطوري الأكثر طولاً في النصوص كان مدوناً على لوحين كبيرين ويدور حول بناء قصر للإله بعل، والروايات في النصين ذات وجهات نظر متباينة، وان كانت تتضمن موضوعاً ذا أصل واحد، وفي نص آخر نرى الإله بعل ضيفاً في احتفال ضخم مع بناته الثلاث ولا يتضح من النص فيما إذا كان معهم ضيوف آخرون وخلال الاحتفال يتقرب بعل من بناته كثيراً (لمعاشرتهن جنسياً؟) وهن فيدراي وطليا وأرصيا بعد أن يتساقوا الخمر بكميات كبيرة جداً،

وإننا لنجهل المناسبة التي أقيم من أجلها الاحتفال بسبب النقص في النص، ولكن يعتقد أن السبب هو انتصار (بعل) على (يم).

ويصور مشهد آخر في اللوحة كيف أن الإلهة عناة كانت تتزين بالحلي وتضع

المساحيق والعطور وتتألق بأفخم ألبستها، وفجأة تغلق باب القصر على ضيوفها وتستل الحياة منهم الواحد بعد الآخر، وكما بدأت فجأة، تتوقف أيضاً فجأة لتغتسل وتتعطر، وبسبب النقص في النص يعصى علينا فهم السبب.

وهناك رسالة موجهة من الإله (بعل) إلى الإلهة (عناة) تذهب الآراء في تفسيرها مذاهب شتى ويبدو أنها تتضمن أمنيات باحلال السلام على الأرض وتشبه هذه الرسالة رسالة الملاك في سفر (لوقا ٢ : ١٠) يقول النص الأوغاريتي:

رسالة العظيم بعل

كلمة البطل الجبار:

أبعد الحرب عن الأرض

واقضي على المنازعات في البلاد

ودع السلام يتسلسل إلى باطن الأرض

ودع الصداقة تنمو بين الحقول!

بعض المفسرين يرى في هذه الرسالة تعويذة لاخصاب الأرض والتي يتم بمقتضاها أعمال السقاية والمعاشرة الجنسية المكشوفة فوق الحقول، وفي القسم الثاني من الرسالة نتحسس رغبة بعل في اطلاع عناة على سر القصر العظيم الذي يخطط لبنائه إلا أن عناة ترى في الرسول نذير شؤم، فتقسم بأنها سوف تسحق رأس كل من يتجرأ على المساس ببعل غير أن الرسل يهدئون خاطرها ويطيبون نفسها ثم يقفلون عائدين إلى بعل غير أن عناة كانت أسرع منهم في الوصول إليه وعندما يراها بعل قادمة من بعيد يأمر بتجهيز وليمة فخمة تليق بها، وخلال ذلك كانت عناة تستحم وتطيب نفسها بالعطور، وبعد انقطاع في النص، يرسل بعل عناة إلى الإله إيل محملاً اياها شكواه وذلك أنه لا يمتلك بيتاً كبقية الآلهة الأخرى فتطمئنه عناة بأن إيل لا يملك إلا الموافقة على الطلب وذلك لصالحه وإلا فإنها سوف تذبحه ذبح الخراف ثم نراها متوجهة إلى بيت الإله (إيل) وعندما تصل تهدد أباها العجوز بأنها سوف تشوه معالمه فيما لو رفض الطلب، فيوافق إيل على تحقيق الرغبة بعد تردد طويل. وفيما بعد نفهم أن رسل الإلهة (أثيرة) قد حملوا مهمة إلى الإله (كوثار) يطلبون فيها أن يعود معهم ليشيد قصراً للإله (بعل) فوق جبل (صفن).

ويعيد نص آخر نفس الموضوع مع بعض التباين إذ تقوم أثيرة مفوضة عن عناة بمهمة نقل أمنية الإله بعل إلى الإله (إيل) ثم يصف النص الأثاث المذهب الذي

أعده أو سوف يعده أحد الإلهين (هييل) أو (كوثار) لقصر الإله بعل وفي حقل آخر من النص تكون أثيرة منهمكة بإعداد بعض التعاويذ عندما تلمح بعل وعناة قادمين إليها من بعيـد فترتعـد فرائصهـا من الخوف إذ تتوقع أنهما يحملان إليها نبأ موت أولادها ثم يثبت، أن خشيتها لم تكن في محلها بعد أن ترى بريق الذهب والفضة في أيدي الإلهين يخطف أبصـارهـا، وقـد فسـر بعضهم أن الإلهين حملا الذهب والفضة هدية إلى عناة لتؤثر على الإله إيل وتحمله على الموافقة على بناء قصر للإله بعل، وفي رأي بعضهم الآخر أن الذهب والفضة كانا مخصصين لكلفة البناء.

ثم يستطرد النص فيصف وليمة إلهية ينزعج خلالها الإله بعل من تصرف بعض الخادمات غير اللائق فينهض غاضباً ويبصق وسط مجلس الآلهة، بعد ذلك يلح بعل وعناة على أثيرة بالرجاء أن تتوجه إلى الثور الطيب إيل ليحقق رغبة بعل في السماح له ببناء قصر فتنطلق أثيرة بمساعدة خادمها (قدشوعمر) على حمارها مسرعة باتجاه منزل إيل. فيرحب بها إيل بحرارة ويقدم لها الطعام والشراب ويمنحها الحب ثم يسألها عن بغيتها فتحمل إليه رغبة بعل في امتلاك قصر فيجيب بسخرية لاذعة لا تخلو من مرارة مستغرباً فيما إذا كانت ترغب أن يفقد حياته بسبب ذلك. إلا أنه في الأخير يوافق على طلبهـا، فتنطلق عنـاة التي كانت تتنصت إلى حديث الـزوجـين مسرعة بالبشارة إلى الإلـه بعـل الـذي سرعـان ما يأمـر باحضار الإله (كوثار) لينفذ بناء القصر على جناح السـرعـة، ولسبب نجهله يطلب بعـل من (كوثار) ألا يجعل للقصر نافذة وبعد نقاش حام حول هذه النقطـة يبـدأ العمـل بالقصر الرائع، وعندما ينتهي البناء توقد النار فيه سبعـة أيـام، وتغطى جدرانـه بصفائح الذهـب والفضة، وبسعادة تفوق حد الوصف يدعو بعل الآلهة إلى منزله ليكرمهم فيه.

بعـد أن يعـود بعـل من هجـوم شنه على إله البحر (يم) يطلب من (كوثار) أن يفتـح له نافـذة في القصـر فيضحـك هذا الأخـير ويـذكـره برغبتـه السابقة حول هذا الموضوع إلا أنه يذعن في الأخير لرغبته، عندها ينطلق صوت بعل من النافذة مجلجلاً مدوياً يهز أركان الدنيا ويوقع الرعب والذعر في قلوب أعدائه ثم يعلن ساخطاً بأنه لن يدفـع من الآن فصـاعـداً الجزية إلى الإله (موت) وإذا كان (موت) يدعي بأنه يملك السيادة على الآلهة والبشر وبيده مصيرهم، كما يقوم على تزويد الأرض بالغذاء، فهو ليس مسؤولاً عن ذلك بعد الآن ويطلب من سفيريه (جفن) و (أوجر) بعد أن يزودهما بإرشاداته ونصائحه أن ينطلقا بالرسالة إلى الإله (موت) في العالم السفلي).

يرد (موت) على الرسالة في نص آخر بأنه يدعو بعلاً إلى وليمة سخية ليكون فيها الطبق الشهي الذي سوف يلتهمه عن آخره، والغريب في الأمر أن يذعن بعل وينقاد ذليلاً إليه ونستخلص من مضمون نص آخر أن بعل يتوجه إلى العالم السفلي مصحوباً بسحبه ورياحه وأمطاره وسبعة من غلمانه وثمانية خنازير وثلاث زوجات، ولكن قبل أن يصل إلى هناك يضاجع بقرة فتية وينجب منها عجلاً، وبعد انقطاع في النص يبلغ (إيل) بخبر اختفاء (بعل) ثم العثور على جسده مطروحاً فوق أحد الحقول، فيعتصر قلبه أسى ولوعة ويبكيه بألم، وعندما تعثر عناة على جسد الإله القتيل تقوم بمراسم التعازي والحداد وتخدش وجهها وذراعيها بمرارة ولوعة ثم تحمّلها شفش إلهة الشمس جثة أخيها على ظهرها فتطير بها إلى جبل (صفن) لتدفنه هناك وتقدم له الأضاحي وفق طقوس الدفن المعتادة ثم تكر عائدة إلى إيل وتعلن بسخرية ممزوجة بالأسى: لتفرح أثيرة ولتسر الآلهة فقد مات بعل، ثم يختار (عشتار) أحد أبناء (أثيرة) ليكون خليفة لبعل على عرشه إلا أنه سرعان ما يتخلى عنه لفشله في املاء الفراغ الذي أحدثه غياب بعل. وفي النص الذي يليه نشاهد عناة تتقدم من (موت) وتطلب منه أن يعيد أخاها فيتهكم منها ويعرض عنها فتنقض عليه بسرعة خاطفة وتقطعه إرباً إرباً وتصفي دمه بمصفاة وتحرق لحمه بالنار ثم تطحن عظمه بالطاحون وترمي فتاته فوق الحقول لتكون نهباً للجوارح.

وبعد ذلك يحلم إيل حلماً يبشره بوجود بعل على قيد الحياة وأن الأرض سوف تخصب ثانية، وبعد انقطاع في النص نرى الإله بعل يشترك في معارك عديدة ضد بعض الآلهة ويستعيد عرشه وبعد انقضاء سبعة شهور يجأر (موت) بالشكوى بعد أن استرد أنفاسه والتأمت جراحه التي سببتها له عناة ثأراً لمقتل أخيها (بعل) فيطالب بعل منازلته، ويتصارع الإلهان صراعاً مريراً يستنفذ فيها كل منهما ما لديه من مهارة في العض والركل والضرب فتتدخل إلهة الشمس (شفش) بينهما وتنذر (موت) بأن (إيل) سوف ينتزع منه عرشه وملكه فيما لو استمر في قتال بعل، فيعف عنه ويطلقه من بين يديه فيستعيد بعل عندئذ عرشه.

ونستخلص من مضمون بعض كسر الألواح الطينية مشهداً فيه كثير من الاثارة، إذ تزمع عناة على زيارة بعل وعندما تصل بيته لا تجده هناك ويخبرها الخدم بأنه انطلق متنكباً قوسه ونباله إلى صيد الجواميس في غابة (شاماك) (يعتقد أنها تقع عند بحيرة الحولة)، فتسرع إليه، وهناك يلقاها بلهفة وحرارة وبعد ذلك تشاهد الإلهة

بقرة فتية سارحة فوق الهضاب، وهنا يتعثر فهم النص ويمكن أن نستخلص منه ولادة عجل صغير ويبقى الشخص الذي قام بعملية الولادة مجهولاً، أعناة نفسها أم البقرة؟ ومما يشير إلى صفات الأمومة عند عناة النص المدون على إحدى الكسر والذي يصور مشهداً جنسياً بين بعل وعناة يعقبه الحمل ثم الولادة.

رواية أخرى لأسطورة بعل:

بالإضافة إلى كل ما ذكرناه من نصوص تتعلق بأساطير الإله بعل يوجد بعض الكسر التي تتضمن نتفاً من أساطير غير كاملة فعلى إحدى الكسر يعطي الإله (إيل) ساخراً مهمة إلى خادمتي إله القمر وأثيرة (ت. ل. ش) و(د. ج. م. ي) يقضي بموجبها أن تتوجها إلى البادية وتنجبا كائنات حية تدعى (أ. ك. ل. م) وربما تعني الكلمة آكلات العشب و(ع. ق. ق. م) وتؤدي معنى الابتلاع ويجب أن يكون شكل هذه الكائنات مشابهاً الثيران والجواميس ذات القرون، ويتوقع من رحلة الصيد التي يقوم بها الإله بعل أن يكون هدفها هو الحصول على هذه الحيوانات ويعترض سرد الأسطورة بعض التشويه ثم نفهم أن بعل وقع في صراع مرير مع الوحوش ويغلب على أمره حيث يسقط في أوحال وتتنابه الحمى التي تهد جسمه لمدة سبعة أو ثمانية أعوام ويفسر السبب في مرضه بالكلمات التالية:

لأنه يحمل دم أخيه في رقبته مثل الثوب الذي يرتديه.

مثل ثوب دم عشيرته.

وقد يعمد بعض الشارحين إلى تفسير هذا المقطع على أنه رمز لاغتيال الأخ، وأخيراً يعثر على الإله المفقود ولا يعرف من الذي عثر عليه أصديق أم عدو؟ وبعدها تقام طقوس وشعائر بواسطة التعاويذ على الماء.

وعلى كل حال نجد أن المضمون الأساسي لأسطورة بعل هو اختفاؤه وجفاف الأرض والقحط بسبب هذا الاختفاء ولكن لا يلعب الإله (موت) في هذه الأسطورة أي دور، وتتشابه هذه الأسطورة مع أسطورة حثية معروفة باسم (اسطورة تلبينو).

بعل أدير:

يذكر اسم هذا الإله لأول مرة في القرن الخامس ق. م، ويعني اسمه بعل

القـديـر، وكـان أحد آلهة جبيل، ويرد ذكره غالباً في شمال أفريقيا وخاصة في (سياجو) على أنه الإله الأب وبعل أدير أوغسطوس، كما تذكر النصوص البونية والبونية الحديثة أن له مذبحاً خاصاً به وأن جوبتر فالنز الذي كانت تقدسه الفرق العسكرية الأفريقية كان شبيهـاً به، ونظـراً لقلة المصـادر التي تتحـدث عنـه لا نعـرف شيئـاً عن طبيعته أو وظائفه فهل كان يا ترى إله خصب أم إلهاً من آلهة العالم السفلي؟

بعل بقاع :

سميت مينة بعلبـك باسم هذا الإلـه، وكـان يعـرف بإله السهول الواقعة بين جبال لبنان الشرقية والغربية إلا أنه تحول إلى إله سماوي في العصر الهليني منذ القرن الثـالث ميـلادي، ومنـذ ذلـك الحـين أصبحت بعلبـك تعـرف بالاسم الهليني (هليوبوليس) أي (مدينة الشمس).

ومما لا شك فيه أن بعل بقاع كان في الأصل إله طقس، وله شخصية (هدد)، ولا يمكن أن يؤخذ قول (مكروب) على محمل الجد في كتابه عن أعياد آلهة الخصب عندما يذكر أن عبادة الإله انتقلت من مصر إلى سوريا وهليوبوليس، والوصف الذي يعطيـه لتمثـالـه يتطـابق في أشياء كثيرة مع صوره على النقود البرونزية، حيث يظهر على إحـداهـا جالسـاً فوق عرش بين ثورين ويحمـل على رأسـه قفـة مزخرفة بسنابل القمـح، وليس له لحيـة وإنـما يتدلى شعر رأسه فوق رقبته، ويظهر الثوب الذي يرتديه صور آلهة سماوية تزخرف القسم الأمامي من الثوب في حين نقشت على أطرافه وعلى القسم الخلفي حيـوانـات ذات مدلـول رمـزي مثـل الحيـة المصـريـة والنسر ورؤوس كباش. وهناك صور أخرى على الثوب للإلهين (يونو) و(هرمز) اللذين يشكلان معه الأقـانيم الثـلاثة، كما يحمل الإله أحياناً رمز الصاعقة وسنابل القمح وسوطاً في يديه، وهي الرموز التي تشير إلى وظيفته الأصلية كإله طقس وخصب.

بعل حمّون :

يلعب هذا الإله دوراً بارزاً في شمال أفريقيا وعرف بأنه الإله الرئيس في قرطاجة من خلال كتابات نذرية عديدة، إلا أنه كان في الأصل إلهاً فينيقياً انتقلت عبادته إلى هنـاك فيـما بعد، وكان يعـود بإلـه الجنس لمدينة (سمأل) في كتابة كيلاموا المكتشفة في

زنجرلي والتي تعود إلى القرن التاسع ق. م، وليس معروفاً هل كان الشطر الثاني من الاسم (حمون) الذي تشكل منه أسماء الأشخاص في أوغاريت أصيلاً أم دخيلاً من أصل حوري(ويمجد بعل حمون في الكتابات التدمرية منذ القرن الأول قبل الميلاد، ويعتقد أن عبادته انتشرت من المستعمرة الفينيقية (قرطاجة) إلى مالطا وصقلية وسردينيا.

وقد ثبت لفظ الاسم في الكتابات اليونانية واللاتينية، وقد اقترح الاستاذ (ستاركي) تفسيراً لمعنى الاسم «سيد المباخر» معتمداً في تفسيره على وجود عدد كبير من الأنصاب في قرطاجة عليها مشاهد تقدمة البخور. إلا أن تحديد صفات الإله وشخصيته لم يبت فيها بعد، كما أن التفسير القائل بأن بعل حمون هو أحد ظواهر الإله (إيل) لم يجد ما يدعمه من الوثائق وبخاصة أن إيل لم يذكر اطلاقاً في كتابات شمال أفريقيا.

تذكر أقدم الأنصاب في قرطاجه اسم الإله (بعل حمون) بمفرده، ومنذ القرن الخامس قبل الميلاد يحتل اسمه المرتبة الثانية بعد (تنّيت)، ويبقى الأول في شمال أفريقيا إذا ما استثنينا قرطاجه ويلقب بإله الخصب في الكتابات اللاتينية، ولم نعثر على ما يؤيد كونه إلهاً من الآلهة السماوية أو أنه إله نار، وتقارب اسمه اللفظي مع إله الكهانة المصري (أمون) الذي يحمل رأس كبش دعا الناس إلى تشبيهه به وتصويره على المشاهد برأس ملتح ذي قرون (بعل قرنيم) كما يأخذ دور (كرونوس) في اللغة اليونانية و(ساتورن(أو جوبتر في اللاتينية، وكانت تقدم له الأضاحي من الأطفال في كل من صقلية وشمال أفريقيا (انظر مولوخ).

بعل شميم:

كانت عبادة هذا الإله منتشرة انتشاراً واسعاً، فقد ورد اسمه في كتابة (يحي ملك) في جبيل وفي كتابة أخرى من لارنكا (قبرص) وفي سردينيا، وفي قرطاجة، وكان من جملة الآلهة التي كان يقسم بها في مدينة صور، وقد ورد ذلك في نص الاتفاقية الموقعة بين الملك الآشوري أسرحدون (٦٨٠ - ٦٦٩ق. م) وبين بعل ملك صور، كما يرد ذكره بهذا الاسم على الأنصاب البونية وعلى نصب ذكير الذي يقارنه بـ (الور) وهذا اللقب كان يلازم الإله هدد، ويذكر أيضاً في نقش صخري عثر عليه في كيليكيا، وفي رسالة آرامية تعود إلى القرن السابع ق. م. والتي تضيف اسمه إلى

أحد أسماء الآلهة السماوية إلا أن الاسم مفقود من النقش للأسف. وكان يستغاث به إلى جانب الإله إيل (خالق الأرض)، وإله الشمس الخالد في الكتابة التي عثر عليها في (كاراتبة) وتلقى عبادته انتشاراً كبيراً في العهد السلوقي، إذ عثر على كتابات تذكره في كل من حوران وتدمر في المعبد الذي يعود إلى (سنة ١٣١م) وقد عثر فيه على مشاهد منحوته للإله نفسه أيضاً، وفي دوراً (كتابة نذرية من العام ٣٢م) وفي كل مناطق الشمال الرافدي.

ويذكر اسحق الانطاكي من القرن الخامس الميلادي أن عبادة (بعل شميم) كانت منتشرة في (إديسا). ويعني الاسم سيد السماء ولذا من المفترض أن يكون واحداً من الآلهة السماوية، وكان فيلون الجبيلي (انظر سانخينتون) يضع اسمه إلى جانب اسم (زيوس) على رأس قائمة الآلهة، وليس لدينا ما يثبت أنه كان إله طقس أو إله شمس وعلى كل حال لم تزل شخصيته مجهولة ومجال عمله غير معروف ولكن نفترض أن يكون مساوياً لإله السماء (آنو/أورانوس)..

بعل قرنيم:

يعني هذا الاسم سيد القرنين نسبة إلى موقع بين قمتي جبل، حيث كانت عبادته منتشرة هناك ولم يزل هذا الجبل محافظاً على اسمه القديم (جبل) بوقرنين) عند خليج تونس، وقد كشفت أعمال التنقيب هناك عن ضريح ومذبح وأكثر من ٣٠٠ نصب نذري إلا أنه لم يعثر على معبد له. ومن ألقابه التي ذكرت في النقوش (ساتورنوس بلقارنيسيس ودمينوس وديوس ماجنوس وسانكتوس)، ويصور في المشاهد النحتية على أنه (ساتورن)، وعلى كل حال يعتبر بعل قرنيم أحد ظواهر الإله (بعل حمون) المحلية، وازدهرت عبادته بشكل واسع في القرون الأولى بعد ميلاد السيد المسيح، ويستفاد من النصوص التي تدور حول عبادته أنه كان يشرف على تخريج الكهنة.

بعل كرم اللوز:

يعني هذا الاسم (سيد الكرمل) وهو تسمية لأحد الآلهة الكنعانية المحلية التي كانت تعبد في جبل يحمل نفس الاسم وربما هو الإله المقصود في سفر الملوك الأول

١٨ : ١٩ ـ ٤٠ ، حيث يحتدم الصراع بينه وبين يهوه رب اليهود وهو الذي أدخلت ايزابيل عبادته على بني دينها ، ومن الطبيعي أن ينتصر يهوه على بعل في نهاية المطاف كما أراد ذلك مدونو التوراة وكانت عبادته تقتصر على وجود مذبح فقط دون هيكل ، كما ورد في كتب المؤرخين القدامى واستمرت عبادته حتى القرن الثالث والرابع بعد ميلاد السيد المسيح ، ويعتقد الباحث أيسفلدت أن بعل كرم اللوز أو الكرمل هو ظاهرة من ظواهر الإله بعل شميم .

بعل مرقُد :

ويعني اسمه سيد الرقص ، كان له معبد في دير القلعة قرب بيروت ونبع يشفي من الأمراض حسب ما ترويه الكتابة المكتشفة في رودوس ، وبذا يكون هذا الإله أحد آلهة الشفاء ، كما ذكر اسمه في النقوش اليونانية واللاتينية على شكل بلمركوس ، وتصفه الكتابات اللاتينية مساوياً للإله جوبتر وزوجاً لإلهة تدعى (يونو) ، ويرى فيه أحد الباحثين شكلاً من أشكال إله (جوبتر هليوبوليتانوس) ولكن لم يثبت ذلك ، وقد نقل الجنود الرومان عبادته إلى روما .

بيت ايل :

يسمي فيلون الجبيلي (انظر ساخينتون) بيتيلوس أخا للإله (إيل) ، واسم (بيت إيل) معروف جيداً في الكتابات المسمارية وفي وثائق ورق البردي المكتشفة في الفانتين (مصر) ، وترجمة الاسم الذي يعني بيت الإله يجعل من المستحيل أن يرتبط هذا الاسم باسم إله معين إلا أن استعمال الاسم في أسماء الأشخاص المركبة لم يدع مجالاً للشك في وجود إله بهذا الاسم ، فقد ورد اسمه في نص اتفاقية الملك أسرحدون مع بعل ملك صور عام ٦٧٥ ق . م كواحد من الآلهة الرافدية إلا أن هذا لا يعني أن موطن الإله كان في الأصل هناك لأن الآراميين أثروا بشكل واضح في الحضارة الرافدية في ذلك الوقت ، ولذلك لا نستغرب وجود أسماء أشخاص مركبه من اسم الإله في العصر البابلي الحديث وبخاصة في عصر الملك الكلداني (نبوخذ نصر) الذي عاش من عام ٦٠٤ حتى عام ٥٦٢ق . م كما أن اليهود الذين عاشوا كأسرى في مصر (الفانتين) كانوا يقدسون إلهاً بهذا الاسم وربما يعود السبب في ذلك إلى أنهم كانوا مقيمين بالقرب من

أحـد معـابـده (انظـر عاموس ٥ : ٤ ـ ٦) «لأنه هكذا قال الرب لبيت اسرائيل اطلبوا فتحيـوا. ولا تطلبـوا بيت ايـل وإلى الجلجال لا تذهبوا وإلى بئر سبع لا تعبروا. لأن الجلجال تسبى سبياً وبيت إيل تصير عدماً».

ويسمى المكـان بيت إيـل في سفـر التكـوين ٣١ : ١٣ و٣٥ : ٧ وإلهـا في سفر ارمياء ٤٨ : ١٣ حيث يقول النص صراحة مشبهاً إياه بإله موآب (كموش).

«فيخجل موآب من كموش كما خجل بيت اسرائيل من بيت إيل متكلهم».

مما تقـدم يتضـح أن اسم بيت إيـل كان يعني إلهاً عبده اليهود ولم يعثر بين الآلهة الأوغـاريتيـة على إلـه يحمـل هذا الاسم وقد ذكرته الكتابات اليونانية واللاتينية على شكـل بيت إيليـا وفسـره فيلون بالأنصاب الحية ولا يشك أحد في أن بعض الأنصاب المصنوعة من الحجر كان لها سحر وقوة تتحكم فيها العفاريت.

ت

تؤوتوس :

يذكر هذا الاسم في كتابات فيلون الجبيلي على أنه مساوللإله المصري (ثوت) والإلـه اليـونـاني (هرمس) وهوحسب رواية فيلون أول من اخترع الأبجدية وأول من وضع نظرية نشوء الكون، ويرى الباحث أيسفلدت في الاسم احتمالين الأول أنه اسم إلـه كما ذكـر فيلون الثاني أنه اسم عالم اشتق اسمه من آخر حرف من حروف الأبجدية السـاميـة وهوحرف (التاء) الذي يعني في الأصل الرمز أو الاشارة وعلى هذا الأساس يكون (تؤوتوس) اسم الشخص الذي اكتشف الكتابة.

تكوين :

أ ـ إن أسـاطير الخلق غير معـروفـة في النصـوص الأوغـاريتية المكتشفة حتى الآن، غير أن قصيدة (شحر وشالم) تذكر ولو من بعيد بنظرية نشوء الآلهة وخلق الكون، وتتحـــدث روايـــات فينيقيـــة من عصـور أحـدث عن بدايـة العـالم كما أن فيلسـوف الأفلاطونية الحديثة (دمسكيوس) الذي كانت ولادته عام ٤٧٠ ميلادي يسرد لنا قصة نشـوء الكـون من وجهـة نظـر صيـداوية متأثرة بفلسفته ولكنها مختصرة جداً، والرواية المنقولة عن (سانخينتون) أكثر تفصيلاً إلا أنها تجمع على الأغلب وجهات نظر متباينة.

في البـدء كان كرونـوس وبـاثـوس (الـرغبـة) وأوميشيـل (الظـلام) وفق رواية (أويـدمـوس) ومن اتحـاد الـرغبـة مع الظـلام نشأ العقل المحض (إر) والصورة الحية الأولى من العقل (أورا) اللذين أنجبا بدورهما العقل الأول (أوتوس).

وحسب روايـة (مـوشـوس) كان في البـدء (أيثـر) و(إر) وفي رواية أخرى كانت الريح هي البـداية وعلى وجه التحديد (الريح الجنوبية الغربية والريح الجنوبية) ثم تبع ذلك (أولموس) و (خوسور).

وبعد ذلك بيضة وتفقس البيضة فيخرج منها أورانوس (السّماء) وجه (الأرض) (انظر أجيال الآلهة).

وبشكل مشابه يحدثنا فيلون الجبيلي نقلاً عن (سانخينتون) فيقول: كان الهواء المتحرك (بوثوس) عائماً فوق الخواء فتعتريه الرغبة في تلقيح ذاته فيتولد من ذلك (موت) ومن (موت) تتم عملية الخلق الأخرى و(لموت) هذا شكل البيضة المضيئة وضياؤها مثل الشمس والقمر والنجوم، وبتأثير الحرارة تنهمر مياه الأمطار غزيرة بشكل متواصل، وعندما تفرز الشمس عناصر منها تحصل العواصف والزوابع، ومن كل هذا تتحرك كائنات كانت غائبة عن الوعي وتتحول إلى كائنات ناطقة تتأمل السماء منها الذكر والأنثى تعيش فوق اليابسة وتحت الماء.

ب ـ ويحدثنا فيلون الجبيلي نقلاً عن (سانخينتون) عن نظرية نشوء الحضارة والتمدن في الأرض وينسب نشوء الحضارة إلى آلهة عديدة، إذ أن الناس كانوا يعيشون على جذور النباتات والأعشاب فعلمهم (أيون) وهو ابن الريح قطاف الأشجار المثمرة، فجاء الجيل الثاني يعبد الإله (بعل شميم) ليتجنبوا بواسطته جفاف الحقول والقحط، ومن ثم تعدد الاكتشافات على الشكل التالي:

اكتشاف النار واستخدامها لصالح الإنسان من قبل إله الضوء (فوس) وإله النار (فير) وإله الشعلة (فلوكس)، وعلم الإله (هيفسورانيوس) صناعة الألواح من القصب ثم تم اكتشاف صناعة الطوب من قبل آلهة أخرى، وتعلم الإنسان استخدامه في البناء، كما قامت آلهة أخرى بتعليم الناس إنشاء القرى وتربية المواشي في حظائر والصيد البري والبحري (انظر صيد) بعد أن اكتشف (خوسور) الحديد، فصنع منه أدوات الصيد المختلفة (انظر كوثار) وكان هو أول من استخدم السفن في البحر بعد أن كان (أوسوس) يعوم فوق جذع شجرة على الماء ثم تعلم الناس صناعة الألبسة واستخدام الملح ثم تم اكتشاف الكتابة (انظر تؤوتوس) والعجلات واستخدامها كوسائل نقل تبع ذلك اكتشاف النباتات الطبية وتعاويذ الشفاء.

تينيت:

يقترن اسم هذه الإلهة مع الإله (بعل حمون) في كثير من النصوص النذرية البونية منذ القرن الخامس ق.م، وكان يختلف في قراءة وكتابة اسمها في اللغات

اليونانية والبونية والبونية الحديثة، ولم يفسر معنى الاسم حتى الآن، وربما كان من أصل ليبي وعلى كل حال لم يرد ذكر الاسم سواء في أوغاريت أو في الكتابات الفينيقية في الوطن الأم، وكانت تعبد في قرطاجة منذ القرنين السادس والخامس ق. م بلهجات مختلفة في نطق الاسم، وهي قرينة (بعل حمون) ويتقدم اسمها اسمه في قرطاجة على عكس بقية دول شمال أفريقيا كما يقترن اسمها باسم أسكولاب (انظر اشمون ـ آلهة الشفاء)، ويجاور معبدها معبده في قرطاجة عند خليج (بيرزة) وصفاتها عديدة ومختلفة في المراجع اليونانية واللاتينية، وهي في تصور العابدين عذراء رغم أنها إلهة من آلهات الخصب وتسمى بالأم في كثير من النصوص (انظر عناة). ومن رموزها ثمر الرمان والتين وسنابل القمح والحمامة والسمكة وتلعب دوراً كإلهة من آلهات السماء وتتميز عن عشتارة (نجم الزهرة) بأن مجال عملها كان مقتصراً على الكواكب (الأقمار)، وقد استمرت عبادتها حتى القرن الثالث ميلادي في شمال أفريقيا واسبانيا وبنى لها القيصر (سبتيموس سفروس) الذي هو من أصل أفريقي معبداً في روما.

ج

جفن وأجر:

كان هذان الإلهان يقومان بدور الرسول للإله بعل، والاسمان لإلهين مختلفين في الشخصية والوظائف وليس كما كان يعتقد أنهما اسماً مركباً لإله واحد، والاسم الأول يعني الكرمة عامة والثاني من أصل أكادي ويعني الأرض الزراعية وكلاهما عاملان مؤثران في الاقتصاد الزراعي السوري ولانرى للإله (جفن) ذكراً في نصوص التعاويذ الأوغاريتية، ويرد اسم (أجَر) مرة واحدة في نص من نصوص التعاويذ وقد استخدم اسمه لرد الأعداء المهاجمين لمدينة أوغاريت ويتسمى باسمه الأوغاريتيون مما يشير إلى أهميته في الطقوس الدينية، ولم يدرس هذا الإله الدراسة التي يستحقها رغم أن اسم مدينة أوغاريت مشتق من اسمه.

ح

حورون :

يظهر اسم هذا الإله مركباً في الأسماء الكنعانية وفي أسماء المواقع والمدن منذ عام ١٩٠٠ حتى حوالي العام ٦٠٠ ق.م، ويحمل ثلاثة أمراء فلسطينيون اسم (حوران أبوم) وهم الذين ترد أسماؤهم في نصوص اللعنة المصرية خلال حكم السلالة الثانية عشرة في مصر، مما يشير إلى أن عبادة هذا الإله كانت منتشرة في فلسطين قبل ٤٠٠ سنة من انضمامه إلى مجمع الآلهة المصري، وكانت صوره معروضة في معبد الفرعون المصري أمنوفيس الثاني (حوالي ١٤٣٦ ـ ١٤٢٣ ق.م) بشكله الآسيوي على لوحات مزججة (فيانس) ويذكر اسمه على أوراق البردي إلى جانب (رشف) و (عناة)، واقتران اسمه باسم الإله رشف دعا الباحثين إلى الاعتقاد بأنه شكل من أشكال الإله (رشف) أو الإله (شلمان) الكنعانيين، ويشابه في صفاته الإلهين الرافديين (نرجال) و (نينورتا)، وعلى كل حال كان (حورون) مصوراً على شكل عقاب كإله حام للفرعون رمسيس الثاني فوق أحد تماثيله المكتشفة في عاصمته (ممفيس) الواقعة في منطقة الدلتا، ، وكان تمثال أبو الهول الكبير في الجيزة من عصر السلالة الثامنة عشرة يعبد على أنه الإله (حورون). ويذكر أحد النصوص المكتشفة في أوغاريت والمتعلقة بملحمة (كرت) أن الملك يلعن ابنه (يصيب) الذي يحاول انتزاع العرش منه بالكلمات التالية:

ليهشم الإله حورون رأسك يا ولدي.
ليهشم (حورون) رأسك يا ولدي
وباسم عشتارة بعل أدعو أن يتحطم رأسك.

ان ربط اسم عشتارة بـ (حورون) في هذا الموضع من النص يذكرنا بارتباط (حورون) بالإله المصري (هوروس) حيث أن ابن عشتارة وحبيب صباها يلتقي في كثير من النقاط مع صفات ابن الإلهة المصرية (إيزيس). ويرتبط اسم (حورون) باسم الإله (بعل) في نص تعويذة فينيقية عثر عليها في أرسلان طاش ويعود تأريخها

إلى القرن السابع ق.م حيث يرد ما يلي :

وعظمة نساء حورون الذي لا ينطق إلا بالحق .

وعظمة سراريه السبع

وعظمة نساء بعل الثماني .

(أقسم !)

وتسترعي انتباهنا في هذا القسم جملة (الذي لا ينطق إلا بالحق) فهذه الجملة تفيدنا في معرفة وظيفته كراع للعهود والمواثيق وتذكرنا أيضاً بلقب بعل (سيد الميثاق) ومن هذا المنطلق نفهم الآن لعنة (كرت) على ابنه حيث أخل الابن بالمواثيق والعهود التي قطعها على نفسه .

ويعتبر (حورون) إلهاً رئيساً في مدينة يمنيا (حورون يبن) في القرن الثالث ق.م ، كما اقترن اسمه مع هرقل (ملقارت) في نص مدون باللغة اليونانية فوق مسلة عثر عليها في جزيرة (دلوس) .

وأخيراً تسميه النصوص الأدبية في اللغة المندية بعبقري حوران وظل الوجود .

أصل الاسم :

كان يلفظ الاسم السامي في الأصل حوران مثل اسم المنطقة في جنوب القطر العربي السوري ، ويعني مقطع الاسم (حور) حفرة أو جوف وكان العرب يقصدون باسمه كوكب جوبتر ، ويعادل في وظائفه الإله الرافدي نرجال في نصوص التعاويذ الأكادية ، ونرجال كما هو معروف إله العالم السفلي والطاعون في التصور الرافدي .

تصوره في الفن :

عثر على مسلة في شيحان (موآب) تحمل صورة إله يعتقد أنها صورة الإله (حورون) إذ أن اسلوب قصة شعره مشابه للأسلوب الكنعاني ، كما يوجد إلى جانب صورته صورة الإله حوروس وقد اتخذ شكل العقاب (انظر الصورة رقم ٩) .

وقد أرخ الأستاذ ألبرايت هذه المسلة بين عامي ٢٥٠٠ و ٢٢٠٠ ق.م .

د

دجن :

١ ـ ثبوت وجود الإله دجن في الوثائق :

عرف إلـه بهذا الاسم في كل من بلاد الـرافدين وسورية في وقت واحد، وأقدم وثيقة ورد فيها اسمه قبل اكتشاف نصوص أوغاريت كانت تتضمن اسم أحد الأمراء (دجن) تكـلا) الـذي عثـر له على رسـالتـين ضمن رسـائـل تل العمارنة كما ورد اسم مكانين مختلفين في أسفار العهد القديم للإله (دجن) على شكل (بيت دجن)، (انظر سفر يشوع ١٥ : ٤١ و ١٩ : ٢٧) مما يوحي بوجود معابد كنعانية لهذا الإله.

أصل التسمية :

كان يكتب الاسم في اللغـة الأكـاديـة على شكـل المقاطع التالية : (دا ـ جان)و (دا ـجـا ـ ان) و(دا ـ جا ـ نا) وتحـول الحـرف الصـوتي أ إلى أوفي اللغـة الكنعـانيـة فأصبـح يلفـظ (داجـون) أمـا في اللغتـين الأوغاريتية والفينيقية فكان يكتب بالحروف السـاكنـة فقـط (د ـج ـ ن)، والمعنى الأصـلي للأسم غير معـروف فهويعني في اللغة العربية (غائم وممطر) كما يعني سماء غائمة وضباب، ويأتي الاسم بمعنى (حبوب) في اللغات الأوغاريتية والعبر ية والفينيقية، وبهذا المعنى فسر فيلون الجبيلي الاسم أيضاً.

ويشـــرح هير ونيمـوس الاسم على أنـه اسم مركب من (داج) و(أون) ويعني شكـلاً من أشكـال السمـك وتبنى آخرون هذا التفسير على الرغم من أنه لم يثبت ما يشير إلى أية علاقة كانت تربط الإله مع السمك.

ويبـدو أن معنى الاسم في اللغـة العـربيـة أكثر قرباً من صفات الإله لأنه فعلاً يجسـد قوى الطقس والخصـوبـة أمـا تفسير الاسم بمعنى (الحبوب) فقد ارتبط بالاسم في وقت لاحق، وهو ليس المعنى الأصلي للاسم.

دجن في النصوص الأوغاريتية :

لا يلعب الإلـه دجن دوراً مهـماً في الأسـاطـير الأوغـاريتيـة، ويظهر في قصيدة

(نيكال) بدور غامض غير مفهوم وما عدا ذلك يرد ذكره في النصوص بشكل عابر على أنه والد الإله (بعل)، كما أن اسمه يتكرر في ثلاث تعويذات طقسية، ويأتي ترتيبه في قائمة أسماء الآلهة إلى جانب الإله (إيل) والإله (بعل) وكانت حصته من الأضاحي حملا.

وتكمن أهمية الإله (دجن) الدينية في أن المنقبين الأثريين كشفوا عن معبدين متجاورين أحدهما للإله بعل، والثاني لوالده (دجن) في المركز الرئيسي لمدينة أوغاريت. وكان يتألف معبد الإله (دجن) من قاعتين كبيرتين قرب بعضهما تبلغ مساحة الواحدة منهما حوالي خمسة أمتار مربعة وسماكة جدرانهما حوالي ٥م ولا ندري السبب الذي دعا البنائين إلى جعل الجدران بهذه السماكة، كما عثر داخلهما على نصبين نذريين للإله دجن، مما يشير إلى شعبيته الواسعة، وبما أن المنقبين لم يعثروا على معبد للإله (إيل) فقد ساد الاعتقاد أن (دجن) نفسه هو الإله (إيل) الذي يقابل بدوره الإله (كرونوس) في المراجع اليونانية إلا أن (فيلون) يذكر (دجن) على أنه ابن (أورانوس) و(جه) وأخ (إيل) ويؤيد هذا الرأي ظهور بعل في النصوص الأوغاريتية كإبن للإله (إيل) أحياناً وابن للإله (دجن) أحياناً أخرى، ويظهر الإلهان في أحد النصوص كإلهين مختلفين، ولعل الالتباس الذي رافق ولادة (دماروس) (انظر بعل الفقرة الخامسة) كما رواها (فيلون) يساعدنا في فهم العلاقة التي كانت تجمع بين الإلهين.

٢ ـ دجون عند الفلستينين:

كان (دجن) معبوداً عند الفلستينين بلفظ (دجون) حوالي ١١٠٠ ق.م، كإله حرب ويتربع قمة مجمع الآلهة لديهم، وكان معبده مفتوحاً أمام كل الناس في غزة خلال احتفالات النصر، في حين يقدم الأمراء له الاضاحي والأعطيات.

ولعل الغاية من وضع تابوت العهد أمام تمثاله في مدينة أسدود في القصة التي يرويها (سفر صموئيل الأول ٥) كانت اظهار قوة (يهوه) على (دجن) ويبدو أن عبادة (دجن) لدى الفلستينين استمرت طويلاً حتى الألف الأول ق.م.

ويروي سفر صموئيل الأول (٣١ : ١٠)، أن الفلستينين رموا بأسلحة شاؤول داخل معبد (عشتارة) وعلقوا جثته على أسوار مدينة (بيت شان) في حين يروي سفر الأيام الأول (١٠ : ١٠) أن الأسلحة حفظت في معابد آلهتهم وأن رأسه علق في معبد (دجن).

رشف :

لم يلعب إلـه الأوبئـة وأحـد آلهـة العـالم السفـلي الإله (رشف) أي دور يذكر في الأسـاطـير الأوغـاريتيـة، ويُلقى على عاتقـه أنه أفنى خمس عائلة الملك كرت (انظر ملحمــة كرت)، ومـا عدا ذلـك يظهـر اسمـه مركبـاً في أسـماءالأشخاص وفي قوائم الأضـاحي ويـذكـره أحد النصوص مساوياً للإله الرافدي (نرجال)، وكذلك مساويا للإلـه (أبـولـو) اليـونـاني في النصوص المدونة باللغتين اليونانية والفينيقية والمكتشفة في جزيـرة قبرص. ومعنى الاسم في الأصـل (الـوباء) أو (النار) ويلفظ بأشكال متعددة (رِشفْ ورَشَفْ وروشفَنْ وروشفـــون) ويظهـر كإسم مكـان في العهـد السلوقي على شكل (أرسوف) ويجمع الاسم في أسفار العهد القديم بأنماط وصيغ متعددة ليشير إلى معنى المشاعل ولظى الحب الذي لا ينطفىء والبرق والنبال (انظر المزمور ٧٦ : ٣).

وأبناء رشف مثل الشرارات في سفر أيوب ٥ : ٧ (النص العبري).

وفي سفر التثنية **٣٢ : ٢٤** الجوع والوباء.

استمرت عبادة هذا الإله لدى الدول الآرامية في سورية حتى القرن الثامن قبل الميـلاد، وهـو أحد الآلهة الذين ناصروا الملك (بانامو) كما تذكر المخطوطة المكتشفة في (زنجرلي)، ويوصف في مخطوطة فينيقية أخرى (من كاراتبه) على أنه (رشف الطيور) إلى جانب الإله بعل، وفعلاً عثر في (كاراتبه) على منحوته يظهر فيها إله يحمل طائراً في يده، ويترجم اسمه أحياناً بـ (رشف التيوس) وهذا محتمل أيضاً لأن إحدى صوره تظهره معتمراً قبعة بقرون تيس إلا أن هذه الصفة لا تظهر إلا في وقت متأخر جداً كما أن بعض الكتابات الفينيقية المكتشفة في قبرص تصفه برشف الصاعقة ورشف القوس.

رشف في الفن :

لا يوجـد مشـاهـد مصـورة للإله خارج مصر حيث كان هذا الإله محبوباً هناك ويصور مع بقية الآلهة السامية الشعبية في مصر في عهد حكم الدولة الحديثة.

ويظهر على أحد الأنصاب مرتدياً تنورة قصيرة مزخرفة بشراريب عند حوافها مثبته بواسطة حمالات متصالبة على الكتف، يعتمر تاجاً مخروطي الشكل مرصعاً بشعار على شكل رأس غزال، ويبدو الإله متهيئاً للقتال إذ أنه يحمل ترساً ورمحاً في يده اليسرى وفأساً مرفوعة في اليد اليمنى.

نصوص رفائيم:

عثر على ثلاث كسر من رقم طينية تتحدث عن كائنات تدعى (رفوم)، ويعتقد أن هذه الكائنات تمثل جنس العمالقة الذي يرد ذكره في أسفار العهد القديم باسم (رفائيم) انظر تكوين: ١٤ : ٥، ١٥ : ٢٠.

تثنية: ٢ : ١١، ٢٠، ٣ : ١١.

يشوع: ١٧ : ١٥.

سفر صموئيل الثاني: ٢١ : ١٦، ١٨، ٢٠، ٢٢.

كما يرد اسم واد في القدس يحمل اسم رفائيم انظر: يشوع ١٥ : ٨، ١٨ : ١٦ وسفر صموئيل الثاني ٥ : ١٨ ـ ٢٢ و٢٣ : ١٣.

ان دراسة مضمون هذه الكسر ليس بالأمر السهل حيث تظهر فيها أسماء كثيرة مثل دانييل وبعل وعناة مما يبعث على الظن أن هذه النصوص تتضمن أساطير وخرافات مختلفة ولا تتعلق بموضوع واحد فقط، ومهما يكن من أمر فإن الكسر الثلاث تتحدث عن حفل يقيمه الإله (إيل) ويحضره كل من بعل وعناة كضيفي شرف إلى جانب رفائيم، كما يظهر اسم (رفوبعل) و(رفوعناة) مع اللقب المقاتل في سبيل (بعل) والمقاتل في سبيل (عناة)، ولا يتضح من النص سبب إقامة الحفل. ويعني الفعل (رفا) في نصوص العهد القديم (شفى) ويعبر عن الاخصاب بعد العقم (انظر تكوين ٢٠ : ١٧) كمياه أريحا التي شفت الياس من العقم والموت.

مما تقدم نفهم أن رفائيم هي آلهة تملك خاصية الشفاء والخصب وقد اقترح بعضهم المعنى المستخلص من جذر الكلمة في اللغة العربية (رفا يرفو رفوا) أي جمع الشيء إلى بعضه (أصلحه) وبهذا المعنى تشمل كلمة رفائيم مجموع سكان العالم السفلي.

س

سانخينتون :

كان كتـاب أوزيـب المتـوفي عام ٣٤٠ م يتضمن مقتطفات من مؤلف فيلون الجبيلي الواقع في ثمانية مجلدات بعنوان فينيقيا أو تاريخ فينيقيا، ولم يكن أوزيب الوحيد من المؤرخين الذين اعتمدوا كتابات فيلون التاريخية، إذ أن عمله كان معروفاً وشائعاً في حينه، وكتاب فيلون نفسه كان عبارة عن ترجمة وبعبارة أدق ترجمة وتحقيق لكتاب مؤرخ يدعى (سانخينتون) عاش قبل حرب طروادة في مدينة بيروت أو حسب روايات أخرى في صيدا أو صور، وتلقى علومه عن كاهن الإله يو (انظر يو) يدعى (هير ومبالوس)، ولقيت كتاباته صدى حسناً لدى الملك (أبي بعلوس) وحاشيته. فقد قام سانخينتون بنسخ وجمع الكتابات الموجودة داخل المعابد ودونها باللغة الفينيقية.
ويخبر أوزيب في كتابه أن فيلون ذكر في مقدمة مؤلفه أن سانخينتون اكتشف أبجدية العمونيين داخل أروقة وقاعات المعابد فقام بدراستها كما أنه انكب على دراسة أعمال تؤوتوس الأصلية التي لحقها التحريف والتعديل على أيدي المؤرخين المحدثين والكهنة الذين حولوا المعلومات التاريخية إلى ضرب من ضروب الأساطير. واسم سانخينتون اسم مركب ومخفف من (ساكون ـ يتن) أي (ساكون يعطي) وكان هذا الاسم شائعاً في الكتابات البونية، ومن المحتمل جداً أن سانخينتون كان شخصية تاريخية حقيقية وإن اختلف المؤرخون في تحديد العصر الذي عاش فيه، فحسب رأي ألبرايت عاش سانخينتون في القرن السابع ق. م، في حين يرى (أيسفلدت) أنه عاش في النصف الثاني من الألف الثاني ق. م في الوقت الذي دونت فيه الأساطير الأوغاريتية. ولا يمكن البت في الموضوع بشكل قطعي لأن مقتطفات كتاباته التي وصلتنا لا تسمح بتكوين فكرة واضحة للأسباب التالية:

أولاً لأن فيلون نفسه كان متأثراً بالنهج السائد في عصره والذي يزعم أن الفكر الديني الفينيقي هو أصل كل ديانات البشرية ثانياً أن الآلهة الفينيقية كانت بشراً أُلِّهت فيما بعد.

ولا نستبعد اطلاقاً أن معظم الاضافات والتحقيقات التي لحقت بمقتطفات كتابات سانخينتون هي من عمل فيلون، كما لا نستبعد اضافات أخرى متأثرة بفكر عصر واضعيها ألحقت بها من قبل مؤرخين أحدث مثل (أوزيب) بالاضافة إلى أخطاء النسخ من جيل إلى جيل.

والقسم الأعظم من الكتابات المتبقية من سانخينتون عن الدين تتضمن ما يلي:

١ ـ نظرية الخلق ونشوء الكون من خلال الأساطير.

٢ ـ نشوء الحيوان.

٣ ـ الآلهة الخالقة.

٤ ـ نشوء المعادن.

٥ ـ حكم كرونوس وأجيال الآلهة.

٦ ـ المصادر والروايات.

٧ ـ مقاطع تتحدث عن تأليه الثعابين والتضحيات بالأطفال.

بعد دراسة النصوص الأوغاريتية المكتشفة لغاية الآن تبين أنه لا يوجد مطابقة حرفية مع كتابات سانخينتون إلا أن كثيراً من المعلومات عن الآلهة وأسمائها كانت متطابقة مما يدعم الرأي القائل بصحة وجود مؤرخ يدعى (سانخينتون) وصحة نسب المقتطفات إليه في كتب المؤرخين الذين نقلوا عنه.

ش

شحر وشالم:

يبدو أن هذين الإلهين كانا من الأهمية بمكان حيث أن لهما قصيدة خاصة معنونه باسميهما وتمجد ولادتهما وتصفهما بالآلهة المنعمة المحبوبة، وما عدا ذلك لا نملك أية وثيقة تتضمن أخباراً عنهما. غير أن اسم شالم يرد في قائمة الأضاحي، وتركب من شحر أسماء الأشخاص مثل عبد شحر، ومن معنى اسميهما يمكن أن نستخلص صفاتهما الإلهية فشحر هو السحر قبل انبلاج الفجر وشالم الشفق قبل غروب الشمس، وهذا يعني أنهما كانا نجمي الصباح والسماء مثل نجم (عشتار/فينوس).

ويقابل هذا التوأم الإلهان (أرصو) و(عزو) في تدمر حيث يسميان في اللغة اليونانية (أزيزوس) و(مونيموس) أي (عزيز) و(منعم) وتذكرنا هذه التسمية بالأصل السامي المعروف في النصوص الأوغاريتية.

وربما يرتبط الاسم هلال بن شحر الذي يرد في سفر أشعياء ١٤ : ١٢ بأقصوصة أسطورية غير معروفة لدينا (كيف سقطتِ من السماء يا زُهرة بنت الصبح. كيف قُطعتَ إلى الأرض يا قاهر الأمم).

كما أن اسم مدينة القدس (أورشالم) الذي يرد في نصوص اللغة المصرية في عهد الأسرة الثانية عشرة يرتبط ارتباطاً وثيقاً باسم هذا الإله منذ القرن التاسع عشر ق.م وقد يضاف إلى الاسم ألف ونون فيصبح شلمان، وكان يحمل هذا الاسم ابن العاهل الآشوري أددنيراري الأول الذي عاش من عام ١٣١٠ حتى عام ١٢٨٣ ق.م ولا نشك في أن اسمي سليمان وأبشالوم ولدي الملك داوود لهما ارتباط باسم الإله (شالم) الكنعاني، ويذكر تغلات بيلصر الثالث في إحدى كتاباته اسم ملك مرآب (شلمانو) مما يدل على انتشار اسم هذا الإله منذ القديم. ويرد اسم أبشالوم على قطعة من الصدف تعود إلى القرن الخامس ق.م، ورغم كل المحاولات التي بذلها كتاب التوراة لإزاحة أسماء الآلهة الوثنية من أسفار العهد القديم إلا أن رواسبها بقيت

عالقة في أذهانهم وإن أضفوا عليها شكل الصفات المعنوية بدلاً من التجسيد الإلهي انظر على سبيل المثال المزامير ٨٥: ١٠.

الرحمة والحق التقيا. البر والسلام تلاثما.

كما أن اسم (صدقي شالم) كان شائعاً كثيراً في أسماء الأعلام الأوغاريتية التي تتضمن بشكل أو بآخر اسم الإله (شالم)، وكان اسم (العزى) و(شالم) مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بمدينة القدس وضواحيها منذ الألف الثاني ق. م ووجد أفضل تجسيد له في نجم (بيت لحم).

ص

صيد :

عرف هذا الإلـه من خلال أسـماء الأعـلام المـركبـة ، وقـد ثبت لفظه بالحروف الصـوتيـة على شكـل (صيـديـاتون) أي : الإله صيد يعطي وتركب منه أسماء مؤنثه (صيـد تعطي) وأسـماء مذكـرة (صيـد ملقـارت) ويـرد الاسم الأول مراراً في كتـابات قرطـاجـة حيث أن الإلـه كان يحتـل هنـاك معبداً . والاسم مشتق من جذر في اللغات السامية يظهر في الأوغاريتية على شكل (ص . و . د) وفي الأكادية (صادو) وفي العربية (صيد) ومعناه كما هو في جذر الكلمة العربية (الصيد) .

ط

طلي:

إحدى بنات أورفيقات بعل الثلاث أرصي وفيدراي واسمها مشتق من (الطل) مع ياء النسبة (طلي) ويعني الندى، الطلاوة وتلقب بابنة المطر.

ع

عشتار :

عشتار: يظهر اسم هذا الإله بشكله المذكر (عثتار) في النصوص الأوغاريتية والكتابات العربية الجنوبية ويتبدل لفظه إلى عشتار في عصر لاحق، ويرمز إلى نجم الصباح في بلاد كنعان، وتلحق الاسم تاء التأنيث فيصبح عشتارة التي ترمز إلى نجم السماء وتعادل عشتار الرافدية.

ويجسد (عثتار) في الكتابات العربية الجنوبية الولد البكر لإله القمر (سن)، لا يلعب (عثتار) دوراً بارزاً على مسرح الأحداث الأسطورية في أوغاريت رغم أنه اختير ليكون خلفاً للإله القتيل (بعل) وحصل على لقب البطل والمتعالي، ولكنه أثبت أنه أعجز من أن يسد الفراغ على عرش بعل الخالي، فتركه مختاراً غير آسف عليه، ويستطرد النص الأوغاريتي قائلاً:

ولكنه لم يزل سيداً على الأرض وإله الكل، ويفهم من هذا الكلام أن الإله عثتار عجز عن أن يقوم بوظائف بعل السماوية لذلك بقي نشاطه مقتصراً على الأرض كإله للري والسقاية التقنية، والتسميات العربية خير مصداق لما ذكرنا فالأرض المروية بواسطة السماء تدعى أرض بعلية، والمروية بوسائل الري التقنية أرض عثور.

ويستفاد أيضاً مما تقدم أن وسائل الري الاصطناعية كانت لا تكفي حاجة الأرض الزراعية الفعلية.

ويتدخل عثتار في المشاحنات التي كانت تقع بين بعل ويم في الأساطير الأوغاريتية المتعلقة بالإله بعل وكوسيط في زواج الإله (يراح) بالإلهة (نيكال).

ولا يرد اسمه اطلاقاً في قوائم الأضاحي مما يشير إلى ضعف مركزه في الطقوس الكهنوتية، وربما يعود السبب في ذلك إلى تشبهه بالإلهين التوأم (شحر وشالم) اللذين يرمزان إلى وقت السحر والغسق.

وانتشرت عبادته في موآب منذ القرن التاسع ق. م تحت اسم كودوج (عشتار - كاموش)، وكاموش كان الإله القومي لموآب، وخلال ثورة الملك ميشع ضد هيمنة

اليهود على موآب قدم الأسرى والغنائم تحت أقدام تمثال الإله، وذبح السكان اليهود باسمه ذبح النعاج.

عشتارة ـ عشتاره ـ عشتارته:

كان الشكل الأصلي للاسم (عشتارة) يكتب بالحروف الأوغاريتية الساكنة (ع.ث.ت.ر.ت) وهو الصيغة المؤنثة من (عشتار) بعد اضافة تاء التأنيث، والاسم الرافدي عشتار هو الصيغة المذكرة للإلهة.

استخدم كتّاب العهد القديم الحروف الصوتية من كلمة (بوشْت) التي تعني (العار) وشكلوا بها الحروف الساكنة في اسم عشتار فأصبح الاسم يلفظ (عشتورة) ويجمع بـ (عشتروت) كما يجمع اسم الإله بعل على بعليم للإشارة إلى الآلهة الوثنية التي يرد ذكرها في أسفار العهد القديم، ويقابل ذلك (إيلاني وإشتاراتي) أي آلهة وإلهات.

لا تلعب عشتارة دوراً مهماً في الأساطير الأوغاريتية المعروفة، فهي تتدخل مرة في الصراع القائم بين (بعل) وأمير البحر (يم) وتنصح بعل بأن لا يقضي على حياة (يم) بل يحتفظ به أسيراً، ويشبه الملك (كرت) حسن محبوبته بجمال ومفاتن (عناة) و (عشتارة)، كما يستغيث بها مع (حورون) لتقتل ابنه العاق الجاحد (يصيب)، وفي هذا النص يرد اسمها مرتبطاً باسم الإله بعل (عشتارة اسم بعل) مما يوحي بعلاقة كانت قائمة بينهما، ويذكر الاسم بهذا الشكل مرة أخرى بعد ألف عام في كتابة ملك صيدا (إشمون أزر).

وتتجمل (عشتارة) مثل (عناة) بصفتين أساسيتين الأولى إلهة الخير والخصب والبركة والثانية إلهة التدمير في المعارك والنزال، وتندمج الإلهتان في عصر لاحق تحت اسم واحد هو (أتارجتيس).

وعرفت بشخصيتها الحربية في أسفار العهد القديم (انظر سفر صموئيل الأول ٣١ : ١٠) حيث يقوم الفلستيون بتعليق أسلحة (شاؤول) وأبنائه التي غنموها في الحرب في معبد الإلهة الموجود في بيت شان. «ووضعوا سلاحه في بيت عشتاروت وسمروا جسده على سور بيت شان» وعرفت بهذه الصفة في مصر أيضاً إذ كانت تقوم على حماية الفرعون المصري خلال المعارك التي يخوضها ضد أعداء بلاده ويمجدها

بالعظيمة فوق الفرس وسيدة الخيول والعجلات، وكانت تظهر مع الإلهة المصرية (ششمت) على المنحوتات.

كما تظهر (عشتارة) على إحدى المسلات المحفوظة في متحف (تونيه) كمقاتلة عارية فوق فرس وقد شدت عنانه على جسدها، وترمي بنبلة من قوس على أفريقي ويسميها النص المشفوع بالمسلة «سيدة المعارك وإلهة الآسيويين»، ويفسر بعض الباحثين وجودها في معركة ضد أفريقي، أنها كانت تعبد من قبل الجنود السوريين المعسكرين في الأراضي الليبية والنوبية، وهناك مشهد آخر للإلهة وهي عارية إلا من قلادة في عنقها وخواتم في أصابعها، تمتطي جواداً وتلّوح بسلاح في يدها (انظر الصورة رقم ٣)، كما يوجد نص أوغاريتي غير منشور يذكر أن الحصان هو حيوانها المفضل.

وتذكر إحدى أوراق البردي المعنونة بعشتارته، والمدونة باللغة المصرية القديمة خلال حكم السلالة التاسعة عشرة أسطورة مفادها أن إله البحر الطاغية كان يضطهد بقية الآلهة ويطالبهم بدفع الجزية له، وبعشتارة زوجة؛ تذكرنا هذه الأسطورة بالأصل الكنعاني لها في نصوص أوغاريت التي تحدثنا عن الصراع المرير بين بعل ويم، والنص المصري مثل النص الأوغاريتي في حالة سيئة. وعلى الرغم من أن عشتارة كانت تقبع في ظل عناة في الأساطير الأوغاريتية وتلعب فيها دوراً باهتاً هزيلاً إلا أنها كانت تقوم بدور نشط في الطقوس الكهنوتية وكانت تذكر مراراً في قوائم الأضاحي والتعويذات، واستحوذت على أفكار كتاب أسفار العهد القديم، فقد كان سليمان يقدسها وبنى لها معبداً شرق القدس (انظر سفر الملوك الأول ١١ : ٥ و ٣٣ وسفر الملوك الثاني ٢٣ : ١٣).

وشعبيتها التي كانت تتمتع بها لدى عموم الشعب كانت مثار انتقاد لاذع لأنبياء التوراة وربما كانت هي المقصودة بملكة السماء في سفر ارمياء (٧: ١٨ و ٤٤ : ١٧و١٨) التي تجلب الخصب والرفاه.

ومما يشير إلى خصائصها كإلهة خصب عثور المنقبين في مينة البيضا على لوحة من العاج تظهر عليها الإلهة بين عنزتين (انظر الصورة رقم ٤) عارية الصدر مرتدية تنورة فضفاضة، يحلي جيدها عقد، ينتهي شعرها المقصوص على شكل برج بذيل حصان، وقد ثبت الشعر عند الجبهة بشريط تظهر من تحته خصلات تصل إلى الأذنين؛ ولا يشك أحد في أن هذه الصورة تمثل الإلهة عشتارة إلهة الخصب وسيدة

الحيوانات البرية، وهناك صورة أخرى مشابهة على مدلاة من الذهب (انظر الصورة رقم ٥)، والإلهة هنا عارية تماماً باستثناء الحلي وشعرها معقوص على شكل جديلتين غليظتين تنحدران من تاج الإلهة حول الوجه.

وتعبد الإلهة في العصر الهليني على أنها أفروديت، وكان مركز عبادتها الرئيس في (أفقا) قرب بحيرة (يمونة) في لبنان، وإلى هذه البحيرة هربت الإلهة بعد أن تحولت إلى سمكة من ملاحقة تيفون، وفي أفقا ارتبطت عبادتها بالنار إذ كانت تقود المشاعل وتشعل النيران على شكل كرات فوق اسطحة المعبد وفق رواية (زوسيموس) وتلقى كرة من النار ضخمة من أعلى جبال لبنان باتجاه نهر أدونيس إيذاناً ببدء الاحتفال المقدس.

وتظهر الإلهة على صفحة السماء وهي تغذ السير باتجاه عشيقها لترتمي بين ذراعيه، وهذا يذكرنا بقصيدة شحر وشالم التي تلعب النار فيها دوراً هاماً، ويذكرنا أيضاً بمضاجعة الإله (إيل) لامرأتين تظهران على شكل مشاعل، ويعتقد أن هاتين المرأتين ماهما في الحقيقة إلا (عشتارة) و (عناة).

ويحدثنا فيلون الجبيلي (انظر أجيال الآلهة) أن كرونوس يضاجع أخته عشتارة وأثنتين من أخواتها فتلد له سبع بنات (تيتانيدس أو أرتميدس) وصبيين هما (باثوس) و (إروس) ولا نجد شبيهاً لهذه الأسطورة في نصوص أوغاريت، ويعتقد أن فيلون اعتمد روايات فينيقية متأخرة عن عصر أوغاريت، إلا أن قصيدة شحر وشالم الأوغاريتية تنحو هذا المنحى عندما تتحدث عن إنجاب، إيل لعدد كبير من الآلهة، ويستطرد فيلون حديثه قائلاً أن (عشتارة) وضعت على رأسها تاجاً على شكل رأس ثور الذي يرمز إلى السلطة وحكم العالم، ويشير إليها اسم المكان باشان عشتر وت قرنيم الذي يعني عشتارة ذات القرنين (انظر سفر التكوين ١٤ : ١٥) كما عثر على نصب من الحجر الكلسي في بيت شان (انظر الصورة رقم ٦) تظهر عليه إلهة مرتدية ثوباً طويلاً رقيقاً يشف عن تقاطيع جسمها وتحمل بيسراها عصا طويلة، وبيمينها رمز الحياة المصري عنخ وتعتمر تاجاً مخروطياً متطاولاً تحيط به من الأعلى ريشتان يبرز تحتهما قرنان.

عفاريت:

إن معلوماتنا عن وجود عفاريت صالحة وعفاريت شريرة في الآداب السورية

والفلسطينية قليلة جداً لندرة المصادر المتوفرة، ولانشك في أن مثل هذه العفاريت كان لها وجود فعلي في تصورات الأقدمين وانعكس بعضها على صفحات أسفار العهد القديم، إلا أن بعض أنبياء اليهود حاول حذفها من الكتاب المقدس أو وصمها بالكفر والشعوذة (انظر سفر التثنية ١٨ : ١٠) وما يلي ذلك، العدد ٢٣ : ٢٣ سفر صموئيل الأول ١٥ : ٢٣) إلا أن الديانة اليهودية عرفت مثل هذه العفاريت في وقت متأخر نسبياً وألقت على كاهلها أسباب المرض والكوارث.

ومما يثبت أن اليهود كانوا يؤمنون بوجود الأرواح أن شاؤول استحضر روح صموئيل بواسطة عرافة في عين دور (انظر صموئيل الأول ٢٨ : ٧ ـ ٢٥)، والنصوص في سفر إشعياء ٨ : ١٩ وسفر التثنية ١٨ : ١١) تشير صراحة إلى هذا العرف الديني، وحسب تصور الفينيقيين كانت الأرواح تعيش بعد فناء الجسد ويطلقون عليها اسم رفائيم (انظر نصوص رفائيم)، فالملك (تبنيت) يدعي على ذلك الإنسان الذي يعيش بقبره ألّا تجد روحه الراحة عند أرواح الموتى، وعرف عن امرأة أنها شيدت ضريحاً لزوجها المتوفى في القرن الأول ميلادي لتسكن فيه أرواح الموتى الإلهية.

ويذكر العهد القديم عفريتاً باسم عزازيل، يعتقد أنه عفريت من عفاريت الصحراء ويلقى على كاهله كل الخطايا والمصائب في يوم الغفران (انظر سفر اللاويين ١٦ : ٨ ـ ١٠) وعفاريت أخرى باسم (شديم)(انظر المزامير١٠٦ : ٣٧) التي كان يضحى من أجلها بالأطفال، وعفاريت باسم (شعريم) التي تجسد نوعاً من أنواع الماعز (انظر سفر أخبار الأيام الثاني ١١ : ١٥) وسفر اللاويين ١٧ : ٧). وكانت هذه العفاريت تقطن الأماكن الخربة والمهجورة، ومن العفاريت المعروفة منذ القديم واستمرت في الأداب العبرانية والسريانية بعد ميلاد السيد المسيح العفريتة ليليث.

وقد عثر في موقع أرسلان طاش في شمال سورية على رقية تحمل تعويذة باللغة الفينيقية من القرن السابع ق.م، كانت تستخدم لحماية الأمهات عند الوضع (الولادة).

تتضرع التعويذة إلى عفريتة غير معروفة تدعى (عفت) أي الطائرة وقد صورت على الوجه الآخر من اللوحة، وهي على شكل أبي الهول المجنح، لها ذيل عقرب وتعتمر قبعة ذات نهاية حادة، كما تسمي التعويذة إلهاً يدعى (س. س. م) ابن (ف. د. ر. ش. ش) يعتقد أنه من أصل حوري. وقد ذكر اسم هذا الإله في تعويذة فينيقية أخرى كما كانت تركب من اسمه أسماء أشخاص في كل من أوغاريت وقبرص

ومصر .

ويصور الإله على شكل رجل يخطو، مرتدياً قميصاً آشورياً داخلياً فوقه معطف طويل، يلوح بيده فأساً مزدوجاً. وتذكر الرقية اسم عفريتة أخرى تدعى خانقة الحمل وهي تشبه في صفاتها عفريتة عربية تدعى (قرينة) وتوصف (بخانوق الحمل)، وهي مصورة على الرقية على شكل ذئبة تبتلع طفلاً وهذا يذكرنا بعفاريت اللامشتو الرافدية التي توصف أيضاً بالذئاب.

وعلى كل حال يقسم بهذه العفاريت أمام الإلهة (عشتارة؟) في نص الرقية من أرسلان طاش وبكل أبناء الآلهة وبحق مسار السماء والأرض وبكل السادة على الأرض وبحق نساء الإله (حورون) والإله (بعل) وبحق بيت الأم المنجبة ليفتح رحمها وتسهل ولادتها ولتغرب العفريتة الشريرة ليليث عن الوجه.

عناة :

١ ـ عناة في مصر: يبدو أن عبادة الإلهة السورية (عناة) وصلت مصر بواسطة الهكسوس لأن أحد أمرائهم كان يحمل الاسم (عناة هر) ويرد اسم (عنتي) في قائمة أسماء الهكسوس المدونة على ورق البردي وكلا الاسمين مشتقان من الاسم (عناة هرتي) الذي يعني (عناة سعيدة)، وتتصدر عناة نصباً محفوظاً في المتحف البريطاني فوق عرش، مرتدية ثوباً طويلاً يصل حتى قدميها ومعتمرة خوذة تغطي رأسها بالكامل وتلوح بفأس ورمح حربيين. ويقول النص المشفع بالنصب ما يلي: عناة سيدة السماء ومحبوبة الآلهة.

وتحتل عناة مكان الصدارة في مجمع الآلهة المصري خلال حكم السلالتين التاسعة عشرة والعشرين، إذ أن الفرعون المصري ستي الأول يسمي عربته الحربية (عناة هرتي)، ويطلق رمسيس الثاني على ابنته اسم (بنت عناة)، ويدعي بأنه بطل عناة السعيدة ويطلق على سيفه اسم (عناة المنتصرة)، وفوق أحد صور كلابه دوّن اسم (عناة تحمي).

وقد عثر السيد (مونته) على مشاهد مصورة متناظرة للإلهة عناة مع الفرعون رمسيس الثاني، أما رمسيس الثالث فيشير في مدينة (هبو) إلى عناة وعشتارة على أنهما مجنُّهُ الحامي.

وقد جاء في احدى التعويذات السحرية المدونة على ورق البردي مايلي:

«أوصد فمك وأغلق حلقك كما أغلقت فتحة فرج عناة وعشتارة الإلهتين الكبيرتين الحاملتين ولكنهما لم تلدا لأن حوروس أغلق رحميهما و (ست) فتحهما».

تشير هذه التعويذة إلى أسطورة غيرمعروفة،ولكنها تساعدنا في فهم النشاط الجنسي الذي تتميز به عناة كعذراء في أوغاريت (انظر الفقرة الرابعة).

ويشير نص آخر موجه ضد الذئاب في التعويذة السحرية إلى الطبيعة القتالية للإلهة عناة إذ يقول النص: «قف، أيها الذئب الشرير! فقد قطع أطرافك الأمامية (هرشف) بعد أن صرعتك عناة».

ويتحدث نص سحري آخرمن عهد السلالة الثامنةعشرة عن الإله المصري (ست) الذي يعادل (بعل) وهويثقل على عناة بملاحقته المتواصلة، فهوينز عليها كما ينز الحمل على أمون المصري ويغتصبها مثلما . . يغتصب.

علينا أن لا نفهم هنا كلمة الاغتصاب بالمعنى الحرفي للكلمة فالكلمة السامية (عَمَقَ) تعني فعلاً الاغتصاب ولكن المقصود منها هنا هو إظهار قوة الإله الجنسية وفحولته الذكرية حيث لا نحس في النص بأية مقاومة تبذلها الإلهة للتخلص من مطاردة الإله العنيفة لها، ويستطرد النص في وصف اللقاء الجنسي العارم الذي لا يخلو من كنايات واستعارات، ولكن بأسلوب قاس وفظ حيث يقول: «ضاجعها بالنار وفض بكارتها بالمبرد»، ويذكرنا هذا المشهد الجنسي الفاضح بمشاهد جنسية أكثر إثارة بين بعل وعناة في نصوص أوغاريت الأسطورية (انظر الفقرة الرابعة) وقد عثر على لوحة من صدف من عصر الملك أحاب ملك السامرة تحمل اسم (ع . ن . م . س)، ويعتقد أن الاسم يتضمن اسم عناة بعد أن فقد تاء التأنيث في اللغة المصرية في عصور أحدث ويعني الذي ولد من عناة. وأصبح اسم عناة في العصر الهليني لقباً من ألقاب الإلهة المصرية (هاتور) كما تذكره إحدى الكتابات المكتشفة على جدار معبد في (دندره)، ثم واجهت عناة في مصر نفس المصير الذي لاقته في بقية أقطار الشرق القديم، صحيح أنها كانت تتمتع بشعبية تفوق حد الوصف في الألف الثاني ق . م وخاصة عندما قارب على الانتهاء إلا أنها اختفت بعد ذلك كلياً عن مسرح الأحداث وامزجت بآلهات خصب أخرى يشهد على ذلك عثور المنقبين على نصب يحمل اسم إلهة تدعى (قودشو ـ عشتارة ـ عناة).

٢ ـ عناة في أسفار العهد القديم:

تشير بعض الأسماء في أسفار العهد القديم الى وجود الإلهة عناة وتأثر اليهود بها

من ذلـك اسم قصـر كنعـاني قديم بيت عناة (أنظر يشوع ١٩ : ٣٨، القضاة ١ : ٣٣) ويرد نفس الاسم في القوائم المصرية. ويجمع اسم عناة على شكل عنوت مثل عشتارة عشـتروت (انظـر يشـوع ١٥ : ٥٩) وجمـع الجمـوع منه عناثوث وهو اسم موقع شمال شرق القـدس ويـدعى اليوم عناتا كما يستعمل كاسم علم للأشخاص وأقدم الأسماء المعـروفـة هو اسم شمجـر بن عنـاة (انظـر سفـر القضاة ٣ : ٣١، ٥ : ٦) ويعتقد أن الاسم الأول (شمجي أر) هو من أصل حوري وعيني الإله شمجي يعطي وربما كان الأصل في الشطر الثاني من الاسم هو عبد عناة ويظن أيضاً أن شمجر هذا كان قد ولد سفـاحـاً خلال طقـوس عناة المقدسة مثلما هو الحال في اسم هدد عزر بن رحوب (انظر سفر صموئيل الثاني ٨ : ٣) الذي ربما كان في الأصل هدد عزر من بيت رحوب، وبما أن رمسيس الثاني كان عنده ضابطاً في البحرية اسمه بن عناة فمن المحتمل أن شمجر كان يلقب بابن عنـاة لأن الإلهـة ساعـدت في حمله وولادتـه في حين أن اسمـه الأول يقدس إلهاً حورياً.

ومن الغـريب حقـاً أن يكـافـح أنبيـاء اليهـود عبادة أثيرة وعشتارة كفاحاً مريراً ويضـربـون صفحـاً عن عبادة عناة، ويعلل الدارسون ذلك بأن عناة اندمجت اندماجاً كلياً في شخصيتي الإلهتين.

ويظهـر اسم عنـاة مركباً عنـد اليهود في (إلفانتين) بمصر على شكل عناة بيت إيـل وعنـاة يهوه، وقـد فسـر البـاحثـون الاسم على أن اليهـود تأثروا بالديانة الآرامية فاختـاروا لإلههم يهوه زوجـة هي عنـاة، ويعارض آخرون هذا التفسير بقولهم أن عناة هنـا ليست اسم علم بل هي صفـة للإلـه يهوه من الفعل (عنى عناية) أي عناية الإله وقراره الإلهي الحازم، ويرى آخرون في الاسم اسم مكان العبادة للإله يهوه مثل كلمة مسجد.

نادراً ما يرد اسم عناة في المصادر الآرامية، وقد تغير لفظه كثيراً بسبب الحروف الصوتية التي تغير شكل النطق وأصبح من العسير معرفة النطق الصحيح للاسم فمن عناة إلى عتا إلى عتّ إلى عت.

وقـد عثـر في مدينـة تدمـر والمناطق المجاورة على مجموعات من الأسماء تتضمن اسم الإلهة بألفاظ وأشكال مختلفة وعلى سبيل المثال: (ع. ت. أ. م) أي عناة أمي و (ع. ت. ن. ر) و(ع. ن. ن. ر. ي) و(ع. ت. ن. ر. ن) الـتي تعـني عنـاة نوري أو نورنا، و(ع. ت. ك. ب. ر) أي عناة الكبيرة و(ع. ت. ن. تن) وتعني (عناة أعطت) و

(بـارعـت) أي (ابـن عنـاة) و (ز. ب. د. ع. ث) أي (عطـيـة عنـاة) و (ي. ك. و. ن. ع. ث) وتعني عناة قوية كالوجود.

مما تقدم نلاحظ أن اسم عناة في صيغة (عت) أو (عث) يلحق بالاسماء المركبة في أولها أو آخرها ثم تتحول كلها في عصر لاحق إلى اسم مركب تشترك فيه عنا وعشتارة ويلفظ (أترجاتيس).

وقد عثر على وثيقة نذرية في قبرص بمناسبة تدشين معبد مكتوبة باللغتين الفينيقية واليونانية ويقول النص الفينيقي من أجل عناة ملجأ الأحياء، في حين يسمي النص اليوناني الإلهة أثينا سويترانيكه، ويعتقد الباحثون أن تماثل الإلهتين الفينيقية واليونانية في صفاتها القتالية المشتركة ليس سبباً كافياً في تبادل مراكزهما بل في تشابه لفظ الاسمين أيضاً.

٣ ـ معنى الاسم:

يعني اسم الإلهة (عناة) العناية والتبصر وهو قريب من هذا المعنى في اللغة العبرية (عنوة) (انظر المزامير ١٨ : ٢٠، سفر صموئيل الثاني ٢٢ : ٣٦، المزامير ٤٥ : ٥).

كما يعني الاسم الغاية والهدف انظر (أمثال ١٦ : ٤) والصيغة الآرامية (عنيه) تعني شأن، مهمة، عمل، أما في اللغة العربية فالاسم واضح المعنى (العناية) وإذا عرفنا عناة كشخصية حربية قتالية في الأساطير الأوغاريتية تشد من أزر بعل وتناصره على أعدائه وتفخر بأعمالها البطولية الخارقة وانتصاراتها المجيدة في سبيل بعل، فهذا كله لا يخرج عن معنى العناية بالأخ والحبيب بعل.

٤ ـ عناة في نصوص أوغاريت:

تظهر عناة في النصوص الأوغاريتية بصفتها المزدوجة المعروفة بها كإلهة حب وإلهة حرب بكل وضوح، فهي مثال الأنوثة الصارخة والجمال الصاخب حتى أن الملك (كرت) يمتدح أنوثتها ويشبه جمال معشوقته بها فيقول أن لحبيبته سحر وجمال عناة وعشتارة وتلقب عناة بالعذراء (ب. ت. ل. ت) وبالرحم (ر ح ـ م) وكلمة رحم تأتي في هذا السياق رديفاً لكلمة (عذراء)، وقد ورد هذا الوصف في نشيد ديبورا (انظر سفر القضاة ٥ : ٣٠)، ومن الرحم تشتق معاني وصفات كثيرة مثل الرحمة والشفقة والحنان، وهي الصفات الحميدة التي تتحلى بها عناة في شخصيتها الخيرة، فهي تعبر عن شوقها وحنينها إلى أخيها المقتول (بعل) بكلمات تقطر عذوبة ورقة:

مثل قلب البقرة الأم تحنو على وليدها العجل
ومثل قلب النعجة التي تحنو على وليدها الحمل
كذلك يحس قلب عناة نحو أخيها بعل

وتقوم عناة بمراسم العزاء المألوفة على أكمل وجه، وما يرافق ذلك من تخديش الجسم والاجهاش بالبكاء دون توقف بقلب يقطر دماً، ثم تحمل جثمان أخيها وتطير به لتدفنه في جبل (صفن)، وبعد ذلك تتوضح شخصيتها القتالية المناقضة للأولى عندما تثأر لأخيها بكل قسوة وشدة من الإله (موت).

وتضعف عناة في ملحمة أقهات وتنفجر بالدموع بعد أن سببت مقتل بطل الملحمة الشاب. حيث تثوب إلى رشدها وتشعر بوخزات الضمير الحادة في وجدانها، وهي لا تتورع عن تهديد أبيها العجوز (إيل) بقطع رأسه مرتين إذا هو لم يستجب لرغباتها ويحقق أمانيها حيث تقول بالحرف الواحد بأنها سوف تذبحه ذبح النعاج، وقد فسر بعض الباحثين أن ذبح إيل كان المقصود منه إعادة الشباب إلى الشيخ الجليل، إلا أن هذا الافتراض لا يقوم على أساس من الصحة.

وإذا كان لعناة أسبابها التي دفعتها إلى اتخاذ هذه المواقف الدموية في الحالات السابقة فإننا لا نرى سبباً واحداً مقنعاً لعبثها القاتل الذي يذهب ضحيته عدد كبير من البشر في أحد النصوص الأوغاريتية المتعلقة بأساطير بعل فهي تجمع أناساً من الشرق ورجالاً من الغرب وبشراً من كافة أنحاء العالم، مقاتلين وجنوداً وأبطالاً ثم تذبحهم ذبح النعاج على شكل أضاح وتغوص في دمائهم وتقطع أوصالهم وتجعل من أياديهم ورؤوسهم عقداً تتجمل به، وفجأة تتوقف عن عملها المريع هذا وتطهر نفسها وتلقي ببقية الأشلاء في البحر، وقد احتار الدارسون في تفسير هذه الحادثة الشنيعة فمنهم من فسرها على أن القتلى هم رسل وأتباع إله الموت والجفاف وبعضهم الآخر وعلى رأسهم الاستاذ (دوسو) رأى في حمام الدم هذه طقساً من طقوس الولادة الجديدة وتعبر عن ظاهرة التضحية بالبشر التي كانت تقوم بها النساء بشكل أساسي في عصور أقدم، ولا يبتعد الاستاذ (غراي) في تفسيره للحادثة عما سبق إذ أن المذبحة التي قامت بها عناة حسب رأيه لا يمكن أن تكون بلا سبب ولمجرد ارضاء نزعة عبثية بواسطة فعل طائش وإنما هو طقس من طقوس العبادة التي كان يقام سنوياً في نهاية فصل الخصب لتجديد دماء الحياة، ويجسد الدم لدى الساميين عصب الحياة ووجودها الأول منذ القديم وقد تسرب هذا الاعتقاد إلى أسفار العهد القديم إذ يقوم يهوه عوضاً عن عناة

بعصر الشعوب مثل العنب في المعصرة بقدميه (انظر سفر اشعياء ٦٣) وتتلوث ثيابه بدمهم.

وترمز صراعات الآلهة فيما بينها في الديانة الكنعانية إلى انتصار الخير في الطبيعة وحمايتها من الجفاف والموت في حين يتصور العهد القديم قوى الشر متجسدة في الشعوب والأقوام الأخرى أعداء يهوه وشعبه، وهناك أسطورة مصرية مشابهة لأسطورة عناة الغائصة في حمام الدم بعنوان (انقاذ البشرية من الهلاك المحتم)، وأسطورة هندية أكثر تفصيلاً وتشابها رغم البعد الجغرافي والزمني الذي يفصل بين الحضارتين، فالإلهة الهندية (كالي) تشرب دماء ضحاياها مثل الإلهة المصرية (سخمت) وتحلي جيدها بعقد من الرؤوس البشرية وحزامها بشرائط من الأيدي المقطوعة مثل الإلهة (عناة) (انظر الصورة رقم ١) ورغم أن الإلهة الأم تلعب دوراً بارزاً كإلهة كونية مرعبة في الفن والطقوس في حضارة الهندوس الأحدث عهداً إلا أنها تعود في جذورها إلى العصور الحجرية الحديثة حيث كان هناك أكثر من نقطة لقاء بين الهند وجيرانها من جهة الغرب وتأثر الإلهتين ببعضهما (كالي) و (عناة).

٥ ـ عناة رفيقة درب بعل:

توصف عناة عادة في النصوص بالعذراء وتبقى علاقاتها الجنسية والزوجية غير واضحة تماماً كما أن نص قصيدة شحر وشالم لا يشير صراحة إليها كواحدة من اللواتي ضاجعهن الإله العجوز (إيل) وما عدا ذلك فالمعروف عن عناة أنها رفيقة بعل الدائمة وأحياناً أخته وقد جاء في أحد النصوص أنها أحب أخواته إليه، وتناديه هي نفسها بأخي ولكن هذه التسميات قد لا تعني الحقيقة بل الدلع والتحبب.

وتبرز عناة في علاقتها مع بعل بالدور القتالي الذي تقوم به من أجله أكثر من علاقتها الجنسية معه فمعظم النصوص التي تتحدث عن علاقتهما الجسدية مخربة ومهشمة ويعتورها نقص شديد، فعلى إحدى الكسر الكتابية يقوم بعل بمضاجعة بقرة فتية؛ ويستبعد أن تكون عناة قد اتخذت شكل البقرة في هذا المشهد، ويصف نص آخر مهشم مشهداً جنسياً حافلاً بين بعل وبقرة في الوقت الذي تقف عناة بالقرب منهما وترقب العملية الجنسية عن كثب فتثار لهذا المشهد وتتمنى أن تتحول إلى بقرة لتتلقى خصب الإله الثور.

ويصوّر نص مهشم آخر مشهداً جنسياً عارماً بين بعل وعناة حيث يقوم بعل بمضاجعة الإلهة ألف مرة ونتيجة لهذه المضاجعة الملتهبة تحمل عناة منه وتضع؛

وتشـرف على ولادتهـا آلهـات حمايـة الـولادة (انظـر كوثـارة) وتـذكـرنا هذه الأسطورة بالأسطـورة المصـريـة عن اغتصـاب (ست) للإلهـة (عناة) ثم زواجه منها، وأسطورة (هوروس) و (ست) عندما يقوم الإله المصري (رع) بتزويج بنتيه (عناة) و (عشتارة) إلى (سث)، وتسـاعـد الأسطـورة المصـريـة في فهم النصوص الأوغاريتية ومصادرها بشكل أفضل.

وتلقب عناة أحياناً بـ (ي. ب. م. ت) وقد عجز الباحثون عن فهم المعنى لهذه الكلمـة بشكـل دقيق وبـالاعتـماد على كلمة مشابهة في اللغة العبرية يعتقد أنها تعني (الأرملة) التي يفـرض عليهـا الـزواج من أخ زوجهـا المتـوفى، وبما أنها زوجة بعل إله الخصب الذي يموت ويبعث فإنها تبقى كنة الآلهة الأرملة طيلة مدة اختفاء زوجها.

ويستخلص بعض البـاحثـين من دراسة عدد من النصوص الأوغاريتية المتفرقة أن عناة كانت تقوم أحياناً بدور السفير والرسول ويعود السبب في هذا الاستنتاج إلى أن عنـاة كانت ذات طبيعـة انفعـاليـة تتأثـر بالأحـداث وتتجـاوب معها بسرعة وتكره الانتظار والتريث، فهي عندما تستقبل رسل بعل وتتلقى منهم المهمة التي كلفهم بها تهزأ بهم وتعيـدهم إلى مرسلهم وقبـل أن يصلوا إليـه تكـون قد وصلت إلى الهدف، وعنـدمـا حملت عنـاة البشارة إلى بعل بموافقة إيل على بناء قصر له، فعلت ذلك من تلقـاء ذاتهـا ودون أن تكلف من أحد بحمل هذه البشارة وذلك لتكون الأولى في حمل الخبر السعيد دون أن تعتمد على رسل بطيئي الحركة. وكذلك عالجت الأمور بنفسها عندما كلفها الأله (إيل) بالذهاب إلى إلهة الشمس (شفش) لتقوم بالبحث عن الإله المفقـود (بعـل). فسـرعتهـا المعهـودة كانت تدفعها إلى تأدية المهمات بنفسها دون أن يكلفها بها أحد، وسر سرعتها يكمن في أن لديها القدرة على الطيران والتحليق نحو الأجـواء البعيـدة فهي تضرب الأرض بقدميها وتنطلق نحو الفضاء كما جاء وصفها في أحد النصوص.

ففي ملحمـة أقهـات تحمـل عناة (يطفن) في أحد جيوبها ثم تنطلق به محلقة في الهواء بين أسراب العقبان تحوم به فوق رأس البطل أقهات قبل أن تقذف به إليه.

٦ ـ عناة في الفن:

تظهر الإلهة عناة على لوح من العاج كان يخص سريراً ملكياً في القصر الملكي في أوغـاريت، بصـورة أمـامية بينما تتخذ قدماها وضعاً جانبياً كما تبدو مزودة بزوج من الأجنحة، أحدها موجه نحو الأعلى والآخر باتجاه الأرض، يحيط الشعر بوجهها على

شكل ضفيرتين مشابهتين لضفائر الإلهة المصرية (هاتور) تنسدلان فوق الكتفين، وينبت من جبهتها قرنان يسبح بينهما قرص الشمس، ترتسم على شفتيها ابتسامة خفيفة وينم منخراها الواسعان عن طبيعة نارية صاخبة، يقف أمامها شابان يرتديان تنورة قصيرة، يرضعان من ثدييها المختفيين تحت رداء طويل.

إن هذا المشهد فريد من نوعه بين فنون الشرق القديم، والشابان غير معروفين فهل هما الإلهان المعروفان في القصيدة الشعرية شحر وشالم؟ اللذان ترضعهما الإلهة أثيرة؟ أم أن أحدهما هو يصيب ابن الملك (كرت) الذي ترضعه أثيرة وعناة من ثدييهما كما جاء في الملحمة؟

ومن المعروف في هذا العصر أن الملوك ترضع من أثداء الآلهة الأمهات في مصر، وهذا الموضوع كان محبباً كثيراً لدى فناني العصر فهل يا ترى يمثل الشابان ملك أوغاريت بشكل متناظر على ثدي الإلهة؟ وقد أوضح الاستاذ كلود شيفر المنقب الأثري الكبير في مدينة أوغاريت أن ملوك أوغاريت يظهرون عادة في المشاهد وهم متدثرون بمعاطف طويلة في حين يقتصر لباس الآلهة على تنورة قصيرة فقط ويبقى جذع الجسم عارياً. حسب هذا الرأي يكون الشابان في المشهد هما من الآلهة التي تقوم على رعايتهما الإلهة عناة. (انظر الصورة رقم ٢).

وقد عثر على نصب مصري هام ومثير صورت فيه الإلهة عناة في شخصيتيها المتناقضتين كإلهة قتال ونزال وإلهة حب وجنس مثلما تصفها عادة النصوص الأوغاريتية.

ف

فيداري :

إحـدى بنـات أو رفيقـات الإله بعل إلى جانب (طلي) و (أرصي) وعلاقتها مع الإلـه بعـل غير واضحـة تمامـاً في النصـوص، وهي تمثـل مع أخـواتها الظواهر الجوية وتلقب ببنت النور، وقد يعني لقبها في اللغة العربية (أريون) الرطوبة والغمام. وعلى كل حال يوجد تفسيرات شتى لمعنى الاسم واشتقاقاته.

ق

قدش وعمر:

رغم أن اسم هذا الإلـه مركب إلا أنـه في الواقع اسم لشخص واحد كان يقوم على خدمـة الإلهـة (أثيرة) ويلفظ الشطر الأول من الاسم وفق نوع حركات الحروف الساكنة وبتكيف المعنى وفق هذا اللفظ فقد يعني (قدوس) أو قداسة أما الشطر الثاني من الاسم (ع.م.ر.ر) فربما له علاقة مع الإله الرافدي (عمورو) زوج الإلهة عشتارة.

ويبـدو أنـه لم يحتـل في أوغـاريت المـركـز السـامي الـذي كان يحتله في حضارة الـرافـدين فتحول إلى مجرد خادم للإلهة (أثيرة) يسرج لها الحمار ويساعدها في امتطائه ثم يمهد الطريق أمامها، وتبقى أسماؤه الأخرى: صياد سيدة البحيرة (أثيرة) وصياد أثيرة غير واضحة تماماً لدينا.

ك

كاموش :

اسم الإلـه الـرئيس في دولـة موآب ، ويرد اسمه كثيراً في مسلة ميشع المعروفة ، ويقترن اسمه أحياناً باسم الإله عثتار ويسمى عشتار ـ كاموش ، ويكتب اسمه بالخط المسماري على الشكل التالي : (كا ـ مو ـ سو ـ نا ـ أد ـ بي) و (كا ـ مو ـ شو ـ ي ـ لو) و (دينجـر ـ كا ـ مو ـ شو ـ شار ـ أو صور) ؛ ويـرد اسمـه في قوائم أسماء الآلهة مساوياً للإلـه الـرافـدي (نـرجـال) ، وقد أدخل الملك سليمان عبادته إلى القدس إلى جانب الإلهـة عشتـارة والإلـه العموني ميلكوم (انظر سفر الملوك الأول ١١ : ٧ و ٣٣) ويطهر يشوع القدس من مظاهر عبادته (انظر سفر الملوك الثاني ٢٣ : ١٣) .

وتـرد تسميتـه خطأ في بعض المصـادر بإلـه صور وإله العموريين ، ويساوى في مراجع أخرى بالإله (أريس) لذلك كانت عاصمة دولة موآب تدعى (أريوبوليس) كما يظهر على نقوش النقود كإله مقاتل بين شعلتين .

لا نعرف الشيء الكثير عن طبيعته وصفاته غير أن مسلة ميشع تذكر أن عدداً من الأسرى كان يذبح أمامه مما يشير إلى طبيعة مشابهة للإله أريس المعروف بصفاته الحربية المقاتلة .

خرافة كرت :

تروي ثلاثـة ألـواح من أوغـاريت نص هذه الخرافة ، اثنان منهما يحملان عنوان لكرت (ل . ك . ر . ت) ولكن النص ليس كاملاً يفتقد إلى ألواح أخرى تتضمن بداية ونهـايـة الحدث . ويروي القسم الباقي من النص ، أن الملك كرت قد غمرته الأحزان وتملكه اليأس من شدة المصائب التي ألمت به وبعائلته فلم يبق له زوج أو ولد يقف إلى جانبه ويشد من أزره ويخلفه بعد مماته . فيتراءى له الإله (إيل) في الحلم مواسياً يجفف الدموع المنهمرة من عينيه ويطيب خاطره ثم يطلب منه الاغتسال وتقديم الأضاحي ،

وبتجهيز جيش عرمرم خلال ستة شهور يغير بعدها على مملكة (أدوم)، فإذا حاول ملكها (فيبل) أن يصده عنها بدفع الفدية من ذهب وخيول وعربات قتال وعبيد فعليه أن يردها مهما كانت ثمينة، ويطالب عوضاً عنها بابنته الجميلة (حورية) لتكون حليلة له، ويفعل كرت ما أمر به إيل، وعندما يصل في اليوم الثالث من حملته إلى معبد أثيرة في صور ينذر للإلهة أن يقدم لها بوزن (حورية) ذهباً وفضة إذا انتهت المعركة لصالحه وخرج منها منتصراً، وفي اليوم السابع يصل إلى (أدوم) وينفذ أوامر (إيل) كما جاءته في الحلم فيرفض كل الهدايا التي قدمت له، ويطلب عوضاً عنها ابنة الملك (حورية) التي يضارع جمالها جمال (عناة) و(عشتارة) وتشبه عيناها اللازورد النفيس. ويتضح من اللوح الثاني الذي هو في حالة سيئة جداً للأسف أن الملك كرت يخرج من المعركة منتصراً وبصحبته العذراء الموعودة، فتقوم الآلهة بزيارته لتباركه وتبارك زواجه ليكون خصباً.

وتكون حصيلته سبعة أو ثمانية أبناء ترضع عناة أحدهم الذي يدعى (يصيب) بالاضافة إلى عدد من البنات، ويذكر اللوح أسماء ستة منهن، وتشترط الآلهة أن تحظى أصغرهن بالمميزات الخاصة بالولد البكر، ثم تقفل الآلهة عائدة إلى مقرها، وبعد مرور سبع سنوات تلد الزوجة الأبناء والبنات الموعودة بهم، وهنا تذكّر أثيرة كرت بالنذر الذي قطعه على نفسه، وينقطع النص في هذا الموضع لوجود تخريب في اللوح، وعندما يصبح النص مقروءاً نجد (كرت) وزوجته منهمكين بإعداد حفل فخم يدعوان إليه كبار (خوبور)، وكانت تدعى عاصمة الملك (بيت خوبور)، وتروي الفقرات التالية من النص أخبار الحفل، ثم تنطلق (حورية) زوجة الملك تحدث

مضيفيها عن الغاية من إقامة هذا الاحتفال، فتقول انه حفل أقيم لكرت وأن عليهم أن ينوحوا عليه كما ينوحون على رجل متوفى. وفي النص المتبقي في آخر اللوح يبكي ابن كرت بكاء مراً على والده المريض بشكل جعل جبل صفن نفسه (جبل الإله بعل) ينفجر باكياً أسى ولوعة، وكان مما يحز في نفس الابن اعتقاده أن والده يختلف عن بقية البشر، ولن تطاله يد الموت كما تطال أي انسان عادي، فينهره أبوه ويزجره ليكفّ عما هو عليه من البكاء والنواح، ويطلب منه أن يحضر أخته (ثتمانه) لتذرف الدموع عليه بدلاً منه، ويعني اسم (ثتمانه) الثامنة، ويعتقد أنها البنت الثامنة لأبيها وأصغر أخواتها والتي حظيت من قبل الآلهة بمميزات البكورية، وعندما ترى الأخت

الصغرى أخاها (إلحاو) قادماً تقلق على أبيها وتسأله بلهفة القلق المضطرب فيما إذا كان والدها مريضاً حقاً، فينفي (إلحاو) مرض الأب ويزعم أن الوالد يقيم حفلاً ويرغب في مشاركتها لهم فيه، وعندما تعلم (ثتمانه) الحقيقة لا تغفر لأخيها هذه الكذبة وتسأله عن المدة التي أمضاها الأب على فراش المرض، وعندما يخبرها بأن الوالد يئن تحت وطأة المرض منذ أكثر من ثلاثة أو أربعة أشهر تنهمر الدموع من عينيها مدراراً وتتوجه إلى والدها.

يلي ذلك نص مخرب جداً ثم يتبع ذلك مشهد تقدمة سقاية بالزيت للإله بعل فقد نفذت كل مخزونات القمح والخبز والنبيذ، ويعتقد أن مرض الملك قد جلب القحط والمجاعة إلى البلاد، ثم يكلف الإله إيل الإله (إلش) مع نسائه بالصعود إلى سطح أحد الأبنية، ولا يفهم القصد من اعتلاء هذا الإله أحد الأسطحة حيث أن الكلمة التي تشير الى وظيفته (ن ـ ج ـ ر) أي نجار تبقى غامضة بالنسبة للمهمة التي كلف بها.

وبعد ذلك يسأل إيل الآلهة سبع مرات فيما إذا كان بمقدورهم أن ينتزعوا المرض من جسم الملك كرت وبما أنه لا يتلقى منهم جواباً شافياً يقوم هو نفسه بالمهمة حيث نجد بعد عدة أسطر مهشمة أن الملك يتماثل للشفاء بواسطة بعض التعويذات فيتعرق جسمه عرقاً شديداً وتعود إليه شهيته، ويبتعد عنه شبح الموت إذ ذاك يأمر كرت زوجته بإعداد طعام شهي من لحم الحمل، ثم يعتلي عرشه بعد يومين سليماً معافى غير أن ابنه (يصيب) ينصحه بأن يتخلى عن العرش لصالحه فيغضب كرت ويلعن ابنه ويدعو الإله حورون والإلهة عشتارة بعل للانتقام منه.

نفهم من هذه الرواية أنها غير كاملة ولها بقية على لوح لم يعثر عليه بعد، وقصة الملك (كرت) تتشابه في نقاط كثيرة مع قصة النبي أيوب في الكتاب المقدس، فهو يفقد زوجته وأولاده وربما قصره أيضاً ثم يقع فريسة مرض عضال يشفى منه بمساعدة قوى إلهية كما كان الحال مع الملك (كرت) حيث شفاه كبير الآلهة (إيل) وساعده في استرداد عرشه.

وفي حين نرى في سفر أيوب المظالم التي لحقت برجل صالح نجد أن الوضع مختلف نوعاً ما في حكاية (كرت) إذ أن كرت الملك يحمل بعضاً من دم الآلهة (نصف إله) وعليه أن يكون خالداً كالآلهة وتكمن المشكلة في أنه وقع فعلاً فريسة للمرض كأي واحد من البشر وتحل المشكلة باستعادته صحته وعرشه وتوليه إدارة شؤون حكمه

من جديـد، وتبقى بعض الأمـور غامضـة بالنسبـة لنا فماذا حل بولده (يصيب)؟ بعد شفاء الملك! ومن أدار دفة الحكم خلال مرضه؟ هل هو (يصيب) مثل (يوثام) خلال مرض أبيـه عزريـه (انظـر سفـر الملوك الثاني ١٥ : ٥ ـ ٧)؟ لا تخل قصة كرت من نواة حادثة تاريخية وقعت فعلاً فاقتراح (يصيب) بتنحية والده عن العرش يذكرنا بمحاولة (أبشـالـوم) لانتـزاع السلطـةمن يد والـده العجوز داوود) كما أن محاولة انتزاع السلطة الـدنيـويـة في قصـور الحكـام من قبل أولادهم أو من جيل الشباب الصاعد ليس أمراً غريبـاً غير مألـوف، وقـد انعكس ذلـك على صفحـات السماء حيث تتصارع الآلهة الشـابـة على الحكم ضد الآلهـة الشيـوخ، وتجسد الأساطير الأوغاريتية هذا الصراع أفضل بكثير من الأساطير الأكادية والحورية والحثية.

كوثار:

لم يعرف عن هذا الإله شيئاً قبل اكتشاف الأساطير الأوغاريتية، ويلفظ اسمه بأشكـال عديـدة (كـوثـرْ كوثـار وكوشَرْ وكوشور)، ويذكر كل من موشوس الصيداوي وسانخينتون في كتاباتهم إلهاً يدعى (خوسور) معادلاً للإله اليوناني (هفاسيتوس) الذي اكتشف الحـديـد والفن وعـرف كيف يستخدمهما، وكان يعالجهما بترديد الحكم وجمل السحـر والتعـويـذات ثم اخـترع أدوات الصيـد البحري، وهو أول من جاب البحر بواسطة القارب، وأخوته هم الذين اكتشفوا صناعة الطوب وطريقة البناء به.

ويرد اسم الإله في نصوص اللعنة المصرية على شكل (ك. و. ش. ر). وعرف في أوغاريت كإله للحرف والفنون، فهو الذي شيد قصر بعل البهي (انظر بعل الفقرة السابعة) وعمل أثاثه المنزلي وغطى جدرانه بصفائح الذهب والفضة، وهو الذي كان يزود بعـل بالأسلحـة السحـرية الماضية في صراعه ضد (يم)، وهو الذي صمم شكل القوس لأقهات وذهب ضحيته البطل الشاب بسبب طمع (عناة) في امتلاكه.

ويعتقـد أن معنى الاسم (كـوثار) بالمقارنة مع الكلمة العبرية (كشر) والأكادية (كـاشـارو) هو الحـاذق و(الصـانع الماهر)، ويحمل الإله أحياناً اسماً مركباً في الأساطير على شكـل (ك. ث. ر. و. ح. س. س) والاسم الثـاني قريب من الكلمـة الأكـاديـة (حـاسـاسـو) التي تعني الذكي، ويذكر فيلون اسم إله يدعى (أوسوس) يقول عنه أنه أول من استخـدم جلود الحيـوانـات كلبـاس للجسم وأول من استخـدم جذع شجرة كقارب، ويعتقد أن هذا الإله هو نفسه (حاسيس/حاساسو).

مقر الإله كوثار:

يرد ذكر مكانين كمقر سكن للإله كوثار أولهما (كفتور) ربما في جزيرة كريت والثاني (حقفت)، وهو الاسم القديم لمدينة ممفيس المصرية الذي يعني اسمها معبد الإله (فتاح) واشتق اسم مصر من اسم هذا المعبد، وبما أن التأثير الحضاري كان متبادلاً بين مصر وكنعان فمن الطبيعي أن يجد كوثار مثيلاً له في الحضارة المصرية كإله للحرف والفنون، وإذا فسر موشوس الصيداوي اسم (خوسور) بالفاتح فإنما أراد بذلك أن يشرح معنى الاسم المصري بتاح الذي تحول بتأثير اللغة الكنعانية السامية إلى (فتح).

كما تحول اسم كوثار في قبرص بتأثير اللغة اليونانية إلى (كينيراس)، وهو حسب اعتقادهم والد الإله (أدونيس)، وهو الذي عرف كيف يبني الخيام ويؤسس علم السحر والموسيقا، ولكن لم نعثر في نصوص أوغاريت على صفة من هذه الصفات للإله كوثار، ويظن بعضهم أن الآلة الموسيقية (قيثارة) من الأصل اليوناني (كيتاريس) الذي يتضمن اسم الإله (كوثار).

كوثارة:

كان يطلق هذا الاسم على المغنيات والنادبات المحترفات حيث أن معنى الاسم يتضمن الخبرة والتجربة وكن يستخدمن في مناسبات الزواج والولادة ومراسيم الدفن، ويلقبن ببنات نداء السعادة، وبالسنونو أو ببنات هلال القمر المضيء، حيث كان يعتقد أن للهلال تأثيراً طيباً على الولادة كما أن السنونو يجلب السعادة والخصب إلى الحياة الزوجية. وقد دعين في قصيدة (نيكّال) ليتولين رعاية الصبي الذي سوف يولد لآلهة القمر، وكن يدعين أيضاً ليشهدن عقد الرباط المقدس في أعراس البشر، ورغم أنهن لم يسمين بالاسم في ملحمة أقهات فقد كن أنفسهن النادبات على موت ابن الرجل الحكيم (دانيل)، فلديهن القدرة على النواح كما لهن نفس القدرة على إقامة حفلات الطرب والغناء في مواسم الأفراح.

م

ملقارت :

اسم الإلـه الـرئيس لمدينـة صور ومؤسس مدينـة قرطـاجه ويعني اسمه (ملك المـدينـة) وكـان في الأصل اسم منادى قبل أن يتحول إلى اسم علم مثله في ذلك مثل اسم أدونيس وإشمون، وقد انتشرت عبادته في وقت متأخر نسبياً وظهر اسمه أول ما ظهر في نص العقد الذي وقعه الملك الآشوري أسرحدون مع بعل ملك صور، وكان الاسم إلى جانب اسم الإله إشمـون بين آلهـة القسم، وقـد جعـل منـه اليـونـانيون والـرومـان إلهـاً شابـاً مسـاويـاً لهرقل، وبهذا الاسم يذكر في نص العقد بين هانيـ بعل وفيليب ملك مقـدونيـة، ويظهـر على المشـاهـد الفنيـة مرتـديـاً جلد الأسـد كثوب، وانتشـرت عبـادتـه من مدينـة صور إلى أرجـاء واسعـة في العـالم القـديم مثل ثسوس وقـبرص وصقليـة وسـردينيـا وقرطاجة وكل الشمال الأفريقي، ويعتقد أن كل الأماكن التي كان كان يقدس فيها هرقل كانت في الأصل له، كما كان يعبد في روما ذاتها إلى جانب (دينيسـوس) وبـما أن عبـادتـه كانت مرتبطـة بالبحـر فقد أقيمت له معابد عند سفـوح الجبـال السـاحلية، ويشير اسم المكان راش ملقارت على البحر إلى ما ذهبنا اليه، كما تنقش صورته على النقود في صقلية على أنه هرقل.

ووفق رواية فيلون الجبيلي فإن ملقارت هو ابن (دماروس) من نسل أورانوس، ويـروي يوسفيـوس أن حيرام ملك صور كان أول من بعث عبـادة هرقـل في شهـر فيرتيـوس أي (فـبرايـر/شبـاط) ولكن هذه الـروايـة لا تعني بالتأكيـد أنـه كانت تقام احتفالات للإله الميت الذي يبعث حياً.

وتشـابـه رواية يوسفيوس رواية أخرى تزعم أن هرقل كان متوجهاً إلى ليبيا وفي الطـريق يعـترضـه (تيفـون) ويقتله، ثم يعـود إلى الحيـاة عنـدمـا يشم رائحة الحمام المشوي، وهذا ما دعا الباحثين إلى الاعتقاد أن ملقارت كان واحداً من آلهة الخصب والنبات، يموت ويحيا في فصول معينة من السنة، ويرى الاستاذ ألبرايت في ملقارت

إلهاً من الآلهة الأرضية وملكاً من ملوك العالم السفلي.

وربما كان ملقارت في القديم إن لم نقل في الأصل إلهاً للشمس ويساعدنا في هذا الافتراض تشابه شخصيته مع هرقل، ومن حيواناته المقدسة التي تظهر معه على نقوش النقود الأسد والنسر، وكانت تدشن باسمه عواميد حجرية بشكل مزدوج كما يذكر هيرودوت، ولا يوجد تمثال له في معابده إلا أن النار لا تنطفيء شعلتها فوق مذابح معابده مما جعل اسمه يرتبط باسم الإله رشف (رشف ملقارت) ويظهر اسمه أحياناً مقترناً باسم الإله (إشمون).

موت:

إن شخصية هذا الإله ترتسم من خلال الاسم الذي يحمله (موت) وهذه الكلمة شائعة في كل اللغات السامية ففي اللغة الأكادية (موتوم) والأوغاريتية (م. ت) وتجمع في العبرية (مثيم) وقد فشلت كل المحاولات في سبر أصل الاسم، ويحدثنا فيلون الجبيلي عن إله يدعى (موث) يسميه الفينيقيون (الموت)، ونتعرف على الإله (موت) من خلال النصوص الأوغاريتية بشكل أفضل، فموت وبعل يمثلان الأقطاب المتضادة في الحياة فحين يجسد بعل الخير والخصب بما يرسل من أمطار وسحاب يحي الأرض الموات، يجسد (موت) القحط والجفاف والذبول والفناء، وموطنه هناك في أقصى العالم السفلي، ويأتي وصف لبيته في النصوص الأوغاريتية عندما يرسل بعل مبعوثيه إليه في بيت جثث الأرض، وكلمة (أرص) في الأوغاريتية تعني دائماً أسفل الأرض، والأرض السفلى مغطاة بجبال تحمل أسماء غريبة عنا، وبيت الجثث الكائن في العالم السفلي هو نفس البيت الذي يرد ذكره في أسفار العهد القديم والمعد مأوى لمرضى البرص (انظر سفر الملوك الثاني ١٥ : ٥ وسفر أخبار الأيام الثاني ٢٦ : ٢١)، ويدعى المكان الذي يقطن فيه (موت) في العالم السفلي (حمري) وهذه الكلمة لها ارتباط دون أدنى شك بالكلمة العبرية (محمروت) التي ترد في أسفار العهد القديم وتترجم بالنار والجمر «غمرات «ليسقط عليهم جمر. ليسقطوا في النار وفي غمرات فلا يقوموا. مزامير ١٤٠ : ١٠». ويعتقد أنها تقابل في اللغة العربية (جهنم الحمراء) ويوصف حلق الإله موت في النصوص الأوغاريتية بالمحمرة) عندما يريد أن يبتلع الإله بعل في جوفه (يشبه جوف الاله موت بجهنم الحمراء «المعرب»،) وينطبق هذا الوصف فعلاً على الوصف الذي ذكره فيلون الجبيلي عن الإله موت عندما يقول

بأنه على شكل هلامي طيني متفسخ. ويحذر بعل مبعوثيه من إله الموت المفترس قبل أن يرسلهم إليه فبإمكانه أن يبتلعهم كما يبتلع الخروف ويتضح نهم (موت) في جوابه للإله بعل عندما يقول بأن شهيته لا يمكن اشباع سغبها وأنه سوف يبتلعه كما يبتلع حبة الزيتون ثم يفتح فاه من أقاصي الدنيا إلى أقاصي السماء ويلعق بلسانه نجوم السماء ونجد التعبير نفسه تقريباً في سفر حبقوق عندما يتحدث عن وصف الموت الذي يأتي على كل شيء (وحقاً أن الخمر غادرة، الرجل متكبر ولا يهدأ. الذي قد وسّع نفسه كالهاوية وهو كالموت فلا يشبع بل يجمع إلى نفسه كل الأمم ويضم إلى نفسه جميع الشعوب، حبقوق ٢ : ر ٥).

ويذكر سفر أيوب أن الولد البكر للموت سوف يلتهم أعضاء جسم الفاسق: «يأكل أعضاء جسده يأكل أعضاءه بكر الموت. أيوب ١٨ : ١٣) ويفسر الباحثون بكر الموت في هذا النص بأن المقصود هو الأوبئة والأمراض الفتاكة حيث لا يوجد في النصوص الأوغاريتية ما يشير إلى أن الإله موت كان له أولاد.

يصرع الإله موت الاله بعل في أول مقابلة بينهما وبعد أن تمضي فترة من الوقت على اختفاء بعل من الأرض تتوجه عناة إلى العالم السفلي باحثة عن قاتل أخيها وعندما تجده تبادره بضربة قاضية من سيفها البتار ثم تقطعه إرباً إربا وترمي أوصاله إلى النار ثم تطحن أعضاءه وترمي بذراتها فوق الحقول لتصبح نهباً للطيور.

يشير هذا المقطع من النص صراحة إلى أن الإله موت كان في الأصل إلهاً من آلهة الخصب وربما كان إله الحبوب، والفعل الذي قامت به عناة لم يكن كما يتصور الكثيرون مجرد عملية ثأر لمصرع أخيها بل هو طقس من طقوس العبادة الذي يساعد في إعادة بعل إلى الحياة، وهذا ما يحصل فعلاً، وعندما يموت الإله موت يبعث بعل حياً من بين الأجداث. ألا تفسر هذه الأسطورة دورة الحياة الزراعية الطبيعية؟

إن العمل الذي قامت به عناة في الأسطورة الأوغاريتية أثّر بشكل مباشر أو غير مباشر في الطقوس اليهودية إذ أنه يشبه تقديم بواكير ثمار الحقول (انظر سفر اللاويين ٢ : ١٤)، وقد جاء وصف، ذلك مفصلاً عند فيلون الاسكندراني ويوسفوس وفي المشنى.

ويحدثنا ابن النديم ان النساء في حران ينحن على تموز (دوموزي) لأن جسمه طحن وذر دقيق جسده المطحون في الهواء، ولذلك فإنهن لا يأكلن شيئاً مطحوناً طيلة أيام النواح. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل أيضاً على ازدواج شخصية الإله موت

شأنه في ذلك شأن بقية الآلهة الأرضية مثل أدونيس السوري وأوزيريس المصري وفلوتو اليوناني.

ويشير العهد الجديد أيضاً إلى مثل هذه العلاقة المتبادلة بين الموت والحياة ممثلة في بذور الحقل (الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير. يوحنا ١٢ : ٢٤).

وبعد مرور سبع سنوات ينهض موت من مرقده ويجهز نفسه ثانية لملاقاة بعل على أرض المعركة إلا أن بعل لا يرضخ هذه المرة لمصيره المحتوم بل يرد الصفعة صفعتين والكيل كيلين، وعندما تحتدم المعركة ولا يخرج منها غالب أو مغلوب تتدخل (شفش) إلهة الشمس وتحذر الإله (موت) من الاستمرار في المعركة وإلا فإن أباه (إيل) سوف يعاقبه، ورغم أن النص هنا غير مقروء جيداً نفهم من بعض السطور أن موت يرتد عن غيه ويترك سيادة العالم سبع سنوات أخرى للإله بعل.

موت في الفن:

لا توجد مشاهد مصورة مؤكدة للإله موت في الفن، ويظن أن النصب المشوه الذي عثر عليه في أوغاريت يحمل صورته، وهناك نصب آخر عليه صورة إله يعتقد المنقبون أنها للإله (بعل عليان) ولكن يمكن أن تكون بتحفظ للإله موت أيضاً (انظر الصورة رقم ١٠).

يرتدي الإله في النصب تنورة قصيرة ذات نطاق علقّ عليه سيف، وينتعل حذاء معكوفاً من الأمام، ويحلي جيده عقد، يحمل بيسراه رمحاً، رأسه الحاد متجه نحو الأعلى، كما يحمل بيمناه صولجاناً يشبه صولجان الإله المصري (أوزيريس)، ومما يلفت النظر في هذه الصورة هو شكل الحلي على الرأس، فمن الأمام يبرز قرن أوريشه يشبه التاج المعروف في مصر السفلى ينهض فوقه شكل يشبه شجرة رمزية أو زخارف من الريش، ولكن ليس من المستبعد أن يكون الشكل يمثل حزمة من سنابل القمح، وإذا صح هذا الافتراض فإننا نعود بالذاكرة إلى قصة عناة مع موت وصراعها معه، وعلى كل حال فإن الصولجان الذي يحمله الإله في المشهد، وهو صولجان إله الموت المصري (أوزيريس) وسنابل القمح يشيران إلى أن الإله الظاهر في المشهد هو الإله موت.

مولوخ :

يعتقد كثير من دارسي نصوص العهد القديم بوجود إله يدعى (مولوخ) كان يضحى من أجله بالأطفال، وربما تشير نصوص التوراة إلى عادات قديمة كانت سائدة آنذاك، قد ورد ذكر هذا الإله في أربعة نصوص لاتينية عثر عليها في الجزائر، كما أن أنصاب الإله ساتورن (انظر بعل حمون) تظهر سكينة ذبح وخروف مما يشير إلى أن عادة التضحية بالأطفال استعيض عنها بالتضحية بالكبش، ولم يعثر في نصوص أوغاريت على كلمة تشير إلى التضحية بالأطفال أو بالبديل عنهم ولكن سانخينتون يروي في أخباره الأسطورية أن الإله كرونوس نفسه ضحى بابنه (جويد) فوق المذبح بأبهى حلله الملكية في سبيل الإله (أورانوس) وذلك في وقت المحنة الكبيرة. وقد ضحي بآلاف الأطفال من العائلات الكريمة في قرطاجة حوالي ٣١٠ ق. م خلال حرب النكسة في تونس.

ميكال :

عثر على اسم هذا الإله فوق مسلة مصرية من الحجر الكلسي للفرعون المصري تحوتمس الثالث، ويوصف في النص على أنه إله بيسان وهو اسم المكان الذي عثر فيه على المسلّة ثم يرد ذكره في الكتابات الفينيقية في قبرص من اللقرن الرابع ق. م مقترناً باسم الإله (رشف). يعادل اسمه في الكتابات اليونانية الإله (أبولون) و (أميكلوس)، وكان له معبد منفصل عن (رشف) في مدينة (كيتيون). ولم تتضح بعد شخصية هذا الإله. ويرى فيه الاستاذ ألبرايت إلهاً من آلهة الطاعون والأوبئة نظراً لأن اسمه يقترن أحياناً باسم الإله (رشف).

ميلكوم :

هو إله العمونيين الرئيس، ويبدو أن اسمه الذي يعني (ملك) يحمل رواسب التنوين القديمة وهي (التمسويم) عوضاً عن (التنوين)، وقد ذكر هذا الإله مراراً في أسفار العهد القديم، وقد سرق داوود تاجه في إحدى غزواته ووضعه على رأسه (انظر سفر صموئيل الثاني ١٢ : ٣٠ وسفر أخبار الأيام الأول ٢٠ : ٢)، وقد بنى له سليمان معبداً في جبل الزيتون وعبده مع الإلهة (عشتارة) والإله (كاموش) (انظر سفر الملوك الأول ١١ : ٥ و٧ : ٣٣) واستطاع يشوع خلال اصلاحاته الدينية أن يقضي على

عبادته (انظر سفر الملوك الثاني ٢٣ : ١٣). وتنبأ إرمياء بسرقة تمثاله من معبده (انظر سفر ارمياء ٤٩ : ٣)، ويقسم يهوه بأنه سوف يعاقب كل من يذكر اسمه مرتبطاً باسم ميلكوم : (والساجدين على السطوح لجند السماء والساجدين الحالفين بالرب والحالفين بملكوم. صفنيا ١ : ٥).

وقد ذكر اسم هذا الإله مرة واحدة فقط في قوائم أسماء الآلهة المكتشفة في أوغاريت، كما ورد ذكره في أحد نصوص رفائيم دون أن يفهم مدى ارتباطه بالنص.

ن

نيكّال :

إلهة القمر السومرية ويظهر اسمها في بلاد الرافدين على شكل نينجال، وورد اسمها في إحدى قصائد المديح الأوغاريتية عندما تم تزويجها من إله القمر (يرح) انظر قصيدة نيكّال). ويعتقد أن اسمه مترجم عن اللغة الحورية.

وقد ورد اسم الإلهة مركبا على شكل (نيكّال - إب) مرتين، ويفسر الشطر الثاني من الاسم (إب) أنه مشتق عن الأصل الأكادي (إينو) الذي يعني (الخصب)، وبما أن الاسم يذكر مرارا في قوائم الأضاحي في أوغاريت يعتقد أن الإلهة كانت تتمتع بطقوس شعبية لائقة في أوغاريت، ومن المحتمل أن مركز عبادتها الاساس كان في مدينة حران التي كانت إحدى مراكز عبادة إله القمر الرافدي (سن) الرئيسة وانتقلت عبادتها من هناك في وقت مبكر إلى سورية، وقد ذكر اسمها على نصبين آراميين لكاهن إله القمر (سن - زر- إبني) من القرن السابع ق.م

قصيدة نيكّال :

عثر على لوحة يتيمة في أوغاريت تحوي قصيدة مديح، تقرظ زواج الإلهة نيكّال من إله القمر الكنعاني (يرح)، وتوصف العروس على أنها ابنة أحد الآلهة غير المعروفة (ربما من أصل حوري؟) ويحمل لقب «ملك الصيف» و (ملك ثمار الصيف) وتدعى الى حفل الزواج (كوثارات) المسؤولات عن الحمل والولادة ليباركن حفل القران ويمنحن الإلهة طفلا ذكرا ويذكرنا هذا النص بنص شبيه في سفر إشعياء : (ولكن يعطيكم السيد نفسه آية العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل. اشعياء ٧ : ١٤) والكلمة الأوغاريتية التي تصف الإلهة (غ.ل.م ت) لها مايقابلها في العبرية (غلامة) وفي العربية (علامة مؤنث غلام «المعرب») والقصيدة تصف بشكل

عام مراحل الزواج منذ الخطوبة الى عقد القران إلى حفل الزواج وفق تقاليد وأعراف الـزواج السـاميـة القـديمـة ثم تنتهي القصيـدة بالابتهـال الى آلهات الحمل والولادة (كـوثـارات)، ولم يتضـح بعد المغزى من هذه القصيدة، وربما كان الهدف منها تعليم الناس مراسيم الزواج كما يتم عادة بين الآلهة.

ي

يطفن :

تستخدم عناة يطفن سلب أقهات قوسه ومن ثم قتله ، ولفظ الاسم بالحركات الصوتية غير مؤكد ، ويعتقد أن أصل الاسم له صلة بالكلمة العربية (طفن) بمعنى قتل ، فعندما يرفض أقهات أن يسلم قوسه الى الإلهة (عناة) ، تخفي عناة يطفن على شكل عقاب في نطاق ثوبها (حزامها) تطير به مع مجموعة من العقبان فوق رأس البطل الشاب ، ثم تأمر يطفن بالانقضاض عليه وسلبه حياته وهذا ماحدث فعلا ، وبعد أن تستخرج أشلاء أقهات من بطن (صمل) أم العقبان تقسم (بوغاة) بأن تنتقم من قاتل أخيها ، فترتدي أجمل وأنفس مالديها من ثياب وتخرج بأبهى حللها وزينتها باحثة عن القاتل بعد أن تخفي سيفا تحت ثيابها ، فيستقبلها يطفن ويكرم وفادتها وعندما تلعب الخمرة برأسه يتباهى بأنه هو الذي قتل أقهات فتستل سيفها وتقضي عليه (النص هنا مشوه) ولكن يفهم أن (بوغاة) استطاعت أن تثأر لأخيها ، ويلقب يطفن أحياناً بالكاهن وأحياناً أخرى بالمقاتل .

يم :

اعتقد الباحثون لفترة طويلة أن الديانة الفينيقية قد تطورت وتبلورت بشكلها النهائي قبل أن يصل الكنعانيون الى البحر ، إذ أنه من الغريب فعلا ألا يكون للفينيقين المعروفين بشهرتهم الواسعة في الملاحة البحرية إلهاً للبحر حتى جاءت مكتشفات أوغاريت لتدحض هذا الزعم حيث أن النصوص الأوغاريتية تتحدث عن إله للبحار والأنهار يدعى عموماً الإله يم ، ولم تقسم الأساطير الأوغاريتية المياه الى نوعين عذبة ومالحة كما هو الحال في أسطورة التكوين الرافدية (إنوما إليش) ويوصف يم عادة بأنه أمير البحر وسيد النهر ويطابق هذا الوصف ماجاء في أسفار العهد القديم في وصف البحر والنهر (انظر المزامير ٢٤ : ٢ ويونان ٢ : ٤) ولايميز بينهما ، تماما

كالتصور اليوناني عن المياه عامة فالإله (بوزيدون) هو سيد المياه قاطبة.

والنصوص التي تتحدث عن الإله يم تخبرنا أن الإله (إيل) سمح ببناء قصر فخم للإله يم، ويفسر الدارسون هذا النص على أنه دليل تعلق الإله الشيخ بابنه إله اليم الذي وجد فيه منقذا من تطلعات الإله الشاب بعل الطامح في اعتلاء عرشه، فيعلن يم سيادته على كل الآلهة ويرسل مبعوثيه ليحضروا له (بعل) موثقاً، بموافقة كبيرة الآلهة إيل غير أن بعل يهب مدافعاً عن نفسه دفاع المستميت ثم تنشب معركة حامية الوطيس بين الإلهين.

وفي نص آخر يمنع بعل إله الحرف والهندسة من تصميم نافذة لقصره خوفا من مضايقة يم لبناته وملاحقتهن بالسباب والشتائم، ولكن بعد أن ينتصر بعل على يم في معركة فاصلة يعود عن رأيه ويأمر بفتح نافذة للقصر.

وهناك أسطورة مصرية مدونة على ورق البردي من عصر السلالة التاسعة عشرة بعنوان (عشتارة) تتحدث عن إله البحر المصري المعادل للإله الكنعاني (يم) واضطهاده لبقية الآلهة، ومطالبته اياهم بدفع الأتاوات وبعشتارة لتكون زوجة له، وفعلا يحصل على مبتغاه، وتوهب له الإلهة عشتارة لتهدأ من جموح غضبه الثائر غير أن دورها في الأساطير الأوغاريتية مختلف تماماً فهي هنا تتدخل فقط في الصراع القائم بين (بعل) و(يم).

وتبقى علاقة يم مع وحوش البحر الأسطورية غير واضحة تماما، فبعل يقتل لوتان الذي يظهر في أسفار العهد القديم باسم لوثايان (انظر سفر إشعياء ٢٧ : ١١) إله النهر الكبير ويشد وثاق التنين ذي السبعة رؤوس (انظر سفر التكوين ١ : ٢١ وسفر أيوب ٧ : ١٢ والمزامير ٧٤ : ١٣ وأشعياء ٥١ : ٩)، ويعتقد أن كل هذه المخلوقات البحرية المخيفة ماهي في الواقع إلا تعدد ظواهر الإله يم الذي يأخذ دوره (يهوه) بأنماط وأشكال مختلفة في أسفار العهد القديم. ومهما يكن من أمر فإن الإله يم كان يتمتع بمراكز عبادة ضمن الطقوس الكهنوتية الكنعانية، وتقدم باسمه الأضاحي ويقترن اسمه مع أسماء آلهة أخرى رافدية وكنعانية.

يـو:

يحتدم النقاش بين الباحثين منذ أمد طويل حول هذا الاسم الذي يلفظ

بأشكـال وأنـماط مختلفـة (ي . و) و(ي . أ . و) و(ي . أ . و . ي) وتـركب منـه أسـماء الأشخـاص . وقـد ورد اسم (أخي ـ ياوي) على لوح عثـر عليـه في تانـك منذ القرن الـرابـع عشـرق . م ، ولكن القـراءة غير مؤكـدة فعـوضـا عن ياوي يمكن أن يكـون (يـامي) ، كما عرفت أسـماء في حماه (يؤ بيـدي) وفي سمأل (أزري ياؤ) ضمن كتابات الملكـين الآشـوريـين صرغون الثاني وتغلات بيلصر الثالث ، وبعض العلماء يزعم أنه عثر على اسم مشابه في نصوص أوغاريت الى جانب اسم الإلهة عناة ولكن ارتباطه في النص غير واضح ، ومما يجعل قراءة الاسم مستعصية هو تحول الحروف في الاسم من واو الى ميم وقـد يكـون المقصـود في الأصـل هو إلـه البحر (يم) ولا علاقة لإله اليهود (يهوه) من قريب أو بعيد بهذا الاسم كما يحب أن يزعم بعض الباحثين .

الفهرس

محتويات الجزء الأول
قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين

مقدمة المترجم ٩
مقدمة المؤلف ٣٩
تمهيد ٤٣
لمحة تاريخية ٤٥
لائحة تاريخية ٥٣
مصادرالأساطير السومرية والأكادية ٥٥

- أ -

ابجال أو ابكالو ٥٩
أباسون ٥٩
إبخ ٥٩
ابزو ٥٩
ابوبو ٦٠
إتانا ٦٠
إتانا في الفن ٦١
أتر حسيس ٦١
إجيجي ٦٢
أدابا ٦٢
أدد ٦٣
إدن ٦٣
إدن (عدن) ٦٣
أجيال الآلهة ٦٣
إرَّا ٦٤
أرالي ٦٥
أرداتليلي ٦٥
أرورو ٦٦
إربشكيجال ٦٦
إزينو ٦٦
أساج/ أساكّوا ٦٦
أساللوحي ٦٧
أسوروس ٦٧
إسيمو ٦٧
إشخارا ٦٧
أشراتو ٦٨
أشنان ٦٨
آشور ٦٨
إشوم ٦٩
أشيم بابار ٧٠
اشوريتو ٧٠
آلهة الأمومة ٧٠
ننخور سانجا ٧١
نينماخ ٧١

نيتو ٧١
أورورو ٧٢
بلت ابلي ٧٢
آلهات أمومة المدن ٧٢
آلهات الأمومة في الفن ٧٢
آلهة أورارتو ٧٣
إله البدو ٧٣
الآلهة الثعابين ٧٣
الإله الحامي ٧٤
آلهة الحبوب ٧٤
الآلهة الحورية ٧٥
إله الشمس ٧٥
آلهة الطب ٧٧
الآلهة الذكور ٧٧
الآلهة الإناث ٧٧
إله الطقس ٧٨
آلهة عربية في المصادر الرافدية . . ٨٠
آلهة عيلامية ٨٠
إله القمر ٨١
ألواح القدر ٨٣
آلهة كشية ٨٣
آلهة كنعانية ٨٤
أكي ٨٥
أما جشتين ٨٥
أما أوسومجال ٨٥
أمارو ٨٥
إمدوكود ٨٥
إمش وإنتن ٨٥
أمورو ٨٦
آن ٨٦
إنانا ـ عشتار ٨٧
إنانا وإنكي ٩٢
سمو إنانا ٩٣
نزول إنانا للعالم السفلي ٩٣
إنانا وبيللولو ٩٦
إنانا وإبخ ٩٦
إنانا وشوكال إتودا ٩٦
آن أولجارًّا ٩٦
انبيلولو ٩٧
أنتوم ٩٧
الإنسان الثور ٩٧
الإنسان العقرب ٩٧
أنشار ٩٧
إنكي ٩٧
إنكي في الفن ٩٩
إنكي وننخور سانجا ٩٩

إنكي وننماخ ١٠٠
إنكي والنظام الكوني ١٠١
إنكيدو ١٠١
إنكيمدو ١٠٢
إنليل ١٠٢
انمر كار ١٠٤
إنمه شرًّا ١٠٤
إنوما إليش ١٠٥
أنوتا ١٠٥
أنونيتو ١٠٥
أوس ١٠٥
أوأنّس ١٠٦
أوتنابشتي ١٠٦
أوتو ١٠٦
أوتّو ١٠٦
أوراش ١٠٦
اورشنابي ١٠٧
إيا ١٠٧
آيا ١٠٧

- ب -

بابا ١٠٨
ببسوكال ١٠٨
ببيل سانج ١٠٨
بجبارتي ١٠٩
برصو ١٠٩
بزوزو ١٠٩
بسيكيل ١٠٩
بل ١٠٩
بيات سري ١٠٩
بيسير ١٠٩
بورياش ١٠٩

- ت -

تألية الملوك ١١٠
تكوين ١١٢
تيامات ١١٥
تيشباك ١١٦
تيلمون ١١٦

- ث -

ثور السماء ١١٧

- ج -

جتومدو ١١٨

جبيل ١١٨

جدل ١١٩

جشتيانّا ١١٩

جلجامش ١٢٠

جلجامش وهواوا ١٢١

جلجامش وثور السماء ١٢١

جلجامش وأنكيدو العالم السفلي ١٢٢

جلجامش في العالم السفلي .. ١٢٢

ملحمة جلجامش ١٢٣

- خ -

خسوف القمر ١٢٧

- د -

دامو ١٢٨

دجن ١٢٨

دمجلونًا ١٢٩

دوكو ١٢٩

دوموزي ١٣٠

دوموزي أبزو ١٣٢

- ر -

رحلات الآلهة ١٣٣

رحلات الآلهة في الفن ١٣٤

رسل الآلهة ١٣٤

رياح ١٣٥

- ز -

زبابا ١٣٧

زو ١٣٧

زيوسودرا ١٣٨

- س -

ساتران ١٣٩

سبتّو ١٣٩

سيدوري ١٤٠

سن ١٤٠

- ش -

شارا ١٤١

شاكان ١٤١

شالا ١٤١

شولباه ١٤٢

- ص -

صرغون ١٤٣

صربنيتو ١٤٣

- ط -

الطوفان ١٤٤

- ع -

عالم الأموات أو العالم السفلي . ١٤٧

العرس الإلهي ١٤٩

عفاريت ١٤٩

العفاريت الشريرة ١٤٩

العفاريت الصالحة ١٥١

عمو ١٥٢

- ق -

قائمة أسماء الملوك ١٥٣

قارب السماء ١٥٣

قوائم الآلهة ١٥٤

قوى الآلهة ١٥٤

- ك -

كائنات خرافية مطعمة ١٥٥

- ل -

لاحار وأشنان ١٥٧

لبَّو ١٥٧

لحاما ولحمو ١٥٨

لوكال بندا ١٥٨

لوكال جيرا ١٥٨

- م -

مارتو ١٥٩

ماميتو ١٥٩

مردوخ ١٦٠

مردوخ في الفن ١٦٢

مسلمتئيا ١٦٢

المعول ١٦٢

مِه ١٦٢

موشخوشو ١٦٤

مومو ١٦٤

- ن -

نابو ١٦٥
نانشة ١٦٦
نانايا ١٦٦
نرجال ١٦٧
نرجال واريشكيجال ١٦٧
نمتار ١٦٨
نمّو ١٦٨
نهر العالم السفلي ١٦٩
نوسكو ١٦٩
نوموشدا ١٧٠
نيسابا ١٧٠
نينازو ١٧٠
نينجال ١٧٠
نينجرسو ١٧١
ننجزيدا ١٧١
نينسونا ١٧٢
نينشوبور ١٧٢
نينليل ١٧٢
نينورتا ١٧٣

محتويات الجزء الثاني
قاموس الآلهة والأساطير في الحضارة السورية

مقدمة الجزء الثاني ١٧٧

لمحة جغرافية وتاريخية ١٩٩

لائحة تاريخية ٢٠٧

مصادر الديانة السورية ٢٠٩

- أ -

أتارجتيس ٢١٧

أثيرة ٢١٨

أجيال الآلهة ٢٢٣

أدونيس ٢٢٤

أرصي ٢٢٦

أسطورة أقهات ٢٢٦

الش ٢٢٩

آلهة الطب والشفاء ٢٣٠

إيل ٢٣١

- ب -

بعل / هدد ٢٣٨

بعل في الفن ٢٥١

بعل أدير ٢٥٦

بعل بقاع ٢٥٧

بعل حمُّون ٢٥٧

بعل شميم ٢٥٨

بعل قرنيم ٢٥٨

بعل كرم اللوز ٢٥٩

بعل مرقد ٢٦٠

بيت إيل ٢٦٠

- ت -

توؤوتوس ٢٦٢

تكوين ٢٦٢

تينيت ٢٦٣

- ج -

جفن وأُجر ٢٦٥

- ح -

حورون ٢٦٦

- د -

دجن ٢٦٨

دجون ٢٦٩

- ر -

رشف ٢٧٠

رشف في الفن ٢٧٠

نصوص رفائيم ٢٧١

- س -

سانخينتون ٢٧٢

- ش -

شحروشالم ٢٧٤

- ص -

صيد ٢٧٦

- ط -

طلي ٢٧٧

- ع -

عشتار ٢٧٨

عشتارة ـ عشتارة ـ عشتارته ٢٧٩

عناة ٢٨٣

عناة في أسفار العهد القديم .. ٢٨٤

عناة في نصوص أوغاريت ٢٨٦

عناة رفيقة درب بعل ٢٨٨

عناة في الفن ٢٨٩

- ف -

فيداري ٢٩١

- ق -

قدش وعمر ٢٩٢

- ك -

كاموش ٢٩٣

خرافة كرت ٢٩٣

كوثار ٢٩٦

كوثارة ٢٩٧

- م -

ملقارت ٢٩٨

موت ٢٩٩

موت في الفن ٣٠١

مولوخ ٣٠٢

ميكال ٣٠٢

ميلكوم ٣٠٢

- ن -

نيگّال ٣٠٤

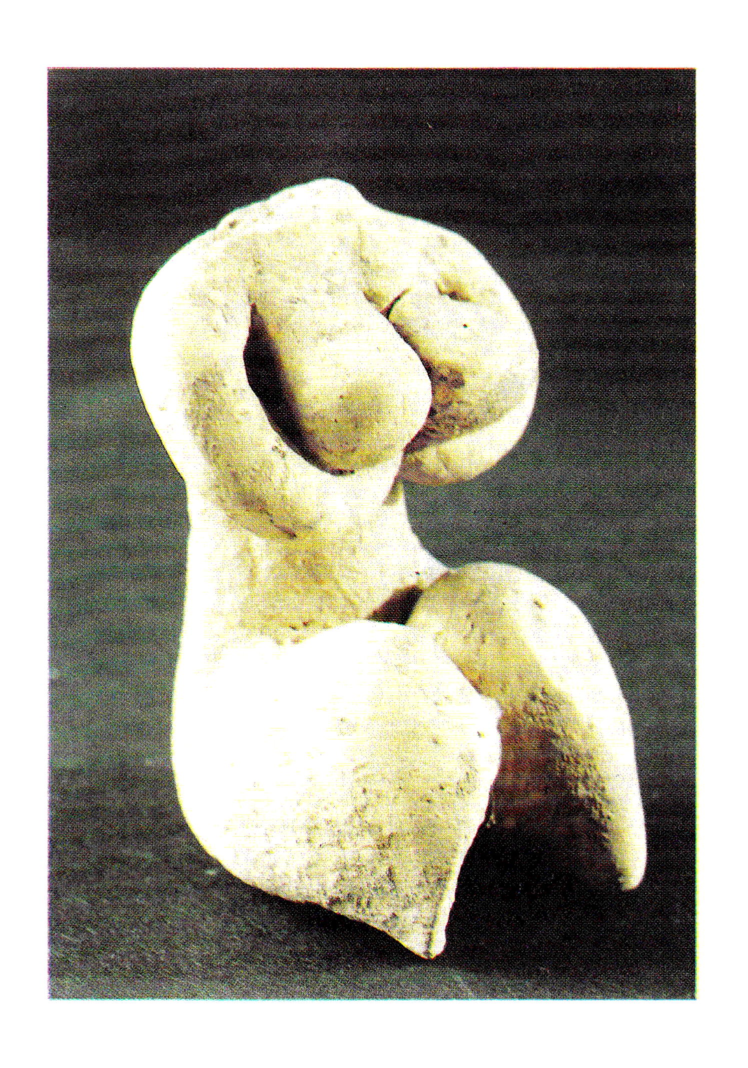
- ي -

يطفن ٣٠٦
يم ٣٠٦
يو ٣٠٧

تصوير الفنان: أنور عبد الغفور



منحوتة الإلهة الأم
مصنوعة من الحجر الكلسي الأبيض، تعود إلى الألف الثامن ق.م.
المريبط - متحف حلب الوطني.



منحوتة الإلهة الأم. مصنوعة من الطين المشوي
- تل كشكشوك - الحسكة - من الألف الخامس ق.م.
متحف حلب الوطني



مسلة من البازلت تظهر فيها الربة عشتار في شخصيتيها المتناقضتين
إلهة حب،وإلهة حرب تعود إلى الألف الأول ق.م
ـ من عين دارا ـ متحف حلب الوطني.



مسلة من البازلت يظهر فيها إله الطقس واقفاً على ثور وبيده رمز الصاعقة.
تعود إلى الألف الأول ق.م. عُثر عليها في جكة قرب حلب
متحف حلب الوطني



سلسلة من منحوتات معبد الإله هدد في قلعة حلب، تمثل كائنات خرافية.
تعود إلى الألف الأول ق.م قلعة حلب



منحوتة لجنيين مجنحين يجريان حول هلال القمر، وقرص الشمس.
تعود إلى الألف الأول ق.م. من معبد الإله هدد
في قلعة حلب متحف حلب الوطني



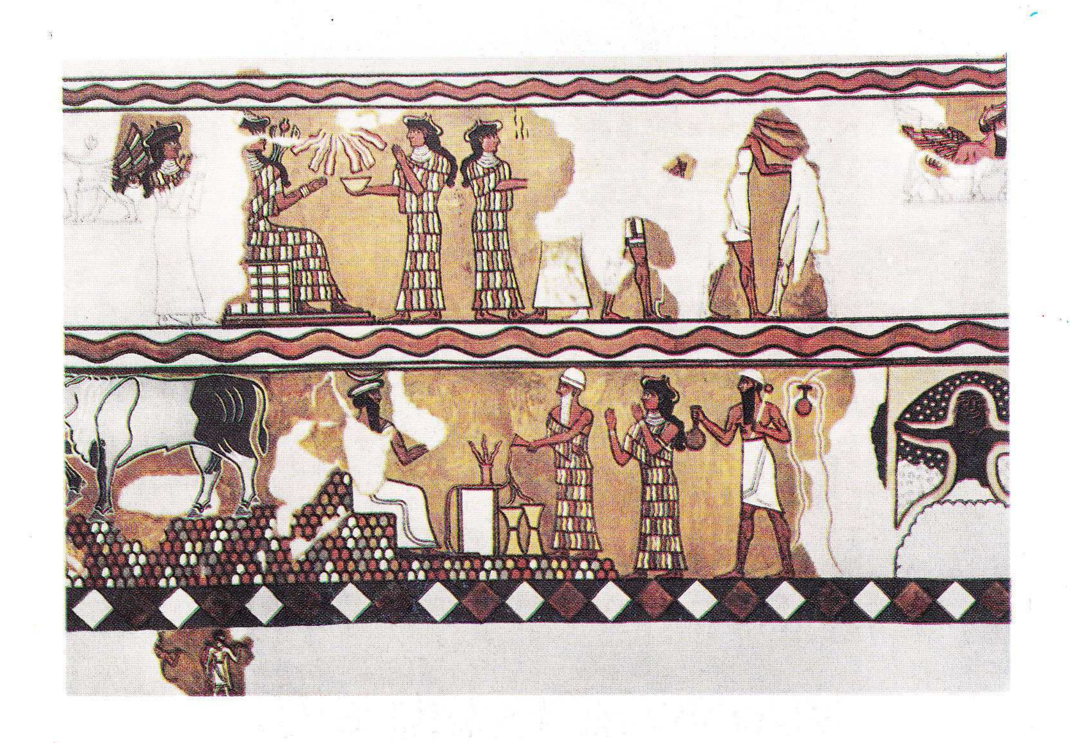
نصب من البازلت يظهر عليه إله يقتل تنيناً بواسطة فأس
من تل عشارة (محافظة دير الزور)
يعود إلى القرن الثالث عشر ق.م. متحف حلب الوطني



مدلاة من الذهب عليها صورة الإلهة الكنعانية عناة متأثرة بإسلوب الإلهة المصرية هاتور من أوغاريت. تعود إلى النصف الثاني من الألف الثاني ق.م. متحف حلب الوطني



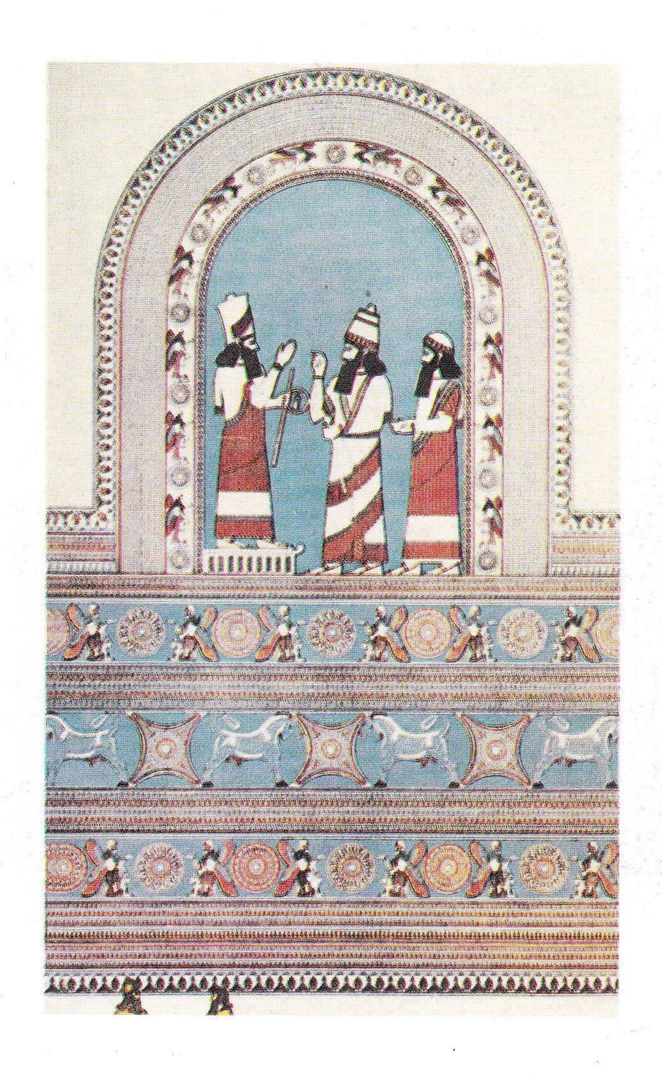
تمثال برونزي للإله إيل كبير الآلهة الكنعانية، مغطى برقائق الذهب
- من مصياف - يعود إلى الألف الأول ق.م.
متحف حماه



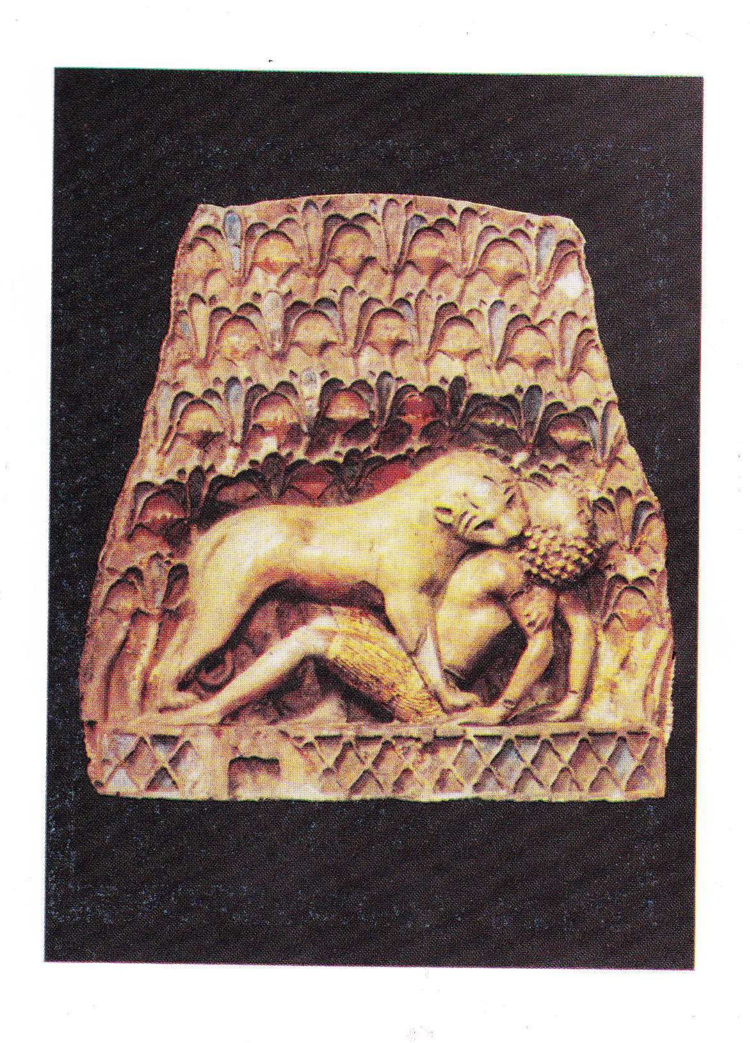
رسوم جدارية بالألوان تمثل مشهد تقديم أعطيات أمام آلهة-من ماري - قصر زمرليم الألف الثاني ق.م.



رسم جداري بالألوان من مدينة آشور. يظهر فيه الإله آشور داخل قرص الشمس المجنح. يرمي نبلة بواسطة قوس مشدود.يعود إلى القرن التاسع ق.م ـ المتحف البريطاني ـ



رسم زخرفي تخيلي لمقر إقامة الملك وحاشيته في دورشاروكين-خورسباد-
من القرن الثامن ق.م.



منحوتة من العاج مطعمة بالذهب واللازورد والعقيق
تمثل لبوة تهاجم زنجياً «اثيوبياً؟»، من مدينة كلخ نمرود.
تعود إلى القرن الثامن ق.م لندن ـ المتحف البريطاني ـ



ملحمة كرت مدونة بالخط المسماري واللغة الأوغاريتية. تعود إلى النصف الثاني من الألف الثاني ق.م. متحف حلب الوطني.



تمثال من البرونز مصفح بالذهب يمثل الإنسان الثور من مكتشفات إبلا.
يعود إلى الألف الثالث ق.م. متحف حلب الوطني



لوح من العاج يظهر فيه كائنان خرافيان مجنحان يحيطان بشجرة الحياة
المقدسة ـ من أرسلان طاش يعود إلى الألف الأول ق.م
متحف حلب الوطني

هذا الكتاب

الأسطورة، مرشد حقيقي لفهم السلوك الإنساني اليومي، وحفظ التوازن والاستقرار في النفوس المضطربة تجاه الأخطار المحدقة بها.

وكتاب الآلهة والأساطير الذي بين أيدينا بترتيبه الأبجدي يفتح أمام القارىء نوافذ جديدة تطل على عالم الأساطير السومرية والكنعانية التي ارتسمت في رحابها خطوط الديانات الأولى.

